مكتبة 1011

كــورت فونــيجت

إفطــار الأبطــال

ترجمة: محمد أ. جمال

أدب أمريكي معاصر

رواية



المحروسة



إفطار الأبطال

عنوان الكتاب: إفطار الأبطال Breakfast of Champions

كورت فونيجت Kurt Vonnegut

ترجمة: محمد أ.جمال

مراجعة لغوية: محمود شرف

18 10 2022



قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 28432157 02 002

mahrousaeg

almahrosacenter

almahrosacenter

www.mahrousaeg.com

info@mahrousaeg.com

mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١٨٢٩/ ٢٠٢١

الترقيم الدولي: 978-977-313-833-2



إفطار الأبطال

كورت فونيجت

ترجمة

محمد أ. جمال

الطبعة الأولى 2021



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

فونيجت، كورت، 1922-2007

إفطار الأبطال: رواية/ كورت فونيجت؛ ترجمة: محمد أ. جمال.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021

313 ص؛ 14.5×21.5 سم

تدمك 2-833-313-977-978

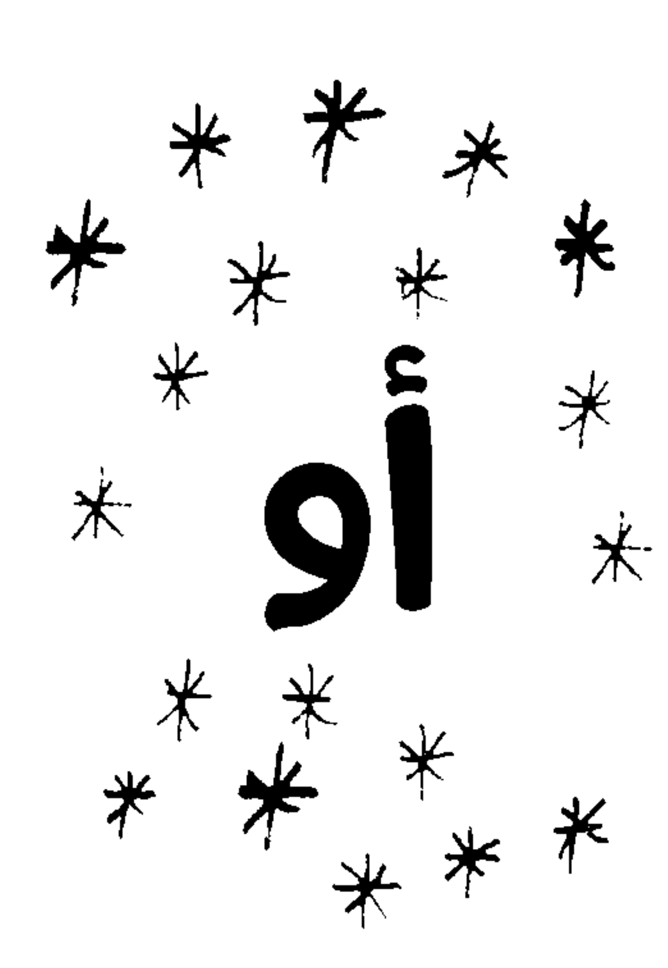
1 - القصص الامريكية

أ-جمال، محمد أ. (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2021/1829


أو


وداعا
أيها الاثنين الأزرق

فِي ذِكرى فيبي هورتي

الَّتي طَمأَنَتني فِي إنديانابوليس

خلال الكَسادِ الكَبير

لِأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي، إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَٱلذَّهَبِ

سفر أيوب - 23:10



مَقدّمَة

تعبير "إفطار الأبطال Breakfast of Champions" هو علامَةٌ تجاريَّةٌ مُسجَّلَة لشركة جِنرال ميلز، تستخدمه لمُنتَج حبوب إفطار. استخدام تعبير مُطابِقٍ كعُنوانٍ لهذا الكتاب لا يُقصد به أيُّ ارتباطٍ أو رعاية من شركة جِنرال ميلز، ولا يُقصَدُ به أيضًا الاستهانة بمُنتَجِهم الممتاز.

* * *

الإنسانة المُهدَى إليها هذا الكتاب: فيبي هورتي، لم تَعُد بين الأحياء مثلما يقولون. كانت أرمَلَةً إنديانابوليسية عندما قابَلتُها في أواخر الكساد الكبير. كنت في السادسة عشرة تقريبًا، وهي في حوالي الأربعين.

كانت ثَريَّةً، لكنها خرَجَت لتعمل كلَّ يومٍ ليس عُطلَةً في حياتها الناضجة. وكتَبَت بحصافَةٍ ولَطافَةٍ عمودَ نصيحَةٍ لكلِّ عاشق ولهان في إنديانابوليس تايمز. كانت صحيفةً جيِّدَةً، لكنها لم تَعُد موجودةً الآن.

لم تَعُد موجودة.

كَتَبَت فيبـي إعلانـاتٍ لصالـح ويليـام إتـش. بلـوك، وهـو مَتجَـرٌ شـامِلٌ لا يـزال مُزدَهِـرًا في مبنًـى صَمَّمـه أبي. كَتَبَـت هـذا الإعـلانَ عـن تخفيـضٍ في نهايـة الصيـف عـلى القُبَّعـات القَشِّـيَّة: "مُقابِـلَ سِـعرٍ كهـذا، بوسـعِكَ تقديمهـا لِحصانِـكَ طعامًـا، ومنـه إلى زهـورِكَ سِـمادًا".

* * *

شـغَلَتني فيبـي هـورتي في كتابة إعلانات عـن ملابس المراهقـين. اضطُرِرتُ لارتـداء الملابـس التـي أمدحهـا، ذاك كان جـزءًا مـن الوظيفـة. وصِرتُ صديقًـا لابنَيْهـا، اللّذَيْـن كانـا في مثـل عمـري. كنـتُ في بيتهـم طـوال الوقت.

تحدَّثَـت معـي ومـع أبنائهـا بجَـرأةٍ، وكذلـك مـع فتياتنـا عندمـا كُنَّـا نُحضِرهـم معنـا. كانـت ظريفـةً، كانـت مُحـرِّرة.

علَّمتنـا أن نكـونَ قليـلي الأدب في الحديـث، ليـس فقـط عـن الأمـور الجنسـية، لكـن أيضًـا عـن التاريـخ الأمريـكي والأبطـال المشـاهير وتوزيـع الـثروات والمدرسـة، عـن كل شيء.

آكُلُ عَيـشي الآن بكـوني قَليـلَ الأدب. أنـا لسـتُ ماهـرًا في ذلـك، أحـاول طـول الوقـت مُحـاكاةَ قِلَّـةِ أَدبِ فيبـي هـورتي التـي كانـت في غايَـةِ السَّلاسَـةِ. أعتقـد الآن أن تلـك السلاسـة كانـت أسـهلَ عَليهـا منـي بسـبب مـزاج الكسـاد الكبـير. كانـت مُقتَنِعَـةً مثـل كثـير مـن الأمريكيـين وقتهـا أن الشَّـعبَ سـيصير سـعيدًا وعـادلًا وعاقـلًا عندمـا يـأتي الازدهـار.

لم أعـد أسـمع هـذه الكلمـة: الازدهـار. كانـت ذات يـوم مرادفًـا للجَنَّـة. وفيبـي هـورتي كانـت قـادِرَةً عـلى الاعتقـاد أن قِلَّـةَ الأدب التـي نصحـت بهـا سـتعطي ملامـح لِلجَنَّـة الأمريكيـة.

الآن صـارت قِلَّـةُ أَدَبِهـا موضـة. لكـن لم يَعُـد هنـاك مَـن يُؤمِـنُ بِجَنَّـةٍ أمريكيَّـةٍ جديـدة. أنـا أفتقـد فيبـي هـورتي فعـلًا.

* * *

أمَّا بالنسبة للهاجس الذي أُعَبِّر عنه في هذا الكتاب، أن البشر في الواقع روبوتات، آلات: جديرٌ بالذِّكر أن الناس، خاصَّةً الرجال، الذين يعانون من مراحِلَ مُتأخِّرَةٍ من الزُّهَري ومن الاختلاج الحركي، كانوا مَشاهِدَ لافِتَةً للنَّظر في وسط مدينة إنديانابوليس وأمام حشود السيرك عندما كُنتُ طفلًا.

هؤلاء كانوا أناسًا مُصابين ببريمة صغيرة مُفتَرِسة لا يمكن رؤيتها إلَّا تحت الميكروسكوب. فقرات الضحايا كانت ملحومةً ببعضها بعدما أكلت البرِّيمةُ اللَّحمَ بينها. بدا مرضى الزُّهَري بظهورهم المُنتَصِبَة وعيونهم التي تنظر إلى الأمام مباشرةً، في غاية الكبرياء.

رأيتُ أحدهم ذات مَرَّةٍ يقف على الرصيف في رُكنِ شارِعَيْ ميريديان وواشنطن، تحت ساعةٍ مُعلَّقَة كان أبي قد صَمَّمها. كان التَّقاطُع يُعرَف محليًّا باسم "مُفتَرَق طُرُق أمريكا".

كان مريض الزهري مُستَغرِقًا في التفكير، عند مُفتَرَق طُرُق أمريكا، في كيف يجعل قدمَيْه تنزلان عن الرصيف وتحملانه عبر شارع واشنطن. ارتجف برفقٍ، وكأنَّ هناك مُحرِّكًا صغيرًا يدور بِتكاسُلٍ داخِلَه. تلك كانت مُشكِلَته: خلايا مُخِّه، حيث التعليمات المُوجَّهة لقدميه تنشأ، كانت البريمات تأكلها حَيَّة. الأسلاك التي تحمل التعليمات لم تَعُد مَعزولَةً، أو أكلتها البرِّيمة أيضًا. والوصلات على طول الطريق باتت ثابِتَةً إمَّا على وضع التوصيل أو وضع القَطع.

بدا ذلك الرجل مثل شيخ في أرذل العمر، رغم أنه ربما كان في الثلاثين من عمره فقط. فكَّر وفكَّر مُطَوَّلًا، ثم ركل مَرَّتَين مثل فتاةٍ في جَوقَة.

بدا لي بلا شَكٍّ مثلَ آلةٍ عندما كنتُ طفلًا.

* * *

أميل أيضًا للتفكير في الناس كأنَّهم أنابيب اختبار مطَّاطِيَّة ضخمَة، تفور بداخلهم التفاعُلات الكيميائية. عندما كنت طفلًا، رأيتُ كثيرًا من الناس مُصابين بتضخُّم الغُدَّة الدَّرقيَّة، وكذا فعل دواين هوفر، تاجر سيَّارات البونتياك الذي هو بَطَلُ ذلك الكتاب. تلك الكائنات الأرضية التعيسة كانت غُدَدُهم الدَّرَقيَّة مُتورِّمة حتى بدوا وكأنَّ لديهم قرعًا عسليًا ينمو من حُلوقهم.

اتَّضح أنَّ كُلَّ ما كان عليهم فِعلُه ليحظوا بحياة طبيعية، كان تناوُلَ أَقَلَّ من واحدٍ على مليون أوقيَّة من اليود كُلَّ يوم.

دمَّرَت أُمِّي مُخَّها بالكيماويات التي كان يُفتَرَض أن تجعلها تنام.

عندما أكتئب؛ أتناول حَبَّةً صغيرة؛ فأبتهج مُجَّددًا.

وما إلى ذلك.

هكذا صار من المُغري لي -عندما أخلق شخصيَّةً لرواية- قول إنه في الحال الذي هو عليه بسبب توصيل أسلاكٍ خاطئ، أو بسبب كَمٍّ ميكروسكوبيٍّ من الكيماويات تَناوَلها أو نسي تناوُلَها في ذلك اليوم بعينه.

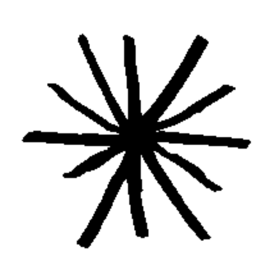
* * *

ماذا أشعر بالضبط حيال ذلك الكتاب بالذات؟ أشعر تجاهه بالسوء، لكِنِّي لطالما شعرتُ بالسُّوء حيالَ كُتُبي. وصف صديقي نوكس برجر ذات مرة رواية مُمِلَّة بأنها: "... تُقرأ وكأنَّ كاتِبَها فيلبويد ستدجَ". عندما أكتب ما يبدو أني مُبَرمَج أن أكتب، أشعر وأنني فيلبويد ستدج.

* * *

هـذا الكتـاب هـو هديتـي لنفـسي في عيـد ميـلادي الخمسـين. أشـعر وكأني أعـبر خَـطاً مُنتَصَـفِ سـطح منـزلٍ، بعدمـا تسـلَّقتُ أحـدَ جانِبَيْـه المُنحَدِرَيْـن.

أنـا مُبَرمَـج عـلى التَّـصرُّف بطفوليَّـةٍ عندمـا أصبـح في الخمسـين، عـلى إهانـة "العَلَـمِ ذي النُّجـوم المُتَلأْلِئَـة"، عـلى شـخبطة العَلَـمِ النَّـازِيِّ وفتحـة الـشَّرَج وأشـياء أخـرى عديـدة بقلـم لبّـاد. لأعطيكـم فكـرةً عـن مـدى نُضـج رسـوماتي في ذلـك الكتـاب، إليـك رَسـمَتي لفَتحَـةِ شَرَج:



* * *

أعتَقِـدُ أنَّـني أحـاول تنظيـف رأسي مـن كلِّ مـا فيـه مـن قمامـة، فتحات الـشَّرج والأعـلام والسراويـل الداخليـة. نعـم، هنـاك صـورة في ذلـك الكتـاب لـسروالٍ داخـليٍّ. وألقـي هنـا أيضًـا بشـخصيَّاتٍ مـن كُتُبِـي الأخـرى. لـن أقيـم أيَّ عـروضِ مَـسرَح عرائِـسَ أخـرى.

أعتقـد أني أحـاول تفريـغَ عَقـلي إلى الخَـواء الـذي كان عليـه عندمـا وُلِـدتُ في ذلـك الكوكـب التَّالِـفِ قبـل خمسـين عامًـا.

أظـنُّ ذلـك شـيئًا عـلى أغلـب الأمريـكان البيـض -والأمريـكان غـير البيـض، الذيـن يحاكـون البيـض- فِعلُـه. الأشـياء التـي وضعهـا الآخـرون في رأسي، بـأيِّ شَـكلٍ، لا تُلائِـمُ بعضَهـا كـما يجـب، وفي الغالـب قبيحـة عَدِيمـة النَّفـع، وغـير مُتَّسِـقَة مـع بعضهـا بعـض، وغـير متناسـبة مـع الحيـاة في الواقـع خـارج دماغـي.

ليس في مُخِّي ثقافة، ولا تَناغُمٌ إنسانيٌّ. لا أستطيع العَيشَ دون ثقافة بعد الآن.

* * *

إذن ذلك الكِتابُ هو رصيفٌ مُترَعٌ بالخُردَة، بقمامةٍ ألقيها من فوق كتفي فيما أسافر عائدًا بالزَّمَنِ إلى الحادي عشر من نوفمبر، ألف وتسعمائة واثنين وعشرين.

سأَصِلُ إلى وقتٍ في رحلتي العكسية كان الحادي عشر من نوفمبر فيه، والذي صادَفَ أنَّه يومُ مَولِدي، يومًا مُقدَّسًا يُدعى بيوم الهُدنَة. عندما كنتُ طفلًا، وكان دواين هوفر طفلًا، كان كُلُّ النّاس في كُلِّ البلاد الذين حاربوا في الحرب العالمية الأولى يصمتون في الدقيقة الحادية عشرة من الساعة الحادية عشرة من يوم الهُدنَة، والذي كان اليوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر.

وكان في خلال تلك الدقيقة من عام ألف وتسعمائة وثمانية عشرة، أنْ تَوقَّف ملايينُ وملايين البَشَرِ عن ذبح بعضهم. تحدَّثتُ مع بعض الشيوخ الذين كانوا في أرض المعركة خلال تلك الدقيقة. قالوا لي بشكل أو بآخر أنَّ الصَّمتَ المُفاجِئَ كان صوتَ الرَّبِّ. هكذا لا يزال بيننا بعض الرجال الذين بوسعهم تَذَكُّر متى تحدَّث الرَّبُّ بوضوحٍ للبشر.

* * *

يومُ الهُدنَةِ صار يَومَ المُحارِبين القُدامى.

يومُ الهُدنَةِ كان مُقدَّسًا.

يوم المُحاربين القدامى ليس كذلك.

إذن سـأُلقي بيـوم المحاربـين القدامـى مـن فـوق كتفـي، أمَّـا يـوم الهدنـة فسـأحتفظ بـه. لا أريـد الإلقـاء بالأشـياء المُقدَّسـة.

ما المُقدَّس غير ذلك؟ روميو وچولييت مثلًا.

والموسيقى كلها أيضًا.

فيلبويد ستدچ



١

هـذه حكايَـةُ لقـاءِ عَجوزَيْـن وحيدَيْـن نحيفَـيْن بِيـضِ البَـشرَة، عـلى كوكـبٍ يحتـضر بسرعـة.

أحدهـما كان كاتِـبَ خَيـالٍ عِلمـيٍّ يُدعَـى كيلجـور تـراوت، وكان آنـذاك نَكِـرَة، بحسـب حياتـه قـد انتهـت. لكنـه كان مُخطئًـا. فنتيجـة لذلـك اللقـاء؛ صـار مـن أكـثر الشـخصيات المحبوبـة والمُبَجَّلـة في تاريـخ البـشر.

والرجـل الـذي قابلـه كان تاجِـرَ سَـيَّارات بونتيـاك يُدعَـى دوايـن هوفـر، دوايـن هوفـر كان عـلى حافَّـة الجنـون.

* * *

اسمَعْ:

كان كُلٌّ مـن تـراوت وهوفـر مـن مُواطِنـي الولايـات المتحـدة الأمريكية، وهـو بَلَـدٌ يُدعَـى أمريـكا عـلى سـبيل الاختصـار. وذلـك كان نشـيدهم

الوطنـي -وهـو مجـرَّد كلامٍ فـارِغٍ- مثلـه مثـل كثـير مـن الأشـياء التـي كان عليهـم أخذهـا بجِدِّيَّـة:

"قُلْ، هل بوسعِكَ أن ترى مع شُعاع الفجر الأوَّل

ما نفخر به بشدَّة مع آخر بريقِ الشَّفَق

ذا الشرائط الواسِعَة، والنجوم السَّاطِعَة

الذي شاهدناه يُرَفرِفُ ببَسالَةٍ

خلال المعركة المحفوفة بالمخاطر وفوق الأسوار؟

دَلَّ وَهَجُ الصَّواريخ الأحمرُ ليلًا، وانفجارُ القنابِلِ في الهواء

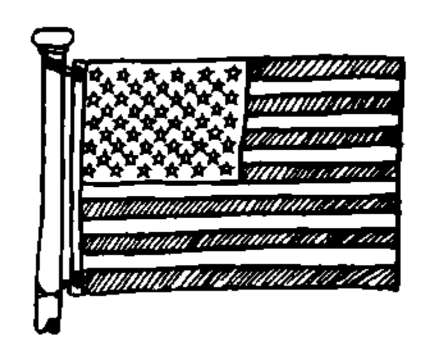
أنَّ عَلَمَنا لا يزال موجودًا

قُلْ، أَلَا تزالُ هذه الرَّايَةُ المَوَشَّحَةُ بالنُّجوم تُرَفرِفُ

على أرض الأحرار ومَوطِنِ الشُّجعان؟".

كان في الكـون دشـليون بلـد، لكـن البلـد الـذي جـاء منـه دوايـن هوفـر وكيلجـور كان الوحيـد الـذي يتكـوَّن نَشـيدُه الوطنـيُّ مـن تُرَّهـاتٍ مُرصَّعَـة بعلامات الاســتفهام.

هذا ما يبدو عليه عَلَمُ بَلَدِهم:



وكان في بلدهم قانونٌ عن العَلَمِ ليس له نَظيرٌ في أيِّ بَلَدٍ آخر على هذا الكوكب، يقول "لا يُنكَّس العَلَمُ أبدًا لأيِّ شخصٍ أو شيء".

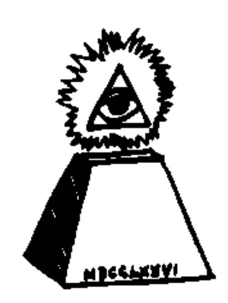
تَنكيسُ العَلَمِ هو نَوعٌ من التَّحِيَّة الوِدِّيَّة التي تَدلُّ على الاحترام، وفيها يُدَلَّى العَلَمُ على عصا إلى أن يقترب من الأرض، ثم يُرفَعُ مَرَّةً أُخرى.

* * *

شعار بلد دواين هوفر وكيلجور تراوت، الذي يعني "واحد من كثيرين" بِلُغَةٍ لا يتحدَّثها أحدٌ الآن، كان كالتالي "E pluribus unum".

ربَّما كان العَلَمُ الذي لا يُنكَّس ليكون شيئًا جميلًا، وربما ما كان النَّشيدُ الوَطنيُّ والشِّعارُ الأجوَفُ ليصيرا محَلَّ اهتمامٍ لهذه الدرجة، لولا التالي: كان كثيرٌ من المواطنين مُهَمَّشين ومخدوعين ومُهانين، لدرجة أنهم ظَنُّوا أنهم رُبَّما في بَلَدٍ آخر أو حتى على كوكبٍ آخر، وأن هناك خطأ شَنيعًا قد حدث بشكلٍ ما. لو كان النشيد والشعار قد ذَكَرَا شيئًا عن العدل أو الأخوة أو الأمل أو السعادة، ربما كانوا ليَطمَئِنُّوا قليلًا، وربما كان ذلك البلد ليُرَحِّبَ بهم في مجتمعه ومنشآته.

إن بحثوا في أوراق نقودهم عن دلالاتٍ تقودهم لِفَهمِ ما يعني به بلدهم حقًّا، لوجدوا -بين كثير من الزُّبالة الباروكيَّة- صورةً لهَرَمٍ مَبتورٍ، تعلوه عَيْنٌ مُشِعَّةٌ، مثل هذا:



ولا حتَّى رئيس الولايات المتحدة ذاته يعرف المغزى خلف كل هذا. وكأن هذا البلد يقول لمواطنيه "بالهُراءِ نستقوي" بدلًا من "بالله نَثِقُ".

* * *

كثيرٌ من هذا الهُراءِ جاء نتيجةً لِمُزاح الآباء المُؤَسِّسين لبلد دواين هوفْر وكيلجور تراوت؛ فقد كانوا أرستوقراطيِّين يرغبون في التَّباهي بتعليمهم عديم النفع، والذي كان عبارةً عن دراسة كثيرٍ من الهوكس بوكس القادم من أزمِنَةٍ سَحيقَةٍ. وكانوا أيضًا شُعراءَ مُقرِفين.

لكن بعض من هذا الهُراء كان شريرًا؛ لأنه أخفى في طَيَّاتِه جرائِمَ شَنيعةً. مَثَلًا: كتب مُدرِّسو الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية على ألواح الكتابة مرارًا وتكرارًا هذا التَّاريخَ، وطلبوا من الأطفال أن يحفظوه بسعادَةٍ وفَخرٍ:

1492

أخبر المُعلِّمون الأطفالَ أن ذلك كان وَقتَ اكتشافِ البَشَرِ لقارَّتِهم. في الواقع كان على القارة عام 1492 ملايينُ البَشَرِ يعيشون بالفعل حياةً كامِلَةً خلَّاقَة. تلك كانت ببساطة السَّنَة التي بدأ فيها قراصِنَةُ البحر في سرقة هؤلاء الناس وغِشِّهم وقَتلِهم.

إليكَ جُزءٌ آخر من الهُراءِ الشِّرِّير الذي يتعلَّمه الأطفال: في النهاية، أنشأ قَراصِنَةُ البحر حُكومَةً، ستصبح تلك الحكومة مَنارَةَ حُرِّيَّةٍ للبَشَر

في باقـي أرجـاء العـالم. كان هنـاك صُـوَرٌ وتماثيـلُ لهـذه المنـارة المُتَخَيَّلَـة كي يراها الأطفال، تبدو وكأنها قُمعُ آيس كريم يحترق، مثل هذا:



في الواقِـع، أكـثرُ قراصِنَـةِ البَحـرِ انخراطًا في إنشـاء الحكومـة الجديـدة، كانـوا يمتلكـون عبيـدًا. اسـتخدموا كائنـاتٍ بَشريَّـةً وكأنَّهـم آلاتٌ. وحتـى بعـد إلغـاء عبوديَّـةِ البَـشَر، لأنهـا كانـت أمـرًا مُحرِجًـا، اسـتمرَّ أولئـك وسُـلالَتُهم في اعتبـار البـشر العاديـين آلاتٍ.

* * *

كان قراصِنَـةُ البَحـرِ بيضًـا. ومَـن عاشـوا عـلى القـارة مـن النـاس قبـل قـدوم القراصنـة كانـوا بِلَـونِ النُحـاس. وعندمـا عَرَفَـت القـارَّةُ العُبوديَّـةَ، كان العبيـد سـودًا.

كان اللَّونُ كُلَّ شيء.

* * *

هـذه هـي الطريقـة التـي اسـتطاع عَبرَهـا القَراصِنَـةُ أَخـذَ مـا يرغبـون بـه مـن الجميـع: كان لديهـم أفضـلُ القَـوارِب في العالَـم، وكانـوا أكـثرَ شَراسَـةً مـن الجميـع، وكان معهـم بـارود، الـذي كان مَزيجًـا من البوتاسـيوم والنِّـترات والفحـم والكبريـت. عندمـا كانـوا يلمسـون هـذا المسـحوقَ الـذي يبـدو آمِنًـا بالنَّـار؛ يَتحـوَّل إلى غـازٍ بِعُنـفٍ. يُلقـي ذلـك الغـازُ بِمَقذوفاتٍ من الأنابيـب المعدنيّـة بسرعـاتٍ مُرعِبَـة، تخـترق المَقذوفـاتُ اللَّحـمَ والعَظـمَ بِسُـهولَةٍ. وهكـذا اسـتطاع القراصِنَـةُ تَحطيـمَ أسـلاك ومواسـير ومفصَّـلات أيِّ إنسـان "معَصلَـج" يَقِـفُ في طريقهـم، حتـى ولـو كان يَقِـفُ بعيـدًا، بعيـدًا للغايـة.

لكـنَّ سِـلاحَ القراصِنَـةِ الأَهَـمَّ، كان قُدرَتَهـم الفائِقَـةَ عـلى الإبهـار. لم يكـن هنـاك مَـن يُصـدِّق إلى أيِّ مَـدًى يُمكِـن أن يصـل جَشَـعُهم وقَسـوَةُ قُلوبِهـم، إلَّا بعـد فـوات الأوان.

* * *

في الوقـت الـذي التقـى فيـه دوايـن هوفـر وكيلجـور تـراوت، كان بلدهـم هـو الأغنـى عـلى الكوكـب بـلا مُنـازِع؛ إذ امتلَـكَ الكَـمَّ الأكـبرَ مـن الطَّعـام والمعـادن والآلات، وكان يُـؤدِّب البـلاد الأخـرى عـن طريـق تهديدهـم بضربهـم بالصواريـخ الكبـيرة وإلقـاء أشـياء مـن الطَّائِـراتِ عليهـم.

أمَّـا بَقيَّـة بـلاد العـالم، فلـم يمتلـك أغلَبُهـم حتـى الهـواء، والكثـير منهـم لم يَعُـد صالحًـا حتـى للمعيشـة. كان فيهـم مـن النـاس أكـثر مـمَّا يَسَـعُ المَـكانُ، وباعـوا كُلَّ مـا كان بوسـعهم بَيعُـه، ولم يَعُـد لديهـم مـا يأكلونـه. برغـم ذلـك لا يـزال النـاسُ يَتضاجَعـون طـوالَ الوقـت.

المُضاجَعَة: هي طريقَةُ صُنْعِ الأطفال.

* * *

كان كثيرٌ من الناس على هذا الكوكب البالي شيوعيِّين. وكانت لديهم نظرية تقول أن يَجِبَ مُشارَكَةُ ما تبقَّى من الكوكب بالتساوي بين كُلِّ الناس، الذين لم يطلبوا القُدومَ لهذا الكوكب المُهتَرِئ في المقام الأول. وفي الآن ذاته، يأتي العالَمَ طوالَ الوَقتِ مَزيدٌ من الأطفال، يركلون ويصرخون، ويطلبون اللَّبن.

في بعض الأنحاء، يحاول بعض الناس أكلَ الوَحلِ ومَصَّ الحَصَى، في الوقت الذي يُولَدُ فيه مَزيدٌ من الأطفال على بُعدِ أقدامٍ منهم.

وما إلى ذلك.

* * *

بلد دواين هوڤر وكيلجور تراوت، حيث كان لا يزال هناك وَفرَةٌ مِن كُلِّ شيء، كان يعارض الشيوعيَّة. لم يكن يُؤمِنُ أنَّ على الكائنات الأرضية -الذين يمتلكون الكثير- مُشارَكَةُ مُمتَلكاتِهم مع الآخرين، إلَّا برغبتهم الحُرَّة. وأغلبهم لم يرغبوا.

بالتالي لم يُضطرُّوا أن يفعلوا.

* * *

كان على الجميع في أمريكا أن يضعوا أيديهم على كل ما بوسعهم والتَّمسُّك به. بعض الأمريكان كانوا ماهرين في وَضعِ اليَدِ على الأشياء والتَّمسُّك بها، أولئك أصبحوا فاحِشي الثراء. أمَّا الآخرون، فلم يستطيعوا وَضعَ أيديهم حتى على الهواء.

كان دواين هوڤر عندما التقى كيلجور تراوت فاحِشَ الثَّراء. بهذه الكلمات بعينها هَمَسَ رَجُلٌ في أذن صديقه ذات صباح عندما مَرَّ أمامهم دواين هوڤر: "يا له من فاحِشِ الثَّراء".

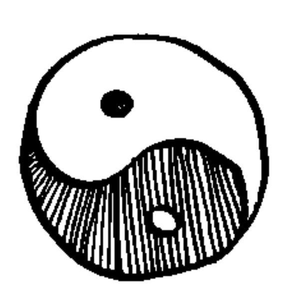
هـذا مقـدار مـا امتلكـه كيلجـور تـراوت مـن الكوكـب في هـذه الأيـام: ولا الهـواء.

والتقـى كيلجـور تـراوت ودوايـن هوفـر في مدينـة ميدلانـد، مسـقط رأس دوايـن، وكان ذلـك خـلال مِهرجـانِ الفنـون في خريـف 1972.

كـما قيـل مـن قبـل: دوايـن كان تاجِـرَ سـيَّارات بونتيـاك عـلى حافَّـة الجنـون.

سـبب جنـون دوايـن المُسـتَجَدُّ كان في الأسـاس مَسـألَةَ كيميـاء. صنـع جَسَـدُه نوعًـا مـن المـواد الكيماويـة أفقَـدَت عقلَـه اتِّزانَـه. لكـن دوايـن -مثـل كلِّ المخابيـل الجُـدُد- كان بحاجـة لبعـض الأفـكار السـيئة التـي تجعـل لجنونـه شـكل واتجـاه.

تُمثِّـل الأفـكارُ السـيئة والكيميـاء السَّـيِّئَة يِـنَّ الجنـون ويانْجَـهُ. الـيِّن واليانجُ هُما رَمزَا التَّناغُم عند الصينيين، هذا ما يبدوان عليه:



أفكار دواين السيئة جاءته من كيلجور تراوت.

لم يَعتَـبِر تـراوت نفسَـه غـير مـؤذٍ فَقَـط، وإنمـا خَفيًّـا أيضًـا. لم يُلْـقِ العالَـمُ لـه بـالًا حتـى حَسِـبَ نفسـه مَيِّتًـا.

تمنَّى لو كان ميِّتًا.

لكنَّ لِقاءَه بدواين، جعله يدرك أنه كان حيًّا بما يكفي ليوحي إلى إنسانٍ آخر بأفكارٍ سَتُحَوِّله إلى وحش.

هذه هي الفكرة المِحوَرِيَّة لِكُلِّ الأفكار السيئة التي منحها كيلجور لدواين: كل أهل الأرض روبوتات، باستثناء واحد: دواين هوفر.

من بين كل كائنات الكون، دواين وحده هو مَن يستطيع أن يُفكِّر ويشعر ويَقلَق ويُخطِّطَ، وما إلى ذلك. لا أحدَ سواه يعرف معنى الألم، لا يملك سواه الاختيار واتخاذ القرار. الجميع عَداه آلاتٌ مُؤَتْمَتَة، وظيفتهم الوحيدة هي تحفيزُ دواين. دواين هو نوعٌ جديد من الكائنات يَختَبِرُه خالِقُ الكَونِ.

لم يكن هناك مَن يملك إرادةً حُرَّةً عَدَا دواين هوفر.

* * *

لم يتوقَّع تراوت أن هناك مَن سَيُصدِّقه. وَضَعَ أفكارَه السَّيِّئة في روايةِ خيالٍ عِلميٍّ، وفيها وجدهم دواين. لم تُخاطِب الرِّوايَةُ دواين وحده، تراوت لم يعرف دواين حين كتبها. بل كانت تُخاطِبُ أيًّا مَن صادف وفتح صفحاتها. كانت تقول للجميع ببساطة: "مرحبًا، إليكِ مفاجأة: أنت الكائن الوحيد ذو إرادة حرة، ما رأيك في هذا؟"، وما إلى ذلك.

كانت mind game، كانت استعراضَ عَضلاتٍ.

لكنَّها بالنسبة لدواين كانت سمومًا عَقليَّةً.

* * *

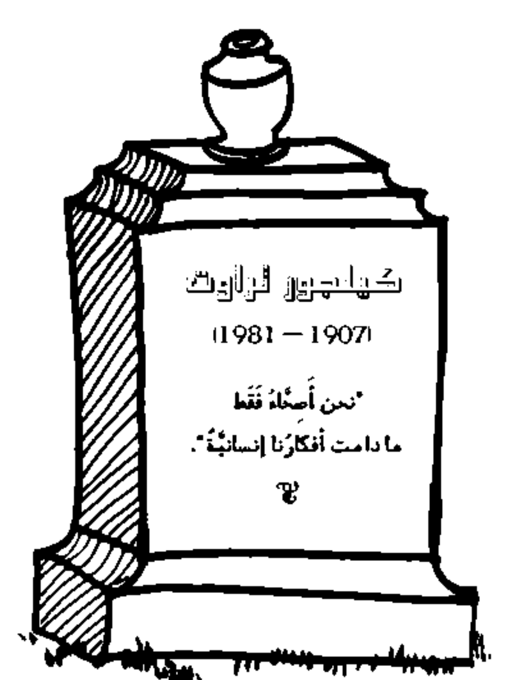
اهتزَّ كيانُ تراوت عندما أدرك أنَّه حتى هو تَسبَّب في جَلْبِ مَزيدٍ من الشَّرِّ على العالم بأفكاره السَّيِّئة. وبعدما وضعوا على دواين قميصَ المجانين وأودعوه المستشفى، صار تراوت مهووسًا بدَورِ الأفكار المُهِمِّ في الإصابة بالأمراض وعلاجها.

لكـنَّ أحـدًا لم يسـمعه؛ وصـار عجـوزًا مُحتَقَـرًا في البريَّـة، ينـادي بـين الأَجَمَـةِ والأحـراش: "إن وجـود الأفـكار، أو عـدم وجودهـا، يمكـن أن يصيب بالعِلَـل".

* * *

أصبـح تـراوت رائـدًا في مجـال الصِّحَّـة العقليـة، وطَـوَّر نظريَّاتـه المُتَنَكِّرة في هيئـة خيـالٍ علمـي. مـات عـام 1981، بعـد قُرابـة عشريـن عامًـا مـن إصابتـه لدوايـن بالمـرض.

أمـسى حينَهـا معروفًـا كفنَّـانٍ وعالِـمٍ عظيـم. فـوق رَمـادِه، أقامـت لـه الأكاديميَّـةُ الأمريكيَّـةُ للفَـنِّ والعلـوم نُصْبًـا تذكاريًّـا فـوق رمـاده. نُقِـشَ عليـه اقتبـاسٌ مـن روايتـه الأخـيرة، الروايـة رقـم مائتـين وتسـعة، تلـك التـي لم تكتمـل عنـد موتـه. هكـذا كان يبـدو النُّصـبُ التـذكاريُّ:



2

كان دوايـن أرمـلًا. يقـضي لياليـه وحيـدًا في منـزل أحـلامٍ عـلى مُرتَفَعـات فيرتشـايلد، أكـثر الأحيـاء السـكنية المرغوبـة في المدينـة. بنـاءُ منـزلٍ هنـاك يُكلِّـف مـا لا يَقـلُّ عـن مائـة ألـف دولار، ويقـع كل منـزل عـلى مـا لا يقـل عـن أربعـة فداديـن.

رفيـق ليـالي دوايــن الوحيــد، كان كلــب لابــرادور ريتريفــر، اســمه سـباركي. لم يسـتطع سـباركي هَـزَّ ذَيلِـه بسـبب حادثـة سـيارة منـذ بضـع سـنوات؛ لـذا لم يَكُـن لديـه طريقـة لإخبـار الـكلاب الأخـرى كـم هـو وَدود. هكـذا كان مضطـرًّا للشِّـجار طـوال الوقـت. صـارت أذنـاه كالخِـرَق الباليـة، وغطَّـت جسـده النـدوب.

* * *

كانت عند دواين خادمة سوداء تُدعَى لوتي دايڤز. كانت تُنظِّف له بيته كلَّ يوم، ثم تطبخ له عشاءه وتقدِّمه له. ثم تعود لبيتها. كان أسلافها عبيدًا.

لم يتبادل دواين ولوتي دايڤز الحديث كثيرًا، رغم أنهما أضمرا كثيرًا من الإعجاب لبعض. احتفظ دواين بأغلب أحاديثه للكلب. كان يتمدَّد على الأرض ويتدحرج مع سباركي، ويقول أشياء مثل: "أنا وأنت فقط يا سبارك"، و"كيف حال صديقي القديم؟"، وما إلى ذلك.

وظلَّ هذا الرُّوتينُ على حاله، حتى بعدما بدأ الجنون يغزو عَقلَ دواين؛ لذا لم تلاحظ لوتي ما يريب.

* * *

امتلك كيلجور تراوت ببَّغاءَ درَّة يُدعَى بيل. مثل دواين هوڤر، كان تراوت يقضي لياليه وحيدًا إلَّا من صُحبَةِ حيوانِه الأليف. تحدَّث تراوت أيضًا إلى حيوانه.

لكن بينما كان دواين يُثَرثِرُ إلى كلبه عن الحب، تحدَّث تراوت مع ببغائه عن نهاية العالم وسَخِرَ منها.

كان ليقول "ستَحدُث في أيِّ لحظةٍ الآن، حان وقتها".

كان لتراوت نظرية ترى أن الغلاف الجوي سيصبح غيرَ قابل للتَّنفُّس عمَّا قريب.

افترض تراوت أن في اللحظة التي سيصبح فيها الهواء سامًّا، سينقلب بيل على ظهره قبل أن يحدث ذلك لتراوت نفسه بدقائق، واعتاد مُمازَحَة بيل بهذا الشأن. قال أشياء على غرار "كيف حال جهازِكَ التَّنفُّسيِّ يا بيل؟"، أو "يبدو أنك على وشك الإصابة بالانتفاخ الرِّئَوي يا بيل"، أو "لم نتحدَّث من قبل عن تفاصيل الجِنازة التي تُفضِّلها يا بيل، إنَّكَ حتى لم تخبرني بديانَتِكَ". وما إلى ذلك.

قال لبيل إنَّ البشرية تستحقُّ ميتةً شنيعة؛ بسبب سلوكها المُتوحِّش المُسرِف تجاه هذا الكوكب الجميل. يقول: "كلنا هليوجابالوس يا بيل". كان هذا اسم إمبراطورٍ رومانيٍّ جعل نحَّاتٍ يَصنَعُ له تمثالًا أجوفَ، عبارة عن ثَورٍ حديديٍّ بالحَجمِ الطَّبيعيِّ، له بابٌ يُمكِنُ غَلقُه من الخارج. وكان فَمُ الثَّورِ مفتوحًا، وتلك كانت الفَتحَةَ الوحيدة الأخرى للخارج.

كان هليوجابالوس يضع كائنًا بشريًّا في الثور عبر الباب، ثمَّ يُغلِقه. أي صوتٍ يُصدِره ذاك الإنسانُ في الداخل يخرج من فم الثور. كان هليوجابالوس يقيم الحفلات اللطيفة ويدعو الضيوف، ويُقدِّم الوَلائِمَ والنَّبيذ والنساء الجميلة والغِلمانَ الوُسَمَاء، ثم يُكلِّف هليوجابالوس خَدَمَه بإيقاد النار في الأخشاب الجافَّة الموجودة تحت الثَّور.

* * *

كان لتراوت عادةٌ أخرى قد يَعُدُّها بعض الناس من غرابة الأطوار: تسمية المرايا مَسالِك. تَسلَّى بالتَّظاهُر أن المرايا هي فتحاتٌ بَينَ عالَمَيْن.

إذا رأى طفلًا بالقُرب من مرآة، قد يلوِّح له بإصبعه مُحذِّرًا، ويخبره بجدِّيَّة شديدة: "لا تقترب من ذلك المَسلَكِ، أنت لا تُحبُّ أن ينتهي بكَ الحال في العالم الآخر، أليس كذلك؟".

أحيانًا، قد يقول أحدهم في حضوره: "المَعذِرَة، أنا ذاهِبٌ للتَّسليك". وكانت هذه طريقة يُعبِّر بها المُتحدِّث عن نِيَّتِه تصريفَ الفَضَلات السائلة من جسده عبر صمام أسفل بطنه.

يجيب تراوت على هذا مازِحًا: "من حيث جِئتَ! يعني هذا أنَّكَ على وشك سرقة مرآة".

وما إلى ذلك.

مـع حلـول موعـد وفاتـه، بالطَّبـع، بـات الجميـع يُسـمُّون المرايـا مَسـالِكَ؛ مـا يوضِّـح إلى أي مَـدًى صـارت حتـى نِكاتُـه مَوضِـعَ تبجيـل.

* * *

عـام 1972، عـاش تـراوت في شـقَّةٍ قَبـوٍ بمدينـة كوهـوس في نيويـورك. أَكْلُ عيشـه كان مـن عملـه في تركيـب نوافـذ الريـاح والسـتائر الألومنيـوم. لم يكـن لـه أيُّ علاقـة بجانـب المبيعـات في عملـه؛ إذ لم يمتلـك أيَّ جاذبيـة. الجاذبيـة هـي مُخطَّـطٌ لجَعـلِ الغُرَبـاء يَثِقـون في الشـخص بسرعـة، أيًّـا كانـت نوايـا الجَـذّاب الحقيقيـة.

* * *

كان دواين هوفر جذّابًا جدًّا.

* * *

بوسعي أن أصير جذابًا جدًّا إن أردتُ.

* * *

يوجد كثير من الناس الجذّابين جدًّا.

* * *

لم يكـن عنـد ربِّ عمـل تـراوت وزمـلاؤه أدنى فكـرةٍ عـن كونـه كاتبًـا. لم يسـمع بـه أيُّ نـاشِرٍ محـترم أيضًـا، مـع أنـه كان قـد كتـب مائـةً وسـبعَ عـشرةَ روايـة، وألفَـيْ قِصّـة قصـيرة عندمـا قابـل دوايـن.

لم يصنـع نسـخًا كربونيَّـةً لأي شيء كتبـه. أرسـل مخطوطاتِـه بـلا مظاريـفَ مُحكَمَـةٍ ذات طوابـع تَضمَـنُ الـرَّدَّ الآمِـنَ للمُرسِـل. أحيانًـا، لم يضـع حتـى عنوانًـا لاسـتعادة البريـد. كان قـد جمـع أسـماء وعناويـن الناشريـن مـن المجـلّات المُتخصِّصـة في عـالم الكتابـة، التـي كان يقرأهـا

بنَهَـمٍ في أقسـام الدوريـات بالمكتبـات العامَّـة. بهـذه الطريقـة اسـتطاع الوصـول لشركـة تُدعـى مكتبـة الكلاسـيكيّات العالميـة، والتـي كانـت تنـشر محتـوًى إباحيًّـا عنيفًـا بمدينـة لـوس أنجلـوس في كاليفورنيـا. اسـتخدموا حكاياتـه، التـي لم يكـن فيهـا حتـى أيُّ نِسـاءٍ عـادةٍ، لإضافـة سُـمْكٍ لكُتُبِهـم ومجلّاتهـم المُخصَّصـة للصـور الشَّـهوانية.

لم يخـبروه أبـدًا أيـن يسـتطيع إيجـاد مـا كتـب مطبوعًـا. هـذا مقـدار مـا دفعـوه لـه: ولا الهـواء.

* * *

لم يرسـلوا لـه حتـى نسـخًا عـلى سـبيل الهديـة مـن الكتـب والمجـلّات التـي ظهـر فيهـا؛ مـا جعلـه مضطـرًّا للبحـث بنفسـه عنهـم في المتاجـر الإباحيّـة. وفي الغالـب كانـت العناويـن التـي يضعهـا لحكاياتـه تتغـيَّر. هكـذا تَحـوَّل (الزعيـم القَـشِّيُّ العابِـرُ للمجـرَّات) إلى (فـم مجنـون).

لكـن أكـثر مـا كان يُربِـكُ تـراوت، كانـت الأشـكالَ التـي يختارهـا النـاشرون، والتـي لم يكـن لهـا أي علاقـة بحكايتـه. فمثـلًا كتـب مـرَّةً روايـةً عـن كائـنٍ أرضيٍّ يُدعَـى ديلمـور سـكاچ، أعـزب في حـيٍّ ينتمـي الجميـعُ فيـه إلى عائـلات ضخمـة. وكان سـكاچ عالِـمًا، واكتشـف طريقـةً يُعيـدُ بهـا إنتـاجَ نفسـه في حسـاء الدجـاج. كان يكحـت خلايـا حَيَّـةً مـن يـده اليمنـى، ويمزِجُهـا بالحِسـاء، ويُعـرِّض الحسـاء للأشـعة الكونيـة. عندهـا تتحـوَّل الخلايـا إلى أطفـال يشـبهون ديلمـور سـكاچ تمامًـا.

وبسرعـة، أخـذ ديلمـور ينجـب عـدَّةَ أطفـالٍ في اليـوم الواحـد، ويدعـو جيرانـه ليشـاركهم فَخـرَه وفرحـه. وأقـام حفـلات تعميـد جماعـيٍّ لمائـةٍ مـن أطفالـه في كل مـرَّة. وصـار مشـهورًا بكونـه رَجُـلًا ذا أُسرَة.

وما إلى ذلك.

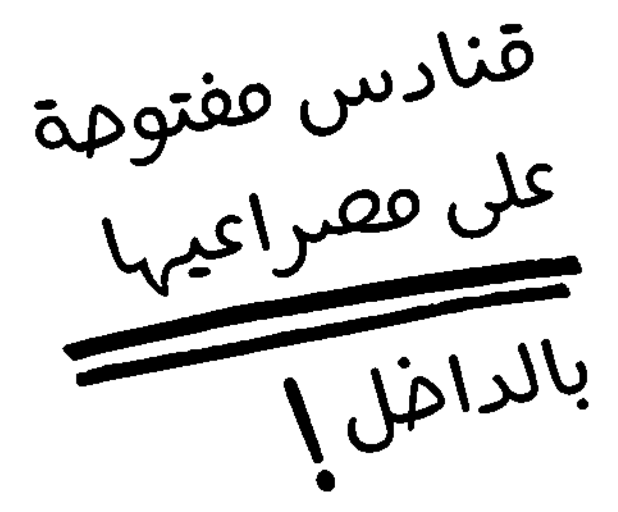
* * *

تمنَّى سكاچ أن يدفع الدَّولَةَ لِسَنِّ تشريعاتٍ تَحدُّ من العائلات الكبيرة بشكل مُفرِط، لكنَّ المُشَرِّعين والمحاكم رفضوا مُواجَهةَ المشكلة بشكلٍ مباشر. وبدلًا من ذلك وضعوا قوانينَ صارِمةً ضِدَّ حيازة شخصٍ غير مُتزوِّجٍ لحِساء الدَّجاج.

وما إلى ذلك.

الأشكال المُرفَقَة بهذا الكتاب كانت صُوَرًا مُعتِمَةً لِعدَّة نساء بِيضٍ، يُمارِسنَ الجنس الفمويَّ مع رَجُلٍ أسودَ واحدٍ يرتدي -لسَببٍ ما- قُبَّعَةً مكسيكيَّة.

في الوقت الذي قابل فيه دواين هوفر، أكثر كتب تراوت انتشارًا كان (وباء على عَجَل). لم يُغيِّر ناشِرُه العنوان، لكنه طَمَسَ أَغلَبَه واسم تراوت بالكامِلَ، بشريطٍ مُتوَهِّجٍ ضَخمٍ يعد بالتالي:



قُندسٌ مَفتوحٌ على مصراعَيْه يعني صورةً لامرأةٍ لا ترتدي لِباسَها الداخليّ، وساقاها مفتوحتان على اتِّساعِهما؛ ما يجعل فَمَ فَرجِها مَرئيًّا للنَّاظرين. أول مَن استخدم هذا التعبير كان مُصوِّرو الأخبار، الذين كان بوسعهم -عادةً- رؤية ما تحت تنانير النساء في أثناء الحوادث والمناسبات الرياضية، ومن تحت سلالم طوارئ الحريقِ، وما إلى ذلك. كانوا بحاجة إلى كلمة شَفرَةٍ يصيحون بها لرفاق الصَّحافة ورجال الشرطة المألوفين وما إلى ذلك؛ ليخبروهم أن بوسعِهم رُؤيَتَه. وتلك كانت الكلمة: قندس.

القُندسُ في الحقيقة هو حيوانٌ قارِضٌ كبير، أحبَّ المياهَ، وبنى السُّدود، وكان يبدو كالتالي:



أمَّا نَوعُ القنادس الذي أثار اهتمامَ مُصوِّري الأخبار لهذه الدرجة فيبدو كالتالي:



وهو المكان الذي يأتي منه الأطفال.

* * *

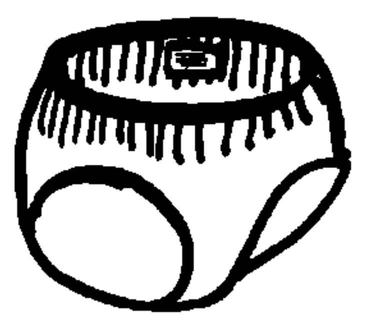
عندما كان دواين طفلًا، وعندما كان كيلجور تراوت طفلًا، وعندما كنتُ أنا طفلًا، وحتى عندما صِرنا رجالًا في منتصف العمر وأكبر، كان على الشُّرطَةِ والمحاكم المُحافَظَةُ على مثل هذه الثغور العادِيَّة من التمحيص والمناقشة، من قِبَلِ أشخاصٍ ليسوا مُنخَرِطين في مُمارَسَةِ الطِّبِّ. بشكلٍ ما، تَقَرَّر أن القنادس المفتوحة على مصراعيها، والتي كانت مُنتَشِرَةً أكثرَ من القنادس العادية عشرات الآلاف من المرات، يجب أن تصبح أكثرَ الأسرار المَحميَّة بواسطة القانون.

هكذا كان هناك هَوَسٌ فيما يَخصُّ القنادس المفتوحة على مصراعَيْها. وكان هناك هوسٌ أيضًا بخصوص معدن لَيِّنٍ ضَعيف، عنصر صار بِشكلٍ ما أكثر العناصِرِ المطلوبة: الذَّهَب.

* * *

وعندما كنتُ ودواين وتراوت أطفالًا، امتدَّ الهَوَسُ بخصوص القنادس المفتوحة على مصراعيها إلى الألبِسَةِ الدَّاخِليَّة أيضًا. أخفت البناتُ ألبِسَتَهُنَّ الداخلية بأيِّ ثَمَنٍ، وسعى الأولاد لرؤيتها بأي ثمن.

هذا ما كان يبدو عليه لباسُ البنات الداخليُّ:



مـن أوَّل الأشـياء التـي تَعلَّمهـا دوايـن في المدرسـة عندمـا كان طفـلًا، كان في الواقِعِ قصيـدة يتوجَّـب عليـه تلاوتهـا صارخًـا، إن رأى لبـاس فتـاة داخـلي بالصُدفَـة في سـاحة اللَّعِـب. علَّمهـا لـه باقـي التلاميـذ، وكانـت كالتـالي:

أرى إنجلترا

أرى فرنسا

أرى لِباسَ فتاةٍ صغيرة.

عندمـا تسـلَّم كيلجـور تـراوت جائـزة نوبـل في الطـب عـام 1979، أعلن: "البعـض يقولـون إنـه لا يوجـد شيء اسـمه تَطـوُّر. أعـترف أننـي أَجِـدُ في حقيقـة أن البـشر هـم آخـر الحيوانـات المتبقيـة عـلى وجـه الأرض الآن، نوعًـا مـن الانتصـار المُربِـك. مـن عـرف منكـم طبيعـةَ أعـمالي المنشـورة قديمًـا سـيفهم لمـاذا حَزَنـتُ بشَـكلٍ خـاصٍ عندمـا مـات آخـر القنـادس.

لكــن، عندمــا كنــتُ طفــلًا، كان هنــاك وَحشَــان يشــاركاننا في هــذا الكوكـب، أحتفـل اليـوم بانقراضهـم. كانـا يعتزمـان قَتلَنـا، أو عـلى الأقـل: نـزع المعنـى مـن حياتنـا. وكادا أن يَنجَحَـا. كانـا مـن أقـسى الخصـوم، ولم يكـن أصدقـائي القنـادس الصغـار أحدهـما. الأُسـود؟ كَلَّا، النُّمـور؟ كلَّا. كان الأُسـودُ والنُّمـورُ نائمـةً أغلـبَ الوقـت، أمَّـا مَـن أعنيهـم مـن الوحـوش لم يَغفَـلَا أبـدًا، بـل عاشـا في عقولنـا. كانـا الشَّـهوةَ الاعتباطيَّـةَ للذهــب و -ليرحمنـا اللـه- للنَّظَـر إلى ملابـس الفتيـات الصِّغـار الداخليَّـة.

أشــكر هاتـين الرَّغبَتَـيْن عـلى كونهـما تافِهَتَـيْن إلى هـذه الدرجـة؛ لأنَّهـما علَّمانـا كيـف يمكـن أن يعتقـد الإنسـانُ في شيء، ويمـضي في طريقـه بحـماس مُحافِظًـا عـلى هـذا الاعتقـاد... أي اعتقـاد.

والآن، بوسـعنا بنـاء مجتمـع غـير أنـاني، مـن خـلال تكريـس هـذا الحـماس، الـذي انشـغل مـن قبـل في السـعي المحمـوم خلـف الذهـب والملابـس الداخليـة، نحـو الإيثـار".

توقَّـف لِثانِيَـةٍ، ثـم تـلا بـأسًى سـاخِرٍ مُسـتَهِلًا قصيـدةً، كان قـد تَعلَّـم الـصُّراخَ بهـا عندمـا كان طفـلًا في برمـودا. كانـت قصيـدة مؤثِّـرَةً جـدًّا، خاصَّـةً وأنهـا ذَكَّـرَت بلديـن لم يعـودا موجودَيْـن كـما كانـا، فقـد قالـت "أرى إنجلـترا" و"أرى فرنسـا".

* * *

في الحقيقـة، كانـت قيمـة ملابـس النسـاء الداخليـة قـد انخفضـت للغايـة في وقـت المقابلـة التاريخيـة بـين دوايـن هوفـر وتـراوت. أمَّـا سـعر الذهـب فظـلَّ في زيـادة.

صـور ملابـس النسـاء الداخليـة لم تُسـاوِ حتَّـى قيمـة الـورق المطبوعـة عليـه، وحتـى أفـلام القنـادس المفتوحـة عـلى مصراعيهـا المُلوَّنـة، المُتحرِّكـة، عالِيَـة الجـودة- كانـت عـلى الأرفُـفِ تَتوسَّـل للزبائـن أن يشـتروها، بـلا مُجيـب.

ذات يـوم، كانـت النسـخة مـن كتـاب تـراوت الأشـهر في ذاك الوقـت (وبـاء عـلى عَجَـل) تُبـاع باثنَـيْ عَـشَرَ دولارًا، لمـا فيهـا مـن صـور. أمَّـا الآن فهـي تُبـاع بـدولارٍ واحـد، وحتـى مَـن يدفعـون ذلـك الثمـن لا يفعلـون لأجـل الصـور، وإنمـا لأجـل الكلـمات.

* * *

كانـت الكلـمات في الكتـاب -بالصُّدفَـة- عـن الحيـاة على كوكـب يحتضر يُدعَـى "لينجـو- ثلاثـة"، والـذي كان سُـكَّانُه يُشـبِهون السيارات الأمريكيـة. كان لهـم عَجَـلاتٌ، ويعملـون بمُحـرِّكات احـتراقٍ داخليـة، ويأكلـون الوقـود الأحفـوري. لكنهـم لم يكونـوا مُصنَّعـين، بـل كانـوا يتكاثـرون. وضعـوا

البَيـضَ الـذي يحتـوي عـلى سـيارات صغـيرة، ويُرعـى الصِّغـار في أحـواضٍ مَليئَـةٍ بالزيـوت المسـحوبة مـن مُحـرِّكات السـيارات البالغـة.

زار "لينجـو- ثلاثـة" رَحَّالَـةٌ فضائيـون، الذيـن عرفـوا أن كائناتـه في طريقهـم للانقـراض للسـبب التـالي: دَمَّـروا مـوارِدَ كوكبهـم، بمـا فيهـا غلافهـم الجـوي.

لم يكـن لـدى الرَّحَّالـة الفضائيِّـين الكثـيرُ ليُقدِّمـوه عـلى سـبيل المسـاعدة الماديـة. تمنَّـى "السُّـكَّانُ السـيَّاراتُ" لـو كان بوسـعهم اسـتعارة بعـض الأكسـجين، والاسـتعانة بالـزُّوَّار لحمـل بيضـة واحـدة عـلى الأقـل مـن بيضهـم لكوكـب آخـر، حيـث ربمـا تسـتطيع أن تفقـس، وتبـدأ حضـارة سـيَّارات جديـدة. لكـنَّ أصغـرَ بيضـة لديهـم وزنهـا 22 كيلـو، أمَّـا الرَّحَّالَـةُ الفضائيُّـون فـلا يزيـد طـول الواحـد منهـم عـن البوصـة الواحـدة، وحجـم سـفينَتِهم الفضائيـة كلهـا لم يَبلُـغ حتـى حَجـمَ صنـدوقِ أحذيـةِ كائنـاتٍ أرضيـة. كانـوا مـن زيلتولديمـار.

المُتحـدِّث باسـم الزيلتولديماريـين كان كاچـو. قـال كاچـو إنَّ كُلَّ مـا بوسـعه عملـه هـو إخبـار باقـي سُـكَّان الكـون عـن كيـف كانـت الكائنـات السـيَّارات رائعـة. هـذا مـا قالـه لتلـك الخُـردَة الصَّدِئَـة التـي نَفَـد وَقودُهـا: "سـترحلون عـن الحيـاة، لكنَّـكُم لـن ترحلـوا عـن الذاكـرة".

الصـورة المُصاحِبَـة لتلـك اللحظـة مـن القصـة كانـت لفتاتـين صينيَّتَـيْن متشـابهتين، ربمـا كانتـا توأمًـا مُتطابِقًـا، جالسَـتَيْن عـلى أريكـة، وأرجُلهـما مفتوحـة عـلى مصراعيهـا.

* * *

وهكـذا، سـعى كاچـو ورفاقـه الزيلتولديماريُّـون الصغـار، الذيـن كانـوا جميعًـا مِثليِّـي الجِنـسِ، في أرجـاء الكـون، مُحافِظـين عـلى ذكـرى كائنـات السـيارات حيَّـةً. وأخـيراً وصلـوا إلى كوكـب الأرض، وبمنتهـى الـبَراءَةِ أخـبر

كاچـو الأرضيِّـين عـن السـيارات. لم يعـرف كاچـو كـم كانـت الكائنـات البشرية هَشَّـةً يمكـن الفَتـكُ بهـا بسـهولة عـبر فكـرَةٍ واحـدة، مثـل الكوليرا أو الطاعـون. لم يَكُـن في الأرض مَناعَـةٌ ضِـدَّ الأفـكار البلهـاء.

* * *

وهـذا كان سَـبَبَ عَـدمِ قُـدرَةِ البـشر عـلى رفـض الأفـكار لِسـوئها، طبقًـا لـتراوت: "الأفـكار عـلى الأرض كانـت علامَـةً عـلى الصَّداقـة أو العـداوة، محتواهـا لا يهـم. يُوافِـقُ الأصدقـاءُ أصدقاءَهـم للتعبـير عـن صداقَتِهـم، ويعـترض الأعـداء عـلى أعدائِهـم للتعبـير عـن عَداوتهـم.

لمئـات آلاف السـنين، لم تُشـكِّل الأفـكارُ التـي اعتنقهـا البَـشَرُ فارِقًـا، بمـا أنهـم لم يَكُـن بوسـعهم فِعـلُ شيءٍ إزاءَهـا عـلى أي حـال. قـد تكـون الأفـكارُ عَلامَـةً عـلى أي شيء.

لدرجـة أنهـم كان لديهـم قَـولٌ مأثـور يُعـبِّر عـن عُقـمِ الأفـكار: "لـو كانـت الأمـاني أَحصِنَـةً، لَرِكَـبَ الشَّـحاذون".

ثـم اكتشَـفَت الكائنـاتُ الأرضيَّـةُ الأدوات. وفجـأةً، صـار مـن المُمكِـن أن تصـير موافَقَـةُ الأصدقـاء نوعًـا مـن الانتحـار أو مـا هـو أسـوأ. لكـنَّ الموافقـات اسـتمرَّت، ليـس عـلى سـبيل الحصافـة العامَّـة، أو حُسـنِ الخُلُـق، أو الحفـاظ عـلى الـذات- وإنمـا لإظهـار الصَّداقـة.

اسـتمرَّ الأرضيُّـون في الحفـاظ عـلى صداقتهـم، في الوقـت الـذي كان عليهـم أن يقضـوه في التفكـير بـدلًا مـن ذلـك. وحتـى عندمـا صنعـوا الحواسـيب لتفكِّـر بـدلًا منهـم، جعلـوا هدَفَهـا الصَّداقَـةَ، لا الحِكمَـة؛ لهـذا كُتِـب عليهـم الهَـلاكُ، وصـار بوسـع الشَّـحاذين القَتَلَـة الركـوب".

3

خـلالَ القَـرن التـالي لوصـول كاچـو الصغـير إلى الأرض، طبقًـا لروايـة تـراوت، كانـت كُلُّ أشـكال الحيـاة عـلى مـا كان ذاتَ يـومٍ كوكـبٌ "أزرق-أخـضر" سِـلميٌّ مُبتَـلٌّ عامِـرٌ بالغـذاء- إمَّـا ميتـة أو تمـوت. كانـت هيـاكل الخنافـس العظيمـة التـي صنعهـا البَـشَرُ وعبدوهـا في كل مـكان. كانـت الخَنافِـسُ سـيَّارات، وقَتَلَـت هـذه السَّـيَّاراتُ كُلَّ شيء.

مـات كاچـو الصغـير نفسـه قبـل مـوت الكوكـب بفـترة طويلـة. كان يحـاول إلقـاءَ خُطبَـةٍ عـن شرور السـيارات في حانَـةٍ بديترويـت. لكنـه كان شـديدَ الصِّغَـرِ، ولم يأبـه بـه أحـدٌ. تمـدَّد ليرتـاح للحظـة، وحَسِـبَه عامِـلٌ ثمِـلٌ في مصنـع سـيَّارات عُـودَ كبريـت؛ فقَتَلَـه بضربِـهِ عِـدَّةَ مَـرَّاتٍ في الجانـب السـفلي مـن المائـدة ليُشـعِلَه.

* * *

تلقَّى تراوت رسالَةً واحِدَةً من مُعجَبٍ قبل 1972. كانت من مليونير غريب الأطوار، استعان بوكالة تحرِّيات خاصَّةٍ لتَعرِفَ مَن هو وأين هو. تراوت كان خفيًّا لدرجة أن تكلفة البحث عنه بلغت ثمانية عشر ألف دولار.

وصل الخطاب لتراوت في قَبوِهِ بكوهوس. كان مكتوبًا بخطِّ اليد، واستنتج تراوت أن كاتِبَه رُبَّما في الرابعة عشرة من عمره أو شيء من هذا القبيل. قال الخطاب إن "وباء على عَجَل" هي أعظم رواية في اللغة الإنجليزية، وأن تراوت يجب أن يصبح رئيسًا للولايات المتحدة.

قرأ تراوت الخطاب بصوت عالٍ لببغائِه. قال: "يبدو أن الأمور تتحسَّن يا بيل، لَطالما عَلِمتُ أنها ستفعل. اسمع يا سيدي". ثم قرأ الخطاب. لم يكُن هناك ما يشير في الخطاب أن كاتبه -الذي كان اسمه إليوت روزوتر- شَخصٌ ناضِج، وفاحِشُ الثَّراء.

* * *

بالصُّدفَة، لم يكن من الممكن أن يصبح كيلجور تراوت رئيسًا للولايات المتحدة دون تعديلٍ دستوريٍّ؛ فهو لم يولَد داخل البلد، مَحَلُّ ميلاده كان برمودَا. رغم أن والده ليو تراوت ظَلَّ مُواطِنًا أمريكيًّا، إلَّا أنه عمل هناك سنواتٍ عديدةً لصالح الجمعية المَلَكيَّة لعلم الطيور، في حراسة مكان التعشيش الوحيد لنسور برمودا. نسور البحر العظيمة الخضراء تلك انقرضت في النهاية، برغم كل شيء حاول فِعلَه أيُّ شخص.

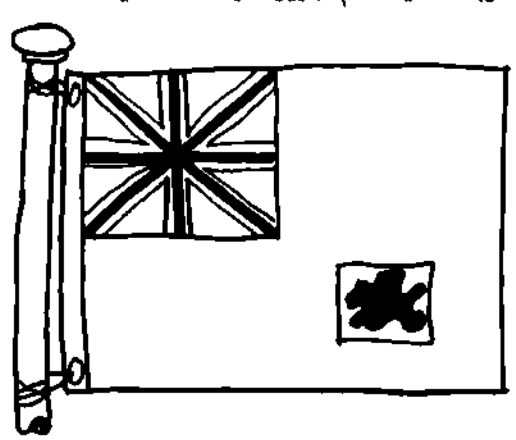
* * *

رأى تراوت في طفولته هذه النسور تموت، واحدًا تلو الآخر. كلَّفه والِدهُ بمَهمَّةٍ كئيبة: قياس امتداد أجنحة الجُثَث. تلك كانت أضخم الكائنات التي طارت بقدرتها الذاتية على الكوكب. وآخِرُ جُثَّةٍ كان

لجناحَيْها أطول امتداد على الإطلاق: تسع عشرة قَدَمًا وبوصتان وثلاثة أرباع بوصة.

بعد موت كُلّ النسور، عُرِف في النهاية ما قتلهم. الفِطريَّاتُ، التي هاجَمَت أعيُنَهم وأَمخاخَهم. أحضر البَشَرُ الفِطريَّاتِ معهم إلى مُستَعمَرات الطيور مُتَنكِّرَةً ببراءَةٍ على هيئة القَدَم الرِّياضيَّة[1].

هذا ما كان يبدو عليه عَلَمُ جزيرة تراوت الأصلية:



* * *

هكذا حظي كيلجور تراوت بطفولَةٍ كئيبة، برغم كلِّ الشمس المُشرِقة والهواء النَّقيّ. على الأرجح تعود جذور التشاؤم الذي أثقله في حياته اللاحقة، الذي دمَّر زيجاتِه الثلاثَ، ودفع بابنه الوحيد، ليو، إلى الرحيل عن البيت في سِنِّ الرابعة عشرة، إلى السَّماد العضوي من جُثَثِ النسور المتعفِّنة.

* * *

(1) القَدَمُ الرياضيَّة athlete's foot: عدوى فِطريَّة تَظهَرُ عادةً بين أصابع القدم. وتنتشر بالأخَصّ بين الذين تتعرَّق أقدامهم بإفراطٍ بينما يرتدون أحذيةً ضَيِّقَة. [المترجم]

جاءت رسالة المُعجَبِ مُتأخِّرًا جدًّا. لم تكن أخبارًا طيِّبَةً. تلقَّاها كيلجور تراوت كاقتحامٍ لخُصوصيَّتِه. وعد روزوتر في خطابه بجَعل تراوت شهيرًا. هذا كل ما قاله تراوت عن الأمر، أمام جمهور مُكوَّنٍ من ببغائه فقط: "أَبْقِ بعيدًا عن كيث جُثَّتي بحقِّ الجحيم".

كيس الجُثَثِ كان مُغلَّفًا بلاستيكيًّا ضَخمًا للجُنديِّ الأمريكي الذي مات لِتَوِّه. كان اختراعًا جديدًا.

* * *

لا أعرف مَن الذي اخترع كيس الجُثَث، لكني أعرف مَن اخترع كيلجور تراوت: أنا.

جَعَلتُه مُتعرِّجَ الأسنان، أعطَيتُه شَعرًا، لكنِّي جعَلتُه أشيَبَ. لم أتركه يُسرِّحه أو يذهب إلى حَلَّاق، جعلته ينمو ويتجعَّد.

أعطَيتُه الأَرجُلَ التي أعطاها خالِقُ الكون لأبي عندما صار عجوزًا مثيرًا للشفقة. كانتا عَصَوَيْ مِكنَسَةٍ بَيضاوَيْن شاحِبَتَيْن، كانتا بلا شَعرٍ، كانتا مُزَخرَفَتَيْن بالدَّوالي الوَريديَّة.

وبعد شهرين من تَلقِّي تراوت أوَّلَ رسالَةٍ من مُعجَب، جعلته يجد في صندوق بريده دعوةً ليكون من المُتحدِّثين بمهرجان فنون بالغرب الأمريكي الأوسط.

* * *

الخطاب كان من رئيس المهرجان، فريد تي. باري. احترم تراوت إلى حَدِّ التبجيل. ناشَدَه أن يكون واحدًا من عِدَّة مُشاركين مُميَّزين في المهرجان قادمين من خارج المدينة. المهرجان الذي سيدوم لخمسة أيام، سيحتفل بافتتاح مركز ميلدريد باري التذكاري للفنون بمدينة ميدلاند.

لم يَقُل الخطابُ ذلك، لكنَّ ميلدريد باري كانت الأمَّ الراحلة لرئيس المهرجان، وأغنى رَجُلٍ في ميدلاند. دفع فريد تي. باري لإنشاء مركز الفنون الجديد، والذي كان كُرةً شفَّافَةً على أعمدة، بلا نوافذ. عندما يُضاءُ في الليل، كان يبدو كقَمَرِ الحصاد المُكتَمِل.

كان فريد تي. باري بالصُّدفَة في نفس عمر تراوت. كان لهما نفس يوم الميلاد. لكنهما بكل تأكيد لم يُشبِها بعضًا في شيء. فريد تي. باري لم يَعُد حتى يبدو كرَجُلٍ أبيضَ، رغم أنه من سُلالَةٍ إنجليزيَّةٍ نَقيَّة. كُلَّما ازداد عُمرًا وسعادَةً على سعادة، وتساقط شَعرُه أكثر في كل مكان؛ بدا أكثَرَ مِثلَ رَجُلٍ صينيٍّ مُنتَشٍ.

بدا مثل رجل صيني، حتى أنه بدأ يلبس مثل رَجُلٍ صينيٍّ. حتى صار الرِّجال الصينيين حقًّا يحسبونه صينيًّا حقيقيًّا.

* * *

اعترف فريد تي. باري في خطابه أنه لم يقرأ أعمالَ كيلجور تراوت، لكنه سيفعل ذلك بسعادَةٍ قبل بداية المهرجان. قال: "أوصَى بِكَ بشدَّة إليوت روزوتر، الذي أكَّد لي أنك ربما أعظمُ روائيٍّ أمريكيٍّ حيٍّ. لا يمكن أن يوجد ثناء أعلى من ذلك".

مُرفَقًا بالخطاب كان شَيكٌ بألف دولار. أوضح فريد تي. باري أنه للأتعاب ونفقات السفر.

ذلك كان مالًا كثيرًا. صار تراوت فجأةً فاحِشَ الثَّراء.

* * *

هذه كانت الطريقة التي حدث أن دُعي بها تراوت: أراد فريد تي. باري لوحةً زيتيَّةً فاحِشَةَ الثَّمَنِ كمركَزِ انتباهٍ لمهرجان مدينة ميدلاند

للفنـون. بقـدر مـا كان ثريًـا، لم يسـتَطِع تَحمُّـلَ شِراء لوحـة، فبحـث عـن واحـدة يسـتعيرها.

أوَّلُ شَـخصٍ تَوجَّـه إليــه كان إليــوت روزوتــر، الــذي امتلــك لوحــةً لإل جريكـو ثمنهـا ثلاثـة ملايـين دولار أو أكـثر. قـال روزوتـور إن بوسـعِ المهرجـان الحصـول عليهـا بـشرطٍ واحـد: أن يجلبـوا أعظـمَ كاتِـبٍ حَـيٍّ باللغـة الإنجليزيـة ليتحـدَّث في المهرجـان، والـذي كان كيلجـور تـراوت.

ضحـك تـراوت عـلى الدعـوة المُداهِنَـة، لكنـه شـعر بخـوف بعـد ذلـك. مـرَّةً أخـرى كان هنـاك غريـبٌ يَعبَـثُ بخصوصيَّـةِ كيـسِ جُثَّتـه. بإنهـاكٍ وَجَّـه سـؤالَه لببَّغائـه فيـما قَلَّـب عينَيْـه: "لِـمَ كُلُّ هـذا الاهتـمام المفاجئ بكيلجـور تـراوت؟".

قـرأ الخطـابَ مُجـدَّدًا، قـال: "هـم لا يريـدون فقـط كيلجـور تـراوت، بـل يريدونـه في بذلَـةِ سَـهرَةٍ يـا بيـل. ثَمَّـةَ خَطـأٌ مـا هنـا".

هَـزَّ كتفيـه، قـال: "ربمـا هم دَعَـوني لأنهم يعرفـون أن عندي بذلة سـهرة". كان يمتلـك بالفعـل بذلـة سـهرة. كانـت في صنـدوق قديـمٍ حَمَلَـه معـه مـن مـكانٍ لِمـكانٍ لأكـثر مـن أربعـين عامًـا. احتـوى ألعابًـا مـن طفولتـه، وعظـامَ نَـسرٍ برمـودا، وكثـيرًا مـن المُتعَلِّقـات الغريبـة التـي كان منهـا بذلَـةُ سَـهرَةٍ ارتداهـا في الحفـل الراقـص قبـل تَخرُّجـه مـن مدرسـة تومـاس چيفرسـون الثانويـة في مدينـة دايتـون بأوهايـو عـام 1924. وُلـد تـراوت ببرمـودا، التحق بالمدرسـة الإعداديـة هنـاك، ثـم انتقلـت أُسرَتُـه إلى دايتـون.

كانـت مدرسـته الثانويـة مُسـمَّاةً عـلى اسـم مالِـكِ عَبيـدٍ كان أيضًـا واحِـدًا مـن أعظـم مُنَظِّـري العـالم في الحُرِّيَّـات الإنسـانيَّة.

* * *

أخـرج تـراوت بذلَتَـه مـن صندوقـه وارتداهـا. كانـت تُشـبِهُ كثـيرًا بذلـةَ سَـهرَةٍ رأيــتُ أبي يرتديهـا عندمـا كان شـيخًا في أَرذَلِ العُمـر. كان عليهـا

طبقـةُ عُفونَـةٍ تميـل للخَضـار، بعـض العَفَـن بـدا يُشـبِهُ قِطَعًـا مـن فِـراء الأرانـب الفاخـر. قـال تـراوت: "سـتقوم هـذه بالواجـب في الأمسـيات. لكـن أَخـبِرْني يـا بيـل، مـاذا يرتـدي الواحِـدُ في ميدلانـد في أكتوبـر قبـل غـروب الشـمس؟". رفـع رِجْـلَيْ بنطالـه حتـى بـدت قَصَبَتَـا سـاقَيْه المُزَخرَفَتَـيْن ببشـاعة، "شـورتات برمـودا وجـوارب قصـيرة، أليـس كذلـك يـا بيـل؟ في النهايـة أنـا مـن برمـودا".

مسـح بذلَتَـه بخِرقَـةٍ مُبلَّلَـة؛ فتسـاقط العَفَـنُ بسـهولة. "أكـره فِعـلَ هـذا يـا بيـل"، قالهـا بينـما يقتـل الفِطـرَ. "للفِطْـرِ الحَـقُّ في الحيـاة بقـدر مـا لي الحـق فيهـا. عـلى الأقـل يعرفـون مـا يريـدون، تبًّـا لي إن كنـتُ أعـرف مـا أريـد".

ثـم فكَّـر فيـما قـد يرغـب بـه بيـل نفسـه. خَمَّـن ذلـك بسـهولة. قـال: "بيـل، أُحبُّـكَ كثـيرًا، وأنـا شَـخصٌ ذو أهمِّيَّـةٍ كبـيرةٍ في هـذا العـالم، لدرجـة أني سـأُحقِّق أكـبرَ ثـلاث أمـانيَّ لديـكَ". فتـح بـاب القفـص، وهـو شيء لم يكـن بيـل ليَقـدِرَ عليـه ولـو بعـد ألـفِ عـام.

طـار بيـل إلى عتبـة النافـذة. وألصـق كتفـه الصغـيرة بالزُّجـاجِ. كان بـين بيـل والعـالم الخارجـي الواسـع طبقـة زجـاج واحِـدَة. رغـم أن تـراوت كان يعمـل في مجـال نوافـذ الرِّيـاح، إلَّا أنـه لم يملـك أيَّهـا في سَـكَنِه.

قـال تـراوت: "أمنِيَّتُـكَ الثانيـة عـلى وشـك التَّحقُّـق"، وفَعَـلَ شـيئًا آخـر لم يَكُـن بوسـعَ بيـل عَمَلُـه أبـدًا. فَتَـحَ النَّافِـذَة. لكـنَّ فَتْـحَ النافـذة كان شـيئًا مُخيفًـا لدرَجَـةِ أنَّ الببغـاء طـار عائـدًا لقفصـه وقفـز داخلـه.

أغلـق تـراوت بـابَ القفـص بإحـكام، وقـال للطائـر: "هـذا أكثر اسـتخدام حـاذِقٍ للأُمنيَـات الثَّـلاث سَـمِعتُ بـه عـلى الإطـلاق. أنـتَ تُحافِـظ عـلى أن يبقـى لديـكَ شيء يسـتحقُّ التَّمنِّـي... أن تَخـرُجَ مـن القفـص".

* * *

ربط تراوت بين رسالة مُعجَبِه الوحيد والدَّعوَة، لكنه لم يستطِعْ تَصديقَ أن إليوت روزوتر كان بالِغًا. بدا خَطُّ روزوتر كالتالي:

يجب أن تكون رئيسا للولايات المتحدة

قال تراوت مترددًا: "بيل، هناك مُراهقٌ يُدعَى روزوتر جلب لي هذه الوظيفة. لا بُدَّ أن والِدَيْه أصدقاء لرئيس مهرجان الفنون، ولا يعلمون أيَّ شيء عن الكتب؛ لذا عندما قال لهم إني جَيِّد، صَدَّقوه".

هَزَّ تراوت رأسه. "لن أذهب يا بيل. لا أرغب في الخروج من قفصي. أنا أذكى من ذلك. حتى إن أَردتُ، لن أذهب لميدلاند فأجعل من نفسي أضحوكةً، ومن المُعجَبِ الوحيد بي أيضًا".

* * *

ترك الأمرَ عند ذلك. لكنه أعاد قراءة الخطاب من حين لأخر، حفظه صَمًّا. ثم في أحد الأحيان عَرَفَت إحدى الرسائل الخَفِيَّةِ على الورق طَريقَها لرأسه. كانت في ترويسَةِ الخطاب، على شاكِلَةِ قِناعَيْن، الغَرَضُ منهما تمثيلُ الكوميديا والتراچيديا.

بدا أحدُ القِناعَيْن كهذا:



وبدا الآخَرُ كذلك:



قال تراوت لببغانه: "إنهم لا يريدون رُؤيَةَ أيِّ شيء إلَّا المُبتَسمين هناك، لا مكانَ للفاشلين التُّعَساء". لكنَّ عَقلَه لم يَترك الأمرَ عند هذه النقطة. جاءته فِكرَةٌ شَعَرَ أنها مُنعِشَة للغاية. "لكن ربما الفاشل التعيس هو بالضبط ما يحتاجون لرؤيته".

بعدها صار في غاية الحماس. قال: "بيل، بيل، اسمع، سأخرج من القفص، لكنِّي سأعود. سأذهب لأريهم ما لم يَرَهُ أيُّ شخصٍ في

مهرجان فنون من قبل: مُمثِّل عن آلاف الفنانين الذين كرَّسوا كامِلَ حياتهم للبحث عن الحقيقة والجَمال، ولم يجدوا حتى الهواء".

* * *

قَبِلَ تراوت الدَّعوَةَ في النهاية. قبل بداية المهرجان بيومَيْن، وضع بيل في رعاية صاحِبَةِ البيت في الدَّور العلويّ، وسافر مُتَطفِّلًا على السيارات العابِرَة إلى مدينة نيويورك، بخمسمائة دولار مَخيطَةٍ داخِلَ لِباسِه الداخلي. باقي الأموال وضعها في البنك.

سافر إلى نيويورك أوَّلًا؛ لأنَّه تَمَنَّى أن يجد بعضًا مِن كُتُبِه في المتاجر الإباحيَّة هناك. لم يكن لديه أيُّ نُسخٍ في البيت. كان يحتقرهم، لكنه الآن أراد أن يقرأ منهم جَهرًا في ميدلاند، كتعبيرٍ عن التراچيديا التي هي في الوقت ذاته مُثيرَةٌ للضَّحك.

نوى أن يُخبِرَ النَّاسَ هناك بما تمنَّى أن يُكتَبَ على شاهِدِ قَبرِه.

كان كذلك:



٦

في الآن ذاتِـه كان دوايــن يـزداد جنونًـا طـوالَ الوقـت. رأى ذات ليلـة أحـد عـشر قمـرًا في السـماء فـوق مركـز ميلدريـد بـاري التـذكاري للفنـون الجديـد. في الصبـاح التـالي رأى بطـةً ضَخمـةً تُنظِّـم المـرور في تقاطُـعِ جـادَّة أرسـنال مـع طريـق المُقاطَعَـة القديـم. لم يخـبر أيَّ شـخصٍ بمـا رأى، حافـظ عـلى جنونـه سرًّا.

وكانـت الكيميـاء السـيِّئة في رأسـه قـد فـاض بهـا الكَيـلُ مـن السِّرِّيَّـة. لم تَعُـد مُكتَفِيَـةً بجَعلِـه يـرى أشـياءَ غريبـةً ويشـعر بهـا. أرادتـه أن يفعـل أشـياءَ غريبـةً، أن يُثـير جَلبـةً كبـيرة أيضًـا.

أرادت من دواين هوفر أن يفخر بمرضه.



* * *

قال الناس لاحِقًا إنَّهم باتوا غاضبين من أنفُسهم لعدم ملاحظتهم إشاراتِ الخطر في سلوك دواين؛ لتجاهُلِهم استغاثاتِه الواضحة. بعدما عاث دواين في الأرض فسادًا، نشرت الصحيفة المحلِّيَّة في افتتاحيَّتها قِطعَةً شديدة التعاطف، تتوسَّل إلى الناس أن يلاحظوا إشاراتِ الخَطَر عند بعضهم. ذلك كان عنوانها:

استغاثة

لكن دواين لم يكن بهذه الغرابة قبل أن يُقابِلَ كيلجور تراوت. سلوكه في العَلَن لم يخرج قَطُّ عن حدود التَّصرُّفات والقناعات والمُحادَثات المقبولة في ميدلاند. قالت الإنسانة الأقرب إليه، فرانسين بيفكو، سكرتيرته البيضاء وعشيقَتُه، أن دواين بدا وكأنَّه يزداد سعادةً على سعادَةٍ طوال الشهر الذي سبق إعلانه عن خَبَلِه.

قالت لمُراسِل جريدةٍ من سريرها بالمستشفى: "فكَّرت أنه يتجاوز أخيرًا انتحار زوجته".

* * *

عملت فرانسين في محلِّ عمل دواين الرئيسي، والذي كان (قرية بونتياك دواين هوفر عند المخرج 11)، على مشارف الطريق السريع، بجوار فندق هوليداي إنّ الجديد.

ذلك ما جعل فرانسين تظنُّ دواين يزداد سعادةً: بدأ دواين في غناء أغانٍ كانت ذاتَ شعبيَّةٍ في طفولته، مثل "الولَّاعة القديمة" و"تيبي-تيبي-تن" و"شد حيلك" و"قمر أزرق"، وما إلى ذلك. لم يُغَنِّ دواين من قبلُ قَطُّ، والآن يفعل بصوتٍ عالٍ فيما هو جالِسٌ بمكتبه، وعندما يأخذ عميلًا في جولة بسيارة توضيحيَّة، وبينما يشاهد ميكانيكيًا يصلح سيَّارَةً. ذات يوم غنَّى بصوتٍ عالٍ بينما يعبر لوبي الهوليداي إنّ الجديد، مبتسمًا ومشيرًا إلى الناس، وكأنه عُيِّن ليُغنِّي

لأجـل إسـعادهم. لكـنَّ أحـدًا لم يُفكّـر أن ذلـك يعنـي بالـضرورة علامَـةً عـلى لَوثَـة أيضًـا، خاصَّـةً وأن دوايـن امتلـكَ جُـزءًا مـن الفنـدق.

ناقش خادِمٌ أسودُ مع نادِلٍ أسودَ غِناءَه. قال الخادم: "أتسمع كيف يغنِّي". أجاب النَّادِلُ: "لو كان عندي ما عنده، لَغنَّيتُ أيضًا".

* * *

الشـخص الوحيـد الـذي قـال بصـوتٍ عـالٍ إنَّ دوايـن يُجَـنُّ، كان هـاري ليسـابر، مديـر مبيعـات دوايـن الأبيـض في وكالـة البونتيـاك. قبـل أسـبوعٍ مـن هيجـان دوايـن، قـال هـاري لفرانسـين بيفكـو: "شيء مـا حـدث لدوايـن. كان شـخصًا جذَّابًـا. لكنـي الآن لم أَعُـد أراه كذلـك".

عـرف هـاري دوايـن أفضـل مـن أيِّ شـخصٍ آخـر. صـار لـه معـه عـشرون عامًـا. بـدأ يعمـل عنـده منـذ كانـت الوكالـة عـلى حافَّـةِ الجانـب الزِّنجـي مـن المدينـة. الزِّنجـيُّ هـو كائِـنٌ بَـشَريٌّ لَونُـه أسـوَدُ.

قـال هـاري "أنـا أعرفـه مثلـما يعـرف الجُنـديُّ رفيقـه في المعركـة. اعتدنـا وَضـعَ حياتنـا عـلى المحَـكِّ كلَّ يـوم، عندمـا كانـت الوكالَـةُ لا تـزال في شـارع چيفرسـون. كُنَّـا نَتعـرَّض لِقَطـعِ الطريـق في المتوسِّـط أربـعَ عـشرةَ مَـرَّةً في السـنة. وأقـول لـك: دوايـن اليـوم هـو دوايـن لم أَرَه مـن قَبـلُ قَطُّ".

* * *

كان مُحِقًّـا بشـأن تَعرُّضِهـم لقَطـعِ الطَّريـق. ذلـك كان سـببَ شِراء دوايـن لوكالـة البونتيـاك بهـذا الثَّمَـنِ البَخْـسِ. كان البِيضُ فَقَـط هـم مَـن يملكـون مـالًا كافيًـا لـشراء سـيارات جديـدة، باسـتثناء قليـلٍ مـن المُجرِمـين السُّـود، الذيـن يريـدون دومًـا الكاديـلاك. ولم يَعُـد البِيـضُ يَجـرؤون عـلى الاقـتراب مـن شـارع چيفرسـون.

* * *

ذلـك كان المـكان الـذي جـاء دوايـن منـه بالمـال لـشراء الوكالـة: اقترَضَـه مــن بنـك مقاطعـة ميدلانـد الوطنـي، بضـمانِ مـا امتَلَـكَ مــن أَسـهُمٍ في شركـةٍ كانـت تُدعَـى حينَهـا: شركـة مدينـة ميدلانـد للذَّخـيرة. صـار اسـمها لاحقًـا: باريـترون المحـدودة. عندمـا حصـل دوايـن عـلى الأسـهم أوَّلَ مَـرَّةٍ، في منتصـف أيـام الكسـاد الكبـير، كان اسـمها: شركـة روبـو- ماچيـك الأمريكيـة.

ظـلَّ اسـمُ الشَّرِكَـة يتغـيَّر بمـرور السـنوات لأن طبيعَـة عَمَلِهـا تغـيَّرَت كثـيرًا. لكـنَّ إدارَتَهـا تَمَسَّـكَت بشـعار الشركـة الأصـلي؛ لأجـل خاطـر أيـام زمـان. كان الشـعار:

وداعًا أيُّها الاثنين الأزرَقُ

* * *

اسمَعْ:

قـال هـاري ليسـابر لفرانسـين، "عندمـا يُقاتِـلُ الرَّجُـلُ بِرُفقَـةِ آخَـرَ، يسـتطيع أن يُـدرِكَ أَدَقَّ تغيـيرٍ في شـخصيَّة رفيقـه، ودوايـن قـد تغـيَّر، اسـألي حتَّـى فيرنـون جـار".

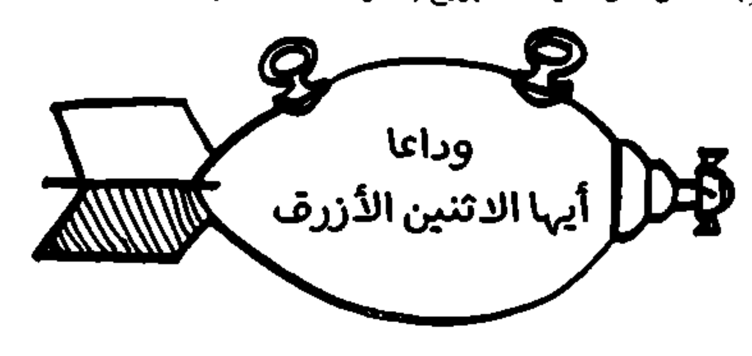
كان فيرنـون جـار ميكانيكيًّـا أبيـضَ، وكان المُوَظَّـفَ الوحيـد غـير هـاري الـذي كان مـع دوايـن قبـل أن ينقـل دوايـن الوكالـةَ إلى الطريـق السريـع. وكـما اتفـق، كان فيرنـون يواجـه مُشـكِلَةً في بيتـه.

كانـت مـاري زوجتـه مريضـةً بالفصـام؛ لـذا لم يلاحـظ إن كان دوايـن قـد تغـيَّر أو لا. زوجـة فيرنـون كانـت مُؤمِنَـةً أن زوجهـا يريـد تحويـل مُخِّهـا إلى بلوتونيـوم.

* * *

كان مـن حـقِّ هـاري ليسـابر الحديـثُ عـن المعـارك؛ فقـد شـارك في معركَـةٍ حقيقيَّـةٍ في حـرب. دوايـن لم يفعـل، لكنـه كان موظَّفًـا مَدَنيًّـا في السـلاح الجـوي بجيـش الولايـات المتحـدة خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة.

ذاتَ مَـرَّةٍ، سـنَحَت لـه فُرصَـةُ رَسـمِ رسـالةٍ عـلى قُنبُلَـةٍ تَـزِنُ 500 رطـل، ذاهِبَة لتُلقَى على مدينة هامبورج بألمانيا. تلك كانت رسالتَه:



* * *

قالـت فرانسـين: "مـن حَـقِّ الجميـع أن يَمُـرُّوا ببضعـة أيَّـامٍ سَـيِّئَة يـا هـاري. وأيام دوايـن السـيِّئة كانـت أقـلَّ مـن أيِّ شَـخصٍ أعرفـه؛ لـذا عندما يَنقَلِبُ حالـه مثـل اليـوم، يشـعر البَعـضُ بالألَـمِ والمُفاجـأة. لا يجـدر بهـم ذلـك، إنـه إنسـان مثـل غـيره".

أراد هـاري أن يعـرف: "لكـن لمـاذا اختصَّنـي وحـدي؟"، وكان مُحِقًّـا؛ فدوايـن اختَصَّـهُ بإسـاءاتٍ وإهانـاتٍ مُذهِلَـة ذلـك اليـوم. أمَّـا الجميـع عـداه، فـلا يـزال دوايـن في عيونهـم جذَّابًـا.

لاحِقًـا بالطَّبـع، سـيُهين دوايـن كلَّ أنـواع النـاس، منهـم حتـى ثلاثـة غربـاء مـن مدينـة إيـري بولايـة بنسِـلڤانيا، والذيـن لم يـزوروا ميدلانـد مـن قبـل. لكـن هـاري كان ضحيَّـةً وحيـدةً الآن.

* * *

قال هاري: "لماذا أنا؟". ذلك كان سؤالًا شائعًا في ميدلاند. كان الناس يسألونه دومًا بينما يُحمَلون إلى سيّارات الإسعاف بعد الحوادث من شتّى الأنواع، أو عند القبض عليهم لسلوكٍ غيرِ سليم، أو بعد تعرُّضِهم للسَّطو، أو بعد الضرب على أنوفهم، وما إلى ذلك. "لماذا أنا؟".

قالت فرانسين: "على الأرجح لأنه شعر أنك رَجُلٌ بما فيه الكفاية، وصديقه بما فيه الكفاية، لتتحمَّله في أحد أيامه السيئة القليلة".

قال هاري: "ماذا سيكون شعورُكَ إن أهان ملابِسَكَ؟". ذلك كان ما فعله له دواين: أهان ملابِسَه.

قالت فرانسين: "كنتُ لأتذكَّر أنه أحسنَ صاحِبِ عَمَلٍ في المدينة". تلك كانت حقيقةً. دفع دواين رواتِبَ عالِيَةً، ووزَّعَ أنصِبَةً من الأرباح وحوافز كريسماس في نهاية كل سنة، وكان أوَّلَ تاجِرِ سَيَّارات في هذه الناحية من الولاية يُقدِّم لمُوَظَّفيه "صليب أزرق- درع أزرق"، وذلك كان تأمينًا صحِّيًّا. خُطَّة التَّقاعُد عنده كانت أفضلَ من أيِّ خُطَّةِ تَقاعُدٍ في المدينة، باستثناء خُطَّة شركة باريترون. باب مكتبه كان مفتوحًا على الدوام لأي موظَّفٍ يَودُّ مُناقَشَةَ مُشكِلَة، سواء كانت مُتعلِّقَة بتجارة السَّيَّارات أو لا.

مثلًا، في اليوم الذي أهان فيه ملابس هاري، قضى أيضًا ساعتَيْن مع فيرنون جار، يناقش معه الهلاوس التي تمرُّ بها زوجتُه. قال فيرنون: "إنها ترى أشياء غير موجودة".

قال دواين: "لعلها تحتاج للراحة يا فيرن".

قال فيرنون: "والمسيحِ أشعرُ أنِّي أُجَنُّ أنا أيضًا. فأنا أعود للبيت لأتحدَّث مع كلبي اللعين لساعاتٍ".

قال دواين: "هذا يجعلنا اثنين".

* * *

ذلك كان المشهد الذي دار بين هاري ودواين، وأغضب هاري كثيرًا:

دخل هاري مكتبَ دواين بعدما غادر فيرنون. لم يتوقَّع أيَّ مُشكِلَة؛ لأنَّه لم يُقابِل أيَّ مُشكِلَةٍ جادَّةٍ من قبل مع دواين.

قال لدواين: "كيف حال رفيق القتال القديم اليوم؟".

قال دواين: "جَيِّد بقدر ما هو مُتوقَّع. أيُضايِقُكَ شيءٌ بِعَينِه؟".

قال هاري: "كلَّا".

قال دواين: "زوجة فيرن تَحسَبُه يرغب في تحويل مُخِّها إلى بلوتونيوم".

قال هاري "وما البلوتونيوم؟"، وما إلى ذلك. تابَعَا الثَّرثَرَة، واخترع هاري مُشكِلَةً لِنَفسِه فقط ليحافظ على المُحادَثَةِ حَيَّةً. قال إنه يَحزَنُ أحيانًا لأنه لم يُنجِب. وتابع: "لكنِّي سعيدٌ بشكل ما أيضًا. أعني... لماذا أشارك في الزيادة السُّكَّانية؟".

لم يَقُل دواين شيئًا.

قال هاري: "ربما علينا تَبنِّي أحدهم، لكن الوقت فات. أقضي وزوجتي العزيزة أوقاتًا طيِّبَةً برُفقَةِ بعضنا. فيمَ نحتاج الأطفال؟".

وكان بعد ذِكرِ التَّبنِّي أن انفجر دواين. كان هو نفسه ابنًا بالتَّبنِّي لزَوجَيْن انتقلا من ڤرچينيا الغربية لميدلاند، ليَجنِيَا مالًا كثيرًا بالعمل كعُمَّالٍ في مصانع الحرب العالمية الأولى. أمُّ دواين الحقيقية كانت مُعلِّمَةً عانِسَ في مدرسَةٍ، تَكتُبُ الشِّعرَ العاطِفيَّ، وتَدَّعي أنها من سُلالَة ريتشارد قلب الأسد، والذي كان مَلِكًا. أبوه الحقيقي كان مَطبعجِيًّا جَوَّالًا، أغوى أُمَّه بطباعَةِ قَصائِدها. لم يُمَرِّرهم لجَريدَةٍ أو شيء من هذا القبيل. كان يكفيها أن تراهم مَطبوعين.

كانت آلَةَ حَملِ أطفالٍ مَعطوبَةٍ، دَمَّرَت نَفسَها أوتوماتيكيًّا بولادة دواين. أمَّا المَطبَعجي فاختفى، كان آلَةَ اختِفاءٍ.

* * *

رُبَّمـا كان ذِكـرُ موضـوع التَّبنِّـي سَـببًا لتفاعُـلٍ كيميـائيٍّ مُؤسِـفٍ في رأس دوايـن. عـل أي حـال فقـد رَجَـمَ فجـأةً هـاري بالتـالي: "يـا هـاري، لماذا لا تأخـذ بعـض الخِـرَقِ القديمـة مـن فـيرن جـار، وتَنقَعهـا في "بلـو صانكـو"، وتحـرق بهـا دولابَ مَلابِسِـكَ اللعين؟ أنتَ تَجعُلني أشـعر وكأني في واطسـون وأخواتـه". واطسـون وأخواتـه كان اسـمَ صالَـةِ جِنـازاتٍ للبِيـض الذيـن كانـوا عـلى الأَقَـلِّ ميسـوري الحـال. بلـو صانكـو كان نوعًـا مـن الجازولـين.

صُعِـق هـاري، ثـم تألَّـم. لم يَقُـل دوايـن أيَّ شيءٍ عـن ملابسـه طيلـة السـنوات التـي عرفـه فيهـا. في رأي هـاري، ملابسـه كانـت مُتحفِّظَـةً وأنيقـة. قُمصانـه كانـت بيضـاءَ، وربطـات عُنُقِـه سـوداءَ أو زرقـاء، وبذلاتُـه رماديَّـةً أو كُحليَّـة، وأحذيتـه سـوداء مثـل جواربـه.

قـال دوايـن وقـد ارتسـم عـلى وجهـه القَـرَفُ: "اسـمَعْ يـا هاري، أسـبوع هـاواي يقـترب، وأنـا جـادٌّ تمامًـا فيـما أقـول: أَحـرِقْ ملابِسَـكَ واشـترِ غيرَهـا جَديـدةً، أو اذهَـبْ للعَمـل في واطسـون وأخواتـه. وحَنِّـطْ نفسـك بالمـرَّةِ وأنـتَ هُنـاك".

* * *

لم يَسَـع هـاري فِعـلُ أيِّ شيء إلَّا تَـركُ فَمِـه يتـدلَّى مفتوحًـا. أسـبوع هـاواي الـذي ذكـره هـالي كان برنامجًـا دعائيًّـا للمبيعـات يتضمَّـن جَعْـلَ الوكالـة تشـبه جُـزُرَ هـاواي بقـدر الإمـكان. ومَـن يشـتري سـيَّاراتٍ مُسـتَعمَلَةً أو يقـوم بتصليحـاتٍ يفـوق ثمنهـا خمسـمائة دولار خـلال الأسـبوع؛ يدخـل أوتوماتيكيًّـا في قُرعَـة. يفـوز فيهـا ثلاثـة مَحظوظـين برِحلَةٍ مَدفوعَـةِ التَّكاليـف ومَجانيَّـة بالكامـل إلى لاس ڤيجـاس وسـان فرانسيسـكو، ثـم يذهـب واحِـدٌ أو اثنـان منهـم إلى هـاواي.

تابـع دوايـن: "أنـا لا أُمانِـعُ أنَّ لَـكَ اسـمَ سَـيَّارة بويـك يـا هـاري في حـين يُفـتَرَضُ بـكَ بَيـعُ البونتيـاك". كان يشـير إلى حقيقـة أن قسـم بويـك

في شركة چنرال موتورز قد أصدر طرازًا من السَّيَّارات يُدعى ليسابر. "أنتَ لا تستطيع فِعلَ شيءٍ حيالَ ذلك". ثم رَبَّت دواين على سطح مكتبه بنعومَةٍ، كان في ذلك بشكلٍ ما وعيدٌ أكثرُ مِمَّا لو ضرب المكتبَ بقبضته. "لكن هناك أشياء عديدة تستطيع تغييرها يا هاري. أمامنا عُطلَةٌ أسبوعيَّةٌ طويلة، أتوقَّع رؤية تغييرات كثيرة عندما آتي للعمل في صباح الثلاثاء".

عطلة نهاية الأسبوع كانت أطولَ لأنَّ الاثنين القادم كان إجازَةً قَوميَّةً، يوم المُحارِبين القُدامى. الذي كان لتمجيد الناس الذين خدموا البَلَدَ مُرتَدين زِيًّا رسميًّا.

* * *

قال دواين: "عندما بدأنا بَيعَ البونتياك يا هاري، كانت السَّيَّارَةَ المُناسِبَةَ لمُعلِّمات المدارس والجَدَّات والخالات". تلك كانت حقيقةً. "لعلَّكَ لم تلاحظ يا هاري، لكن البونتياك صارت مُغامَرَةً لامِعَة مُفعَمَةً بالشباب لمن يبحثون عن النشوة في الحياة. بينما أنت تَلبَسُ وتَتصرَّف وكأننا في مَسْرحَة. انظُرْ لِنَفسِكَ في مرآةٍ يا هاري، واسأل نفسك: مَن الذي يستطيع أن يربط رَجُلًا كهذا بالبونتياك؟".

كان هاري ليسابر مُختَنِقًا إلى حَدٍّ لم يستطع معه تنبيهَ دواين أنه -مَهمَا كان مَظهَره- كان يُعرَفُ عنه أنه من أفضل مُديري مَبيعاتِ البونتياك، ليس فقط في الولاية، لكن في الغرب الأوسط كُلِّه. كانت البونتياك أكثَرَ السيارات مبيعًا في ميدلاند، برغم حقيقة أن سعرها لم يكن منخفضًا. كانت سيَّارَةً مُتوَسِّطَةَ السِّعر.

* * *

دوايـن هوفـر أخـبر هـاري ليسـابر أن مهرجـان هـاواي، الـذي لا يَبعُـد أكـثرَ مـن عُطلَـةٍ أسـبوعيَّةٍ طويلَـة، هـو فرصـة هـاري الذهبيـة للفَـكِّ والانبسـاط، ولِتَشـجيعِ الآخريـن عـلى الانبسـاط أيضًـا.

قـال دوايـن: "هـاري، عنـدي لـك أخبـارٌ سَـعيدَة: قَـدَّم لنـا العِلـمُ الحَديـثُ العَديـدَ مـن الألـوان الجديـدة الرائعـة يـا هـاري، ذات أسـماء غريبـة مُثـيرة مثـل الأحمـر! والبرتقـالي! والأخـضر! والـوردي! لم نَعُـد عالِقـين مـع الأبيـض والأسـود والرمـاديِّ فقـط. أليسـت تلـك أخبـارًا رائِعَـةً يـا هـاري؟ ومجلـس الولايـة التشريعـي أعلـن لِتَـوِّه أن الابتسـام خـلال سـاعات العمـل لم يَعُـد جريمـةً يـا هـاري، وحصلـت عـلى وعـدٍ شَـخصيٍّ مـن المُحافِـظ، أن أحـدًا لـن يُرسَـل مـرَّةً أخـرى إلى جَنـاح الانحـراف الجِنسيِّ في الهيئـة الإصلاحيَّـة للبالغـين، لِقَولِـه مَزحَـة!".

* * *

ربمـا كان هـاري ليسـابر ليتجـاوز كل ذلـك بأقَـلِّ الأضرار، فقـط لـو لم يكـن مُتشـبِّهًا جِنسـيًّا/ ترانسفيسـتيت في السـرِّ. كان يُحِـبُّ ارتـداءَ ملابـس النسـاء في عطـلات نهايـة الأسـبوع. كان وزوجتـه يُنـزِلان السَّـتائر، ويتحـوَّل إلى عصفـور الجَنَّـة.

لم يعرف سِرَّه أيُّ شَخصٍ عدا زوجته.

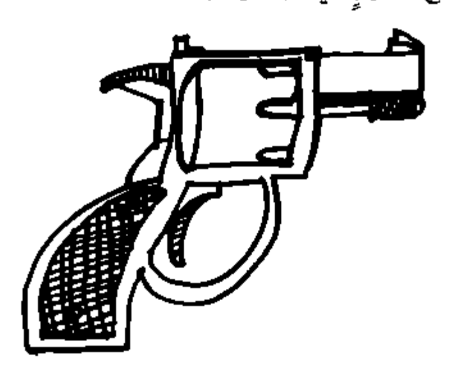
عندمـا وَبَّخَـه دوايـن بشـأن الملابـس التـي يرتديهـا في العمـل، ثـم ذكـر جنـاح الانحـراف الجنـسي في الهيئـة الإصلاحيـة للبالغـين في شـيبردزتاون، شَـكَّ هـاري أن سِرَّه قـد كُشِـفَ. ولم يكـن ذلـك مُجـرَّدَ سِرٍّ مُضحِـكٍ. فيمكن أن يتعـرَّض هـاري للإيقـاف جـرَّاءَ مـا يفعلـه في نهايـات الأسـبوع. قـد تُفـرَضُ عليـه غرامَـةٌ تَصِـلُ إلى ثلاثـة آلاف دولار، ويُحكَـم عليـه بمـا يصـل إلى خمـس سـنوات مـع الشـغل في جنـاح الانحـراف الجنـسي في الهيئـة الإصلاحيـة للبالغـين في شـيبردزتاون.

* * *

هكـذا قـضى هـاري المسـكين أسـوأ عُطلَـةِ يَـومِ المحاربـين القُدامـى مَـرَّ بهـا. لكـن دوايـن قـضى أسـوأ منهـا.

ذلـك مـا كانـت آخِـرَ لَيلَـةٍ مـن تلـك العُطلَـة عليـه بالنسـبة لدوايـن: أخرجتـه الكيميـاء السَّـيِّئة مـن السريـر. جعلتـه يرتـدي ملابسـه وكأن هناك طـوارِئَ مـا ينبغـي عليـه التَّعامُـل معهـا. وكان ذلـك بعـد مُنتَصَـفِ الليـل، انتهـى يـومُ المُحارِبـين القُدامـى مـع دَقَّـةِ السـاعة الثانيـة عـشرة.

جَعَلَـت الكيميـاءُ السَّـيِّئَةُ دوايـن يأخـذ مُسدَّسَـه ذا السـاقية عيـار 38 المُحشـوَّ مـن تحـت وسـادته، ويَحـشُرُه في فمـه. المُسـدَّس هـو أداةٌ هَدَفُهـا الوحيـدُ هـو صُنـعُ ثُقـوبٍ في البـشر، تبـدو كذلـك:



في ناحِيَـةِ دوايـن مـن الكوكـب، يسـتطيع أيُّ شـخصٍ أن يحصـل عـلى واحِـدٍ مـن أقـرب محـلِّ مُعِـدَّات. امتلـك كُلُّ رِجـالِ الشرطـة مُسدَّسـاتٍ، وكذلـك فَعَـلَ المُجرِمـون، وكذلـك فَعَـلَ مَـن كانـوا بينهـم عالقـين.

يُشـيرُ المُجرِمـون بالمسدَّسـات إلى النـاس ويقولـون: "أعطِنـي كُلَّ مالِـكَ"، وعـادةً مـا يفعـل النـاس. ويشـير رِجـالُ الشُّرطَـةِ بالمُسدَّسـات إلى المُجرِمـين ويقولـون: "توقَّـفْ"، أو أيًّـا كان مـا يسـتدعيه المَوقِـفُ، وعـادَةً مـا يفعـل المجرمـون. وأحيانًـا لا يفعلـون. أحيانًـا تغضـب زَوجَـةٌ مـن زَوجِهـا لدرجَـةٍ

تجعلها تَضَعُ فيه حُفرَةً بمسدَّسٍ. أحيانًا يغضب الرَّجُلُ من زوجته فيضع فيها حُفرَةً. وما إلى ذلك.

في ذات الأسبوع الذي خرج فيه دواين هوفر عن طَوْرِه، وضع وَلَدٌ في الرابعة عشرة من عُمرِهِ ثُقوبًا في أُمِّه وأبيه لأنه لم يرغب في أن يُرِيَهم شهادةَ دَرجاتِه المُنخَفِضَة التي أحضرها معه. خَطَّطَ مُحاميه لتقديم التماسٍ يَدَّعي أنه أُصيب بالجنون المُؤقَّت؛ ما يعني أنَّ في ساعَةِ إطلاقِ النَّار، لم يكن الفتى قادرًا على التمييز بين الصواب والخطأ.

* * *

أحيانًا ما يضع الناسُ ثقوبًا في المشاهير؛ ليُصبِحوا مشاهيرَ بِدَورِهم. أحيانًا ما يركب النَّاسُ طائِراتٍ يُفتَرَضُ بها السَّفَرُ إلى مكانٍ ما، ويعرضون أن يضعوا الثقوب في الطَّيَّار والطَّيَّار المُساعد ما لم يطيرا بالطائرة إلى مكان آخِر.

* * *

وضع دواين فُوَّهَةَ المُسدَّس في فمه لوَهلَةٍ. شعر بمذاقِ الزَّيت. كان المُسدَّس مُعبَّأً، أي كانت فيه لفائف معدنية أنيقة صغيرة، تحتوي مَسحوقَ الفحم والبوتاسيوم والنترات والكبريت، على بُعدِ بوصاتٍ قليلة من مُخِّه. كل ما كان عليه فِعلُه هو سَحبُ رافِعَةٍ صغيرة، فيتحوَّل المسحوق إلى غاز. والغاز سيُلقي كُتلَةَ رصاصٍ عبر أنبوبة المسدس إلى مُخِّ دواين.

لكن دواين اختار أن يُطلِقَ النَّارَ على واحد من حماماته المُغطَّاة بالبلاط بدلًا من رأسه. وضع كُتَلًا من الرصاص في مرحاضه وحوضه وكابينة استحمامه. كان على زُجاج كابينة الاستحمام صورَةٌ لطائِرِ فلامنجو، تبدو كتلك:



أَطلَقَ دواين النَّارَ على الفلامنجو.

اغتاظ عندما تذكَّر ذلك فيما بعدُ. ذلك ما دَمدَمَ به حينها:

"طائِرٌ غَبيٌّ مُقرِف".

* * *

لم يَسمَعُ أَحدٌ الطَّلَقات. كل المنازل في ذلك الحي كانت مَعزولَةً صَوتيًّا. إن كان هناك صَوتٌ ما يرغب في الدخول إلى -أو الخروج من- منزل أحلام دواين، عليه أن يَمُرَّ عبر بوصةٍ من الجبس، وحاجِزٍ من

بخـار البوليسـترين، ولَـوحٍ مـن ورق الألومنيـوم، وثـلاث بوصـات مـن الهـواء، ولـوح ورق ألومنيـوم آخـر، وبطّانِيَّـة ثـلاث بوصـات مـن الصُّـوف الزجاجـي، ولـوح ورق ألومنيـوم آخـر، ولـوحٍ سُـمكُه بوصَـةٌ مـن نشـارة الخشــب المضغوطـة، وورق قطـران، وبوصـة مــن التغليـف الخشــبي، ومزيـد مـن ورق القطـران، ثـم كسـاء خارجـي مـن الألومنيـوم المُجـوَّف. الفـراغ داخـل الألومنيـوم مملـوءٌ بمـادَّةٍ عازِلَـة إعجازيَّـة، صُنِعَـت خِصِّيصًـا لتُسـتَخدَمَ في الصواريـخ التـي ذهبـت للقمـر.

* * *

أضـاء دوايـن الأضـواء الغامِـرَةَ المُحيطَـةَ ببيتـه، ولعـب كُـرةَ السَّـلَّة في السـاحة المُسَـفلَتَة خـارج جراجِـه ذي السَّـيَّارات الخمـس.

كان سـباركي كلـب دوايـن قـد اختبـأ في البـدروم عندمـا أطلـق دوايـن النـار في الحـمَّام. لكنـه خـرج الآن، وأخـذ يشـاهد دوايـن يلعـب كُـرَةَ السَّـلَّة.

قـال دوايـن: "أنـا وأنـتَ فقـط يـا سـباركي"، ومـا إلى ذلـك. كان يُحِـبُّ ذلـك الكلـب بـلا شَـكٍّ.

لم يَـرَه أحـدٌ يلعـب كُـرَةَ السَّـلَّة؛ فقـد كان يداريـه عـن جيرانـه أشـجارٌ وأَجَمـةٌ وسـياجٌ خَشـبيٌّ عـالٍ.

* * *

وضـع كـرةَ السـلة جانِبًـا، ثـم وَلَـجَ في سـيارة بليمـوث فيـوري سـوداء كان قـد حصـل عليهـا في مُقايَضَـةٍ بالأمـس. بليمـوث كانـت مـن مُنتَجـات شركـة كرايسـلر، أمَّـا دوايـن فـكان يبيـع مُنتَجـاتِ جِـنرال موتـورز. قـرَّر أن يركـب البليمـوث ليـومٍ أو اثنـين كي يبقـى مُواكِبًـا للمنافسـة.

بينـما كان يخـرج مـن البيـت، فكَّـر أن مـن المهـم أن يشرح لجيرانـه لماذا هـو في بليمـوث فيـوري، هكـذا صرخ مـن النافـذة: "أواكـب المنافسـة!"، وأطلـق النفـير.

* * *

انطلـق دوايـن بِسُرعَـةٍ في طريـق المقاطعـة القديـم ومنـه إلى الطريـق السريـع، الـذي كان فيـه وحـده تمامًـا. انحـرف إلى المَخـرَجِ 10 بسرعـة مُتزايِـدَة، ارتطـم بالحاجِـز، ودار حـول نفسـه عِـدَّةَ مَـرَّاتٍ. خـرج إلى جـادة يونيـون بينـما يقـود للخلـف، اعتـلى رصيفًـا، وتوقَّـف في سـاحةٍ خاليـة. كان دوايـن يمتلـك السـاحة.

لم يَـرَ أحـدًا أو يسـمع شـيئًا. لم يكـن هنـاك مَـن يعيـش بهـذه المنطقـة. كان يُفـتَرَض بِرَجُـلِ شُرطَـةٍ أن يجـوب الأنحـاء كلَّ سـاعَةٍ تَقريبًـا، لكنـه كان يتعـاون في زقـاقٍ خلـف مُسـتَودَع ويسـترن إليكتريـك عـلى بعـد ميلَـيْن. التعـاون كان اللقـب الـذي تُطلِقـه الشرطـة عـلى النـوم خـلال الوظيفـة.

* * *

ظـل دوايـن في سـاحته الخاليـة لفـترة. شَـغَّل الراديـو. كل محطـات ميدلانـد كانـت نائِمَـةً تلـك الليلـة، لكـن دوايـن اختـار محطَّـةَ أغـانٍ ريفيَّـةً مـن ڤرچينيـا الغربيَّـة، والتـي كانـت تَعـرِضُ عليـه عـشرة أنـواع مختلفـة مـن شـجيرات الزهـور وخمـس أشـجار فاكهـة مُقابِـلَ سِـتِّ دولارات، والدفـع عنـد الاسـتلام.

قـال دوايـن: "يبـدو لي عرضًـا جيـدًا"، وكان يعنـي ذلـك. كل الرسـائل تقريبًـا في بَلَـدِه، المُرسِـلَة والمُسـتَقبِلَة، وحتـى التَّخاطُريَّـة، كانـت تتعلَّـق ببيـع أو شراء شيءٍ لَعـين مـا. كان وَقـعُ ذلـك كأغـاني قبـل النـوم عـلى دوايـن.

5

بينـما كان دوايـن هوڤـر يسـتمع لراديـو غـرب ڤيرچينـا، حـاول كيلجـور تـراوت أن ينـام في صالـةِ سـينما بمدينـة نيويـورك. كان ذلـك أرخـصَ مـن قضـاء الليلـة في فنـدق. لم يفعـل تـراوت ذلـك مـن قبـل، لكنـه يَعلَـمُ أن النـوم في صـالات السـينما مـن الأشـياء التـي يفعلهـا العَجائِـزُ البذيئـون. تمنَّـى أن يصـل إلى ميدلانـد وقـد صـار أبـذأَ عَجـوزٍ عـلى الإطـلاق. كان يُفـتَرَضُ بِـه أن يشـارك في نـدوة هنـاك بعنـوان (مسـتقبل الروايـة الأمريكية في عـصر مكّلوهـان). تمنَّـى أن يقـول في النـدوة: "أنـا لا أعـرف مـن هـو مكّلوهـان، لكنـي أعلـم مـا يعنيـه أن تقـضي ليلتـك مـع كثـيرٍ مـن العجائـز البذيئـين في سـينما بنيويـورك. أيمكـن أن نتحـدث عـن ذلـك؟".

وتمنَّـى أيضًـا أن يقـول: "هـل هـذا المكّلوهـان، أيًّـا كان مـن هـو، لديـه مـا يقولـه عـن العلاقـة بـين القنـادس المفتوحـة عـلى مصراعيهـا ومبيعـات الكتـب؟".

* * *

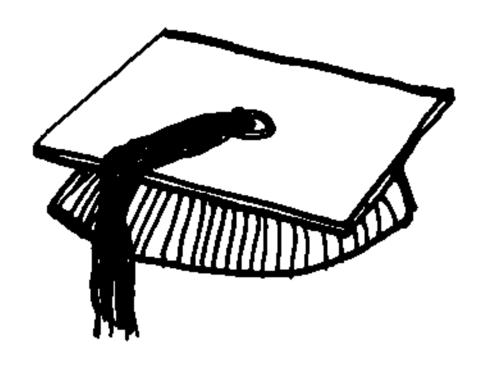
وصل تراوت من كوهوس في مساء ذلك اليوم. منذ ذلك الحين زار عَدَدًا من متاجر البورن ومتجر قمصان. اشترى اثنين من كتبه: (وباء على عَجَل) و(الآن بوسعي أن أقول)، ومجلة تحتوي على قصَّةٍ قصيرة له، وقميصًا للبذلة. اسم المجلة كان (حزام اللباس الأسود). قميص البذلة كان به كَشْكَشَةٌ عند الصدر. اشترى أيضًا -بناءً على نصيحة بائع القمصان- حزمةً تَتضمَّن وشاحَ خَصرٍ وزَهرَةَ عُروَة وبابيون، كلهم بلون اليوسفي.

كل هذه المشتريات كانت في حِجرِه، مع لَفَّةٍ من الورق البُنِّيِّ تحتوي على بذلته، وسِتِّ سراويلَ داخِليَّةٍ، وستِّ جوارب، وشفرة حلاقته وفرشاة أسنان جديدة. لم يكن عند تراوت فرشاة أسنان لسنوات طويلة.

* * *

أغلِقَتْ كتابَيْ (وباء على عَجَل) و(الآن بوسعي أن أقول) وَعَدَت بكثير من القنادس المفتوحة على مصراعيها بالداخل. الصورة على غلاف (الآن بوسعي أن أقول)، وهو الكتاب الذي سيُحَوِّلُ دواين هوفر إلى قاتلٍ مجنون، كانت لبروفيسور جامعيٍّ في بيت طالباتٍ تَنزِعُ عنه ثِيابَه مَجموعةٌ من الفتيات العاريات. من نافذة بيت الطالبات المفتوحة يمكن رؤية بُرجِ مَكتبَة. الوقت بالخارج كان نهارًا، وفي البرج كانت ساعة. بَدَت الساعة كتلك:

ملابـس البروفيسـور كانـت مَنزوعـةً بالكامـل، إلَّا لباسـه الداخـلي المُخطَّـطَ وجواربـه وقُبَّعَتـه الجامعيـة، وهـي قُبَّعَـةٌ تبـدو كتلـك:



لم يكـن داخـل الكتـاب أيُّ شيء لـه علاقـة ببروفيسـور أو ببيـتِ طالِبـاتٍ أو بجامعـةٍ عـلى الإطـلاق. الكتـاب كان عـلى شـكل خطـاب مُرسَـلٍ مـن خالـق الكـون إلى الكائـن الوحيـد ذي الإرادة الحُـرَّة.

* * *

أمَّـا بخصـوص القِصَّـة في مجلَّـة حـزام اللبـاس الأسـود، فـتراوت لم يكـن يَملِـكُ أدنى فكـرَةٍ أنهـا قُبِلَـت للنـشر. يَبـدو أنهـا قُبِلَـت منـذ أعـوام؛ فالتاريـخ عـلى الغـلاف كان أبريـل 1962. وجدهـا تـراوت بالصُّدفَـة في سَـلَّةِ مَجـلَّات قديمـة مُهمَلَـة بالقـرب مـن مدخـل المتجـر. كانـت مجـلاتِ ملابِـسَ داخليَّـة.

عندمـا اشـترى المجلـة، حسـبه الكاشـير ثَمِـلًا أو أبلـهَ؛ فـكل مـا سـيجده فيهـا هـو صـورٌ لنسـاء في ألبسـتهن الداخليـة. ربمـا كانـت أرجُلُهـنَّ مَفتوحَةً عـلى اتِّسـاعها، لكنَّهـنَّ مُرتديـات الألبسـة. بالتالي لا تَرقـى لمُنافَسَـةِ القنادِس المفتوحـة عـلى مصراعيهـا المعروضـة في مؤخِّـرة المتجر.

قال الكاشير لتراوت: "أتمنّى أن تستمتع بها". كان يعني أنه يتمنّى لتراوت أن يجد صورًا جيِّدةً ليستَمنيَ عليها، بما أن ذلك هو الهدف الوحيد من كل الكتب والمجلات.

قال تراوت: "إنها لأجلِ مهرجانِ فنون".

* * *

أمَّا بخصوص القصة ذاتها، فكان بعنوان (الأحمق الراقص). وكانت مثلَ العديد من قصص تراوت، عن الفشل الذريع في التواصُل.

هذه كانت الحَبكَة: طبقٌ طائِرٌ يحمل كائنًا اسمه "زوج" جاء إلى الأرض ليشرح للناس كيفية منع الحروب وشفاء السرطان. أحضر هذه المعلومات من مارجو، وهو كوكَبٌ يتواصل سُكَّانُه الأصليُّون بالضُّرَاطِ والرَّقصِ الإيقاعي. هبط "زوج" في كونيتيكت ليلًا. ما أن لمس الأرض حتى رأى بيتًا يحترق. هرع إلى البيت، يَضرطُ ويرقص إيقاعيًّا ليُنذِرَ سُكَّانَه بالخَطَرِ الذي يُهدِّدهم. حَطَّم رَبُّ البيت رأسَ "زوج" بمضرب جولف.

* * *

صالة السينما التي جلس فيها تراوت بكلِّ متاعِه في حِجرِه، لم تَعرِض إلَّا الأفلام البذيئة. الموسيقى كانت مُريحَةً. وعلى الشاشة الفِضِّيَّة كانت خيالات لشابٍّ وشابَّة يَمتصَّان فتحات بعضهم الطَّريَّة ببراءة.

وفيما هو جالس، وضع تراوت رواية جديدة. كانت عن رائد فضاء أرضي وصل كوكبًا ماتت فيه الحيوانات والنباتات وأشكال الحياة كلها، إلَّا البشر، من فَرطِ التَّلوُّث. يأكلُ البَشَرُ هُناكَ طعامًا مصنوعًا من الفحم والنفط.

قدَّموا وليمةً لرائِدِ الفضاء، الذي كان اسمه دون. كان الطعام مُريعًا. موضوع الحديث الأكبر كان الرقابة. آفَةُ مُدنِهم كانت صالات السينما التي لا تعرض إلّا الأفلام البذيئة. تمنَّت الكائناتُ البَشريَّةُ لو كانت هناك طريقة لإغلاقهم بشكلٍ ما، دون المَساس بحرِّيَّة التعبير.

سألوا دون إن كانت الأفلام البذيئة مُشكِلَةً في الأرض أيضًا، وقال لهم دون: "نعم". سألوه إن كانت الأفلام بذيئة جدًّا، وأجاب دون: "أبذأ ما يمكن أن تكون".

ذلك كان تحدِّيًا للكائنات البشرية، الذين كانوا مُتيقِّنين أن أفلامهم البذيئة تفوق أيَّ شيء على الأرض. هكذا تَكوَّم الجميعُ في السيارات الهوائية، وطاروا إلى صالة سينما بذيئةٍ في وسط المدينة.

وصلوا في وقت الاستراحة، هكذا صار أمام دون وقتٌ للتفكير في ماذا قد يكون أكثرَ بَذاءَةً ممَّا شاهده بالفعل على الأرض. أصبح مثارًا جنسيًّا حتى قبل أن يبدأ الفيلم. النساء في صُحبَتِه كُنَّ مُرتَعشاتٍ مُتلوِّيات.

ثم أظلَمَت القاعة وانفتحت الستائر. في البداية لم تُعرَض أيَّةُ لقطات، ومن السَّمَّاعات خرجت أصواتُ تَلَمُّظٍ وتَأوُّه. ثم ظهرت الصورةُ ذاتها. كان فيلمًا عالي الجودة لكائِنٍ بَشَريٍّ ذَكَر، يأكل ما بدا كثَمَرةِ كُمَّثرى. اقتربت الكاميرا من شفتيه ولسانه وأسنانه، الذين التمعوا جميعًا بالعُصارة. أخذ وقته في أكلِ الكُمَّثرى. عندما اختفى آخِرُها في فمه الذي يسيل منه اللعاب، رَكَّزَت الكاميرا على تفاحة آدم في رقبته. تراقَصَت تُفَّاحة آدم بخَلاعَةٍ. تجشَّأ بِرضًا. ثم ظهرت هذه الكلمة على الشاشة، لكن بِلُغَةِ الكوكب:

النهاية

* * *

بالطَّبع كل ذلك كان مُزَيَّفًا. لم يَعُد هناك أي كمثرى. ولم يكن أَكْلُ الكمثرى هو الحدث الرئيسي في تلك الأمسية على أيِّ حالٍ. كان عَرضًا قصيرًا، سمح للحضور ببعض الوقت ليستقرُّوا في مقاعدهم.

ثم بدأ العَرضُ الرئيسيُّ. كان عن ذَكَرٍ وأُنثى وطِفلَيْهم، وكلبهم وقِطَّتِهم. أكلوا دون توقُّفٍ طوالَ ساعة ونصف: حساء وملح وبسكويت وزبد وخضار وبطاطس مهروسة ومرق وفواكه وحلوى وكعك وفطير. لم تبتعد الكاميرا تقريبًا عن شفاههم المُلتَمِعَة وتفاحات آدم المُتراقِصة في أعناقهم أكثر من قَدَمٍ. ثم وضع الأبُ الكَلبَ والقِطَّةَ على المائدة؛ ليستطيعوا المشاركة أيضًا في العَربَدَة الجَماعِيَّة.

بعد فترة، لم يستطع المُمثِّلون أكلَ المزيد. كانوا شبعانين لدرجة أن أعينهم دارت في محاجرها. بالكاد كانوا يستطيعون الحركة. قالوا إنَّهم رُبَّما لن يستطيعوا الأكل مُجدَّدًا لأسبوع، وما إلى ذلك. نظَّفوا المائِدَةَ ببُطءٍ. ثم تَهادَوا إلى المطبخ، حيث ألقوا بحوالي 30 رطلًا من بقايا الطعام في سَلَّة القمامة.

هاجت الجماهير.

عندما خرج دون وأصدقاؤه من السينما، بادَرَتهم مُومِساتٌ بَشرِيَّةٌ، وعَرَضنَ عليهم تقديم بَيضٍ وبُرتقالٍ وحَليبٍ وزُبدٍ ومكسَّرات وما إلى ذلك. بالطبع لم يكن بوسع المُومِسات تقديم ما وَعَدنَ به.

الكائنات البشرية أخبَرَت دون أنَّه لو ذَهَبَ مع مومس إلى بيتها؛ ستطبخ له وجبةً من منتجات الفحم والنفط بأسعار غالية. ثم ستتحدَّث إليه ببذاءَةٍ بينما يأكل، عن كيف أن الطعام طازجٌ وشَهيٌّ وتَنِزُّ منه العُصارَةُ الطبيعية، برغم أن الطَّعامَ كُلَّه مُزيَّف.

6

جلـس دوايــن هوفـر في البليمــوث فيــوري المُســتَعمَلة المُســتقِرّة في ساحته الخاويـة لسـاعة، اسـتمع خلالها لراديـو غـرب ڤيرچينيـا. سـمع عـن التأمـين الصّحـيّ مُقابِـلَ قـروشٍ يوميًـا، وعـن كيـف يحصـل عـلى أفضـل أداء مـن سـيارته. سـمع عـن كيـف يتعامَـلُ مـع الإمسـاك. عُـرِضَ عليـه الإنجيـل الـذي فيـه كلُّ مـا قالَـه الـرّبُّ ويسـوع المسـيح بصـوتٍ عـالٍ، مطبوعًـا بحـروف كبـيرة حمـراء. عُرِضَـت عليـه نباتـاتٌ تَجتَـذِب الحـشرات الحامِلَـةَ للأمـراض في المنـزل وتلتَهِمُهـا.

خُـزِّن ذلـك كُلُّـه في ذاكـرة دوايـن، إذ ربمـا يحتاجهـم لاحقًـا. كان في تلـك الذاكـرة أشـياء كثـيرة فعلًا.

* * *

بينـما جلـس دوايـن هنـاك وحيـدًا، كانـت أكـبرُ سُـكّان مدينـة ميدلانـد تمـوت في مستشـفى المُقاطَعَـة، في نهايـة جـادّة فيرتشـايلد، والـذي كان يَبعُدُ

تسعة أميال. اسمها كان ماري يونج، وعمرها كان مائة وثمانية أعوام. كانت سوداء. كان والداها عَبدَيْن في ولاية كنتاكي.

كان هناك القليل ممَّا يَربط ماري يونج ودواين هوفر. غسلت ملابس أُسرَة دواين بضعة أشهر، كان دواين في ذلك الوقت طفلًا صغيرًا. حكت لدواين الصغير قصَصًا إنجيليَّةً وقصصًا عن العبودية، وحَكَت له عن شَنقٍ عَلَنيٍّ لرَجُلٍ أبيض شهدته في سينسيناتي عندما كانت طفلةً صغيرة.

* * *

تابع مُتدرِّبٌ أسود في مستشفى المُقاطَعَة ماري يونج تموت من الالتهاب الرئوي.

لم يعرفها المُتَدرِّب. لم يَمضِ على وُجودِهِ في ميدلاند إلَّا أسبوعٌ واحدٌ. بل لم يكن حتى أمريكيًّا زميلًا في الوطن، رغم أنه نال شهادته في الطب من هارفارد. كان إنداروِيًّا، كان نيجيريًّا. اسمه سيبريان أوكويندي. لم يشعر بأي قَرابَةٍ تِجاهَ ماري أو أي من السود الأمريكيين. شعر بالقرابة فقط تجاه الإنداروِيين.

بينما تموت، كانت ماري وحيدةً على ذلك الكوكب قَدرَ وحدَةِ دواين هوفر وكيلجور تراوت. لم تتكاثر قَطُّ. لم يكن هناك أي أصدقاء أو معارف يشهدون وفاتها. هكذا تفوَّهَت بكلماتها الأخيرة على ذلك الكوكب لسيبريان أوكويندي. لم يكن لديها نَفَسٌ كافٍ لتجعل حبالها الصوتية تَرِنُّ. بالكاد حرَّكَت شفتيها دون صوت.

هذا كل ما كان لديها لتقول عن الموت: "يا ربي، يا ربي".

* * *

مثـل كل الكائنـات الأرضيـة في لحظـة موتهـا، أرسـلت مـاري يونـج إشـاراتٍ باهِتَـةً لِـكُلِّ مَـن عرفوهـا تُذَكِّرهـم بهـا. خـرج منهـا سِربُ فراشـاتٍ تَخاطُرِيَّـةٍ صغيرٌ، مسَّـت إحداهـا بخِفَّـةٍ وَجنَـةَ دوايـن هوفـر، عـلى بُعـدِ تِسـعَةِ أميـال.

سـمع دوايـن صوتًـا واهِنًـا مـن مـكان مـا خلـف رأسـه، برغـم أن أحـدًا لم يكـن هنـاك. قـال الصَّـوتُ لدوايـن: "يـا ربي، يـا ربي".

* * *

كيميـاء دوايـن السَّـيِّئة جعلتـه يُحـرِّك ناقِـلَ سُرعـاتِ سَـيَّارته، وقادهـا خارجًـا مـن السَّـاحة الخاليـة. مـضى بهـدوءٍ عـلى طـول جـادَّة يونيـون، والتـي كانـت تُـوازي الطَّريـقَ السَّريـع.

تَجـاوَزَ مَقـرَّ عَمَلِـه الرئيـسي، والـذي كان (قريـة بونتيـاك دوايـن هوفـر عنـد المخـرج 11)، ثـم دار إلى سـاحة انتظـار الهوليـداي إنّ الجديـد المجاور. امتلـك دوايـن ثلـث الهوليـداي إنّ، بالشَّراكـة مـع د.ألفريـد ماريتيمـو، طبيـب الأسـنان الأول في ميدلانـد، وبيـل ميلـر، الـذي كان، مـن بـين عـدَّة أشياء، رئيسًـا للجنـة إطـلاق السَّراح المـشروط في الهيئـة الإصلاحيـة للبالغـين في شـيبردزتاون.

صعـد دوايـن إلى سـطح الفنـدق عـلى سلالِمِه الخَلفيَّة دون أن يُقابِـلَ أحـدًا. كان القمـر كامِـلًا. كان هنـاك قمـران كامِـلان. كان مركـز ميلدريـد بـاري التَّـذكاري للفنـون كُـرَةٌ شَـفَّافَةٌ عـلى أعمـدة، وكان مُضـاءً مـن الداخـل، فبـدا مثـل قمـر.

* * *

تأمَّـل دوايـن المدينـةَ النائمـة. كان قـد وُلِـدَ هنـاك، قـضى سـنواتِ عُمرِه الثَّلاثـة الأولى في دار أيتـامٍ عـلى بُعـدِ ميلَـيْن مـن حيـث يقـف، تبنَّـاه آل هوفـر وعلمـوه هنـاك.

لم يمتلك وكالة البونتياك وجزءًا من الهوليداي إنّ الجديد فقط. بل امتلك أيضًا ثلاثة فُروعٍ بِرجَر تشيف، وخَمسَ مغاسِلِ سَيَّارات تعمل بالعُملات المعدنيّة، وأنَصِبَةً من سينما سيارات شوجر كريك، ومحطة راديو دابليو. إم. سي. واي.، وثلاثة ملاعب جولف صغيرة، وسبعمائة سَهمٍ في باريترون المحدودة، وهي شركة إليكترونيات محلية. وامتلك عشرات الساحات الخاوية. وكان في مجلس إدارة بنك مقاطعة ميدلاند الوطني.

لكن مدينة ميدلاند بَدَت الآن لدواين غريبةً ومُخيفَةً.

قال: "أين أنا؟".

بل أنه نَسِيَ حَتَّى -على سبيل المثال- أن زوجته سيليا انتحرت بتناوُلِ الدرانو، وهو مزيجٌ من الصُوديوم والهيدروكسيد ورقائق الألومنيوم، والذي كان يُستَخدَمُ لتنظيف المصارِف. تحوَّلت سيليا لبركان صغير، بما أنها كانت مُكوَّنَةً من نفس أنواع المواد التي تَسدُّ عادَةً المصارِفَ.

نسي حتى أن ابنه الوحيد، قد كبر ليصبح مِثليَّ الجِنسِ سيِّئَ السُّمعَة. كان اسمه جورج، لكن الجميع كانوا يُلقِّبونه باني. كان يعزف على البيانو في بار الهوليداي إنّ الجديد.

قال دواين: "أين أنا؟".

7

تَبَـوَّل كيلجـور تـراوت في حـمَّام الرجـال بصالـة السـينما في نيويـورك. بجـوار المنشـفة عـلى الحائـط كان هنـاك مُلصَـقٌ يُعلِـن عـن صالـة مَسـاج تُدعَـى "حريـم السُّـلطان". كانـت صـالات المَسـاج شـيئًا حديثًـا ومُثـيرًا في نيويـورك. بوسـع الرجـال الذَّهـابُ إلى هنـاك وتصويـر نسـاءٍ عاريـات، أو الرسـم عـلى أجسـاد نسـاءٍ عارِيـاتٍ بألـوان ميـاه. ويمكـن أن يُدعَـكَ الرَّجُـلُ بالكامِـلِ مـن قِبَـلِ امـرأةٍ حتَّـى يَقـذِفَ قَضيبُـه مـاءً في مناشـف تركيـة.

قال كيلجور تراوت: "يا لها من حياةٍ كامِلَةٍ مُبارَكة".

وكان هنـاك رسـالة مكتوبـة بالقلـم الرصـاص عـلى البـلاط بجـوار المنشـفة. تلـك كانـت الرسـالة:

ما الهدف من الحياة؟

بحث تراوت في جيبه عن قلم جافٍّ أو رصاص. كانت لديه إجابة على السؤال. لكن لم يَملِك ما يكتب به، ولا حتى عودَ كبريتٍ مُحترِق. هكذا ترك السؤالَ دون إجابَةٍ. لكن هذه الإجابة التي كان سيكتبها لو كان وجد ما يكتب به:

أن تكون

أعيُن

وآذان

وضَميرَ

خالِقِ الكَونِ

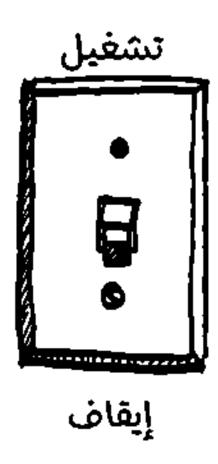
يا حِمار

خلال عودة تراوت إلى مقعده في الصالة، تسلَّى بلعب دور أعين وآذان وضمير خالِقِ الكَون. أرسل بالتَّخاطُرِ رسائِلَ للخالِقِ، أينما هو. أبلغه أن حمَّامَ الرِّجال كان نظيفًا مثل القشدة. وأرسل إشارةً من اللوبي تقول: "السَّجَّاد تحت قَدمي ناعِمٌ وجديد. أظنُّه مَصنوعًا من نسيجٍ عجيب ما. إنه أزرق. أنت تعلم ما أقصده بـ أزرق؟"، وما إلى ذلك.

عندما عاد إلى قاعة العرض نفسها، كانت الأضواءُ مُنارَةً. لم يكن هناك أحدٌ سِوى المدير، والذي هو أيضًا قاطِعُ التَّذاكر والحارس وعامل النظافة. كان يكنسُ القاذورات من بين المقاعد. كان رَجُلًا في منتصف العمر. قال لتراوت: "لا مزيدَ من المَرَحِ اللَّيلَة يا جَدِّي. حان وقت الرجوع للبيت".

لم يعترض تراوت، ولم يَمضِ من فوره أيضًا. فحص صندوقًا معدنيًّا أخضرَ مَصقولًا في مُؤخِّرَة القاعة. كان يحتوي على آلة العَرض والنظام

الصـوتي والأفـلام. وهنـاك سِـلكٌ يَربـطُ بـين الصنـدوق ومقبـس كهربـاء في الحائـط، وفتحـة في مُقدِّمَـة الصنـدوق، منهـا تخـرج الصُّـوَر. بجـوار الصنـدوق كان هنـاك مِفتـاحٌ بَسـيطٌ. بـدا كذلـك:



* * *

أثـارت تـراوت فِكـرَةُ أنّـه لم يكـن بحاجـة إلى مـا يزيـد عـن نَقـرِ الـزِّرّ، فيعـود النـاس إلى المَـصّ والمُضاجَعـة مُجـدَّدًا.

قال المدير بحدّة: "تصبح على خير يا جَدِّي".

ذهـب تـراوت عـن الآلـة وهـو لا يـكاد يفعـل. قـال عنهـا للمديـر ذلـك: "كـم تسـدُّ هـذه الآلَـةُ مـن احتيـاجٍ، وكـم يسـهل تشـغيلها".

* * *

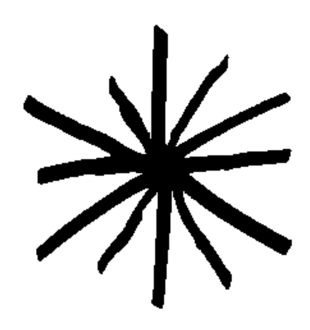
وفيـما هـو يغـادر، أرسـل تـراوت رسـالةً تَخاطُريَّـةً لخالِـقِ الكـون، لاعبًا دَورَ أعيُنِـه وآذانـه وضمـيره: "أنـا مُتَّجِـهٌ الآن إلى شـارع 42. مـاذا تعلـم عـن شارع 42؟".

8

مشى تراوت على رصيف شارع 42. كان مكانًا خطيرًا. المدينة كلها كانت خطيرةً. بسبب الكيمياء والتوزيع غير العادل للثروات وما إلى ذلك. كثير من الناس كانوا مثل دواين: خَلَقوا كيمياءَ سَيِّئَةً داخل أجسادهم؛ ما أثَّر سلبًا على أدمغتهم. لكن كان هناك أيضًا عشرات الآلاف من سُكَّان المدينة الآخرين، الذين يشترون كيمياء سيِّئَةً ويأكلونها أو يستنشقونها، أو يحقنونها في عروقهم بأدواتٍ تبدو مثل تلك:



بـل أن بعضهـم كان يحـشر أحيانًـا الكيميـاءَ السَّـيِّئَة في فتحـات مُؤخِّراتهـم. فتحـات مؤخِّراتهـم تبـدو مثـل تلـك:



* * *

جـازَفَ النَّـاسُ بالكيميـاء وأجسـادهم؛ لأنهـم أرادوا تَحسـينَ حياتهـم. فهـم يعيشـون في أماكِـنَ كريهـةٍ لا يُتـاح فيهـا إلَّا عمـل الأشـياء الكريهـة. ولم يمتلكـوا حتـى الهـواء، فلـم يسـتطيعوا تحسـينَ مـا يحيـط بهـم. هكـذا فعلـوا مـا بوسـعهم لجعـل دواخلهـم جميلـةً عوضًـا عـن ذلـك.

النتائـج حتـى الآن كارِثيّـة: انتحـارٌ وسرِقَـة وقَتـلٌ وجُنـونٌ، ومـا إلى ذلـك. برغـم ذلـك يُطـرح في الأسـواق طـوال الوقـت كيميـاء جديـدة. عـلى بُعـد عشريـن قدمًـا مـن تـراوت في شـارع 42، تمـدَّد فتًـى أبيـضُ في الرابعـة عـشرة فاقِـدًا للوعـي عـلى عتبـة مَتجَـرٍ إباحـيٍّ. كان قـد ابتلـع رُبـعَ لِـترٍ مـن مُزيـلِ طِـلاءٍ مـن نـوع جديـد عُـرض للبيـع أوَّل مَـرَّةٍ قبـل يـوم واحـد. وكان قـد ابتلـع أيضًـا قُرصَـيْن كان يُفـتَرَض بهـما عـلاج الإجهـاض المعـدي بـين الغنـم، مـا يُعـرف باسـم مـرض بانـج.

* * *

تجمَّـد تـراوت في مكانـه بشـارع 42. لقـد أعطيتـه حيـاة لا تسـتحق أن تُعـاش، لكنـي أعطيتـه أيضًـا إرادةً حديديـة للحيـاة. ذلـك كان مزيجًـا شـائعًا عـلى كوكـب الأرض.

خرج مدير السينما وأغلق الباب خلفه.

ومـن الـلّا مـكان تجسَّـدت بائعتـا هـوًى صغيرتـان سـوداوان. سـألتا تـراوت والمديـر إنْ كانـا يبحثـان عـن بعـض المـرح. كانتـا مبتهِجَتَيْن وبـلا خـوف؛ فقـد أكلتـا أنبـوبَ عِـلاجٍ نرويجـيٍّ للبواسـير منـذ نصـف سـاعة. لم يُعِـدّ هـذه الأشـياءَ صانِعوهـا لتُـؤكَلَ. كان يفـترض أن يحشرهـا النـاس في فتحـاتِ مُؤخِّراتهـم.

هاتـان كانتـا فتاتَـيْن مـن الأريـاف. نَشَـأَتَا بمنطقـةٍ زِراعيَّـةٍ جنـوب البـلاد، حيـث كان أسـلافهم يُسـتخدمون كآلاتٍ زراعيـة. لكـنَّ المُزارعـين البيـضَ لم يعـودوا يسـتخدمون آلاتٍ مَصنوعـةً مـن اللحـم الآن؛ لأن الآلات المصنوعـة مـن المعـدن باتـت أرخـص وأضمـن، ولا تتطلَّـب سَـكنًا خاصًّـا.

هكـذا اضطُـرَّت الآلات السـوداء للرحيـل، للجـوع حتـى المـوت. ارتحلـوا للمُـدُن؛ لأن كل مـكان آخـر كانـت فيـه لافِتـاتٌ مثـل تلـك عـلى الأسـوار والأشـجار:



* * *

كتب تراوت ذات مرَّةٍ قِصَّة تُدعى (نعم أنت المقصود). وقعت أحداثها في جُزُر هاواي، المكان الذي يُفترض بالفائزين المحظوظين بمسابقة دواين هوفر في ميدلاند أن يذهبوا إليه. كل شِبرٍ من الجُزُر كان مِلكًا لواحِدٍ من حوالي أربعين شخصًا، وجعل تراوت هؤلاء الأشخاص في قصَّته يستغلُّون حقوق ملكيَّتهم بالكامل. فوضعوا لافتات "ممنوع الدخول" على كل شيء.

شكَّلَ ذلك مُشكِلَةً كبيرةً لملايين الناس الآخرين الذين يعيشون هناك.

قانون الجاذبية كان يُحتِّم على الجميع أن يَظلُّوا مُلتَصقين بمكانٍ ما على الأرض.

إمَّا ذلك أو يمكنهم اللجوء إلى البحر والطَّفو بعيدًا عن الشاطئ.

لَكِنَّ الحكومة الفيدرالية تَدَخَّلَت بخُطَّةٍ طوارئ. قدَّمَت لِكُلِّ رَجُلٍ أو امرأة أو طفلٍ بلا مِلكيَّةٍ خاصَّة منطادًا مليئًا بالهيليوم.

* * *

تدلَّى من كُلِّ مِنطادٍ حَبلٌ في نهايته سَرجٌ. وصار بوسع أهلِ هاواي -بمساعدة المناطيد- أن يَظلُّوا على جُزُرِهم دون أن يلتصقوا بأشياء يمتلكها غيرهم.

* * *

بائعتا الهوى تعملان الآن لصالِحِ قَوَّاد. كان مُذهِلًا وقاسيًا. كان بالنسبة إليهما إلهًا. سلبهما إرادتهما الحُرَّة، ما كان أمرًا عاديًّا تمامًا، فهما لم تريداها على أيِّ حال. كان الأمر وكأنهما سَلَّمَتا نفسَيْهما للمَسيح مثلًا، ليكون بوسعهما الحياة في أمانٍ وسلام، باستثناء أنهما سَلَّمَتا نفسيهما لقَوَّادٍ بدلًا من المسيح.

طفولتهما انتهت، والآن هما تحتضران. الأرض لم تَعُد بالنسبة إليهما أكثر من كوكبٍ تافهٍ يَدّعي أهمِّيَّةً زائفة.

عندما قال تراوت ومدير السينما، وهما تافهان مُدَّعيان، إنهما لا يرغبان في أيِّ مَرَحٍ تافهٍ مُدَّعٍ، مَشَت الطِّفلتان المحتضرتان الهوينا مُبتَعِدَتَيْن، أقدامهما تلتصق بالكوكب حينًا، ثم ترتفع، ثم تلتصق مُجدَّدًا. ثم اختفتا في رُكنٍ قريب. تراوت، الذي كان أعين وأذان خالق الكون، عطس.

* * *

قال المديرُ "باركك الله". كان ذلك رَدًّا أوتوماتيكيًا يقوله كثيرٌ من الأمريكيين عند سَماعِ شَخصٍ يعطس.

قال تراوت: "شكرًا". وهكذا بدأت صداقَةٌ مُؤقَّتَةٌ.

قال تراوت إنَّه يَتمنَّى أن يصل آمِنًا لفندقٍ رخيص. قال المدير إنَّه يَتمنَّى أن يصل لمحَطَّةِ المترو في ميدان التايمز. هكذا مَشَيَا معًا، يشجعهما صدى خطواتهما المُرتَدُّ عن واجهات المباني.

قال المدير لتراوت القليلَ عن كيف يرى الكوكب. قال إنَّه مكانٌ له فيه زوجَةٌ وطفلان. لا تعرف أُسرَتُه أنه يُدير سينما تعرض أفلامًا زرقاء. يحسبونه يقوم بعمله كمهندسٍ استشاريٍّ إلى وقت مُتأخِّر من الليل. قال إن الكوكب لم يَعُد بحاجَةٍ كبيرة لمُهَندسين في سِنِّه. رغم أنه ذات يوم كان يُبجِّلُهم.

قال تراوت: "أيام صعبة".

أخبر المديرُ تراوت أنه شارك في تطوير مادَّةِ عَزلٍ خارِقَةٍ، استُخدِمت في سُفُن الفضاء التي ذهبت للقمر. تلك كانت في الواقع نفس المادة التي أعطت كساء الألومنيوم في منزل أحلام دواين هوفر في ميدلاند خصائِصَ العَزلِ الإعجازيَّة.

ذكَّـر المديـرُ تـراوت بمـا قالـه أوَّلُ رَجُـلٍ خطـا عـلى القمـر: "خطـوة صغـير للإنسـان، قفـزة عظيمـة للبشريـة".

قـال تـراوت: "كلام عظيـم". نظـر خلفـه، لاحـظ سـيارة تورنيـدو أولدزموبيـل بيضـاء ذات سـقفٍ مـن الفينيـل الأسـود تتبعهـم. كان تلـك المَركبَـةُ أماميَّـةَ الدَّفـعِ، ذات المُحـرك بقـوَّة أربعمائـة حصـان، تُزَمجِـرُ بينـما تمـضي بسُرعَـةِ ثلاثـة أميـال في السـاعة بالقُـربِ مـن الرصيـف عـلى بُعـدِ عَـشر أقـدامٍ خلفهـما.

كان ذلك آخِرَ ما تَذكَّرَه تراوت: رؤية الأولدزموبيل خلفه.

* * *

لم يَـدرِ بِنَفسِـه بعـدَ ذلـك، إلَّا وهـو راقِـدٌ عـلى يديـه وقدميـه في ملعـب كـرة يَـدٍ تحـت جسـر كوينزبـورو في شـارع 59، بالقـرب مـن النهـر الشرقي. بنطالـه ولباسُـه حـول كاحِلَيْـه، وذهَبَـت أموالُـه، وتناثَـرَ مَتاعُـه حولَـه: بذلَتُـه وقميصـه الجديـد وكُتُبُـه، وكان الـدَّمُ يَنِـزُّ مـن إحـدى أُذُنَيْـه.

داهَمَتـه الشرطـة وهـو يرفـع بنطاله. أربكـوه بالكشَّـافات التي سُـلِّطَت عليـه فيـما كان يسـتند بظَهـرِهِ إلى الحائـط في مُؤخِّـرَة الملعـب ويتخبَّـط بحماقَـةٍ مُحـاوِلًا غَلـقَ الحِـزام والأزرار والسوسـتة. افترضـت الشرطـةُ أنهـم ضبطـوه يرتَكِـبُ فِعـلًا فاضِحًـا مـا في مـكانٍ عـام، ضبطـوه يسـتخدم ببالِتَّـة الألـوان المحـدودة للرَّجُـل العجـوز، مـن الكحـولِ والغائـط.

لم يكن مُفلِسًا بالكامل. كان في جيب السَّاعَةِ ببنطاله عشرة دولارات.

* * *

اتَّضَـحَ في المستشـفى أن تـراوت لم يُصَـبْ بِـضَرَرٍ جـدِّيٍّ. أخـذوه إلى قسـم الشرطـة حيـث اسـتجوبوه. كل مـا اسـتطاع قولـه كان أنـه تَعـرَّض للاختطـاف عـلى يـد الـشَّرِّ الخـام الكامـن في أولدزموبيـل بيضـاء. أرادت

الشرطـة أن تعـرف كـم كان عـدد الأشـخاص في السـيارة، وأعمارهـم، وجنسـهم، وألـوان بشرتهـم، وطريقـة حديثهـم.

"بقـدرِ مـا أعلـم، ربمـا لم يكونـوا مـن الأرض أصـلًا، ربمـا كان في السـيارة غـازاتٌ ذكيَّـةٌ مـن بلوتـو".

* * *

قـال تـراوت مـا قـال بـبراءَةٍ، لكـن اتَّضَـحَ أن تعليقـه سـيكون الفـيروس الأول في وبـاءٍ عَقـليٍّ. ذلـك كان كيـف انتـشر المَـرَضُ: كتـب مراسـلٌ صَحَفـيٌّ مقـالًا في جريـدة نيويـورك بوسـت اليـوم التـالي، مُعتَمِـدًا عـلى اقتبـاسٍ مـن تراوت.

نُشر المقالُ تحت ذلك العنوان:

عصابة بلوتو

تخطف اثنين

اسـم تـراوت بحسـب المقـال كان كيلمـر تروتـر، عنوانـه غـير معـروف، وذُكِـرَ أن عُمـرَه اثنـان وثمانـون.

نَسَـخَت صُحـفٌ أخـرى المقـالَ، وحَـوَّره البعـض. اعتمـدوا جميعًـا عـلى مَزحَـةِ بلوتـو، وتحدَّثـوا كـما لـو أنهـم يعرفـون عصابـة بلوتـو مـن قبـل. سـأل المراسِـلون الشُّرطَـةَ عـن أيِّ مَعلومـاتٍ جديـدة تخـصُّ عصابـة بلوتـو، وهكـذا انطلقـت الشرطـةُ تبحـث عـن معلومـاتٍ تَخـصُّ عصابـة بلوتـو.

* * *

هكـذا تعلَّـم النيويوركيُّـون، الذيـن كانـوا مُحمَّلـين بمخـاوِفَ عَديـدَةٍ بـلا اسـمٍ، أن يخافـوا بسـهولة مـن شيء يبـدو مُحـدَّدًا مثـل عصابـة بلوتـو. فاشـتروا أقفـالًا جديـدة لأبوابهـم، وشِـباكًا حديديَّـةً لنوافذهـم؛ ليحمـوا

أنفسـهم مـن عصابـة بلوتـو. توقَّفـوا عـن الذهـاب لصـالات السـينما ليـلًا؛ خوفًـا مـن عصابـة بلوتـو.

ونَـشَرَت الصُّحُـفُ الأجنبيـة الرُّعـبَ، بنشرهـا مقـالاتٍ تَنصَـحُ مَـن يُفكِّـرون في زيـارة نيويـورك، بـأن يلتزمـوا بشـوارِعَ بِعَينِهـا، حتـى يتجنَّبـوا عصابـة بلوتـو.

* * *

في واحـدٍ مـن جيتوهـات نيويـورك المُتعـدِّدة لـذوي البـشرة الدَّاكنـة، اجتمـع مجموعـةٌ مـن الشـباب البورتوريكيِّـين في قَبـوِ مَبنًـى مَهجـورٍ. كانـوا صغـارًا، لكنهـم كانـوا كـثرةً وسـاخِني الدمـاء. تَمَنَّـوا أن يصبحـوا مُخيفـين، لِيَقـدروا عـلى الدفـاع عـن أنفسـهم وأصدقائهـم وعائِلاتِهـم، وهـو شيء لـن تَفعَلَـه الشُّرطَـةُ. أرادوا أيضًـا طَـردَ مُرَوِّجـي المُخـدِّرات مـن أحيائهـم، وأن يصبحـوا مشـهورين كفايـةً، وهـو أمـرٌ في غايـة الأهميـة؛ لِلَفـتِ انتبـاه الحكومـة، فتقـوم الحكومـة بعمـلٍ أفضـلَ في جَمـعِ القِمامَـةِ ومـا إلى ذلـك.

أحدهـم، وكان يُدعَـى خوسـيه مينـدوزا، كان رَسَّـامًا لا بـأس بـه. هكـذا رسـم شِـعارُ عِصابَتِهـم الجديـدة على ظهـور معاطِفهـم. وذلك كان الشِّـعار:



٩

بينـما كان كيلجـور تـراوت يُسَـمِّمُ دون قَصـدٍ الوَعـيَ الجَمعـيَّ لمدينـة نيويـورك، كان دوايـن هوفـر، تاجـر البونتيـاك الـذي خـفَّ عَقلُـه، ينـزل مـن سـطح فُندُقِـه في الغـرب الأوسـط.

دخـل دوايـن لـوبي الهوليـداي إنّ المُغطَّـى بالسّـجّاد قبـل شروق الشـمس بقليـل ليطلـب غُرفَـةً. برغـم غرابـة السَّـاعة، إلَّا أنـه كان هنـاك رَجـلٌ يَسـبِقُه، رجـلٌ أسـود. كان سـيبريان أوكوينـدي، الطبيـب الإنـداروي النيچـيري، الـذي يُقيـم في الهوليـداي إنّ الجديـد إلى أن يَجِـدَ شَـقَّةً مُناسِـبَة.

انتظـر دوايـن بتواضُـع. كان قـد نـسي أنـه يمتلـك جـزءًا مـن الفنـدق. أمَّـا بالنسـبة للسـكن في مـكانٍ يسـكنه رَجُـلٌ أَسـودُ، فقـد تَفَلسَـفَ دوايـن في هـذا الشـأن. أحـسَّ بِنَـوعٍ مـن السـعادة المُـرَّة بينـما يقـول لنفسـه: "الزمـن دَوَّار، الزَّمَـن دَوَّار".

* * *

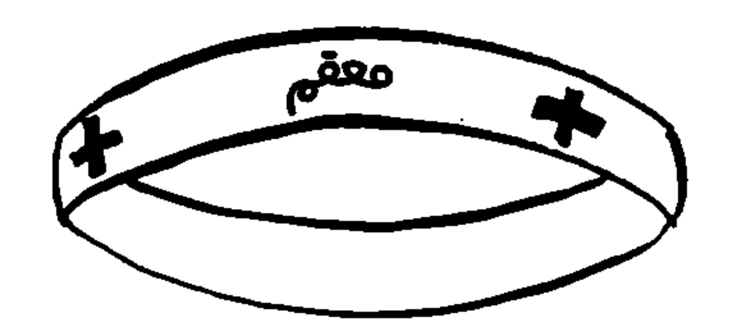
كان مُوظَّف الاستقبال الليليُّ جديدًا؛ فلم يعرف دواين. جعله يملأ استمارةَ تَسجيلٍ كاملَةٍ. ودواين بدوره اعتَذَرَ لِعَدمِ مَعرِفَتِه رقم لوحَةِ ترخيصِ سَيَّارته. شعر بالذنب حيالَ ذلك، برغم علمه أنه لم يرتكب ما يستحقُّ الشُّعورَ بالذَّنب.

ابتهج عندما أعطاه الموظَّفُ مفتاحَ غُرفَةٍ. لقد نجح في الاختبار. وكم أحبَّ الغرفة. كانت جديدة جدًّا، وبارِدَةً جدًّا، ونظيفة جدًّا. وكانت مُحايِدَةً جدًّا. كانت شقيقةَ آلافِ غُرَفِ الهوليداي إنّ في جميع أنحاء العالم.

ربما اختلط على دواين ما الذي تعنيه حياتُه، أو ما الذي عليه فِعلُه بها الآن. لكن هذا على الأقل فَعَلَه كما ينبغي: لقد أوصل نفسه إلى حاويةٍ بَشَرِيَّةٍ لا تشوبها شائِبَة.

كانت في انتظار أيِّ شخص، كانت في انتظار دواين.

حول المرحاض كان هناك شريطٌ وَرقيٌّ يتوجَّب عليه نَزعُه قبل استخدام المرحاض، كان يُشبِهُ ذلك:



الإطـارُ الوَرقـيُّ كان يضمـن لدوايـن أنـه ليـس بحاجَـةٍ إلى الخـوف مـن أن تتسـلَّق حيوانـاتٌ صَغـيرةٌ تُشـبِهُ البرِّيمـة مُؤخِّرتَـه وتدخـل مـن فتحتهـا وتـأكل أسـلاكه. هكـذا قلَّـت الأشـياءُ التـي قـد تُقلِـقُ دوايـن واحـدًا.

* * *

كانـت هنـاك لافتـة صغـيرة تتـدلَّى مـن المقبـض الداخـلي للبـاب، والتـي علَّقهـا دوايـن الآن عـلى المقبـض الخارجـي للبـاب. كانـت تبـدو كتلـك:



فتـح دوايـن السّـتائِرَ التـي تصـل بـين السـقف والأرض لدقيقـة. رأى لافِتَـةً تُعلِـنُ عـن وجـود الفنـدق للمُسـافرين المُتعَبـين عـلى الطريـق السريـع. بَـدَت مثـل تلـك:

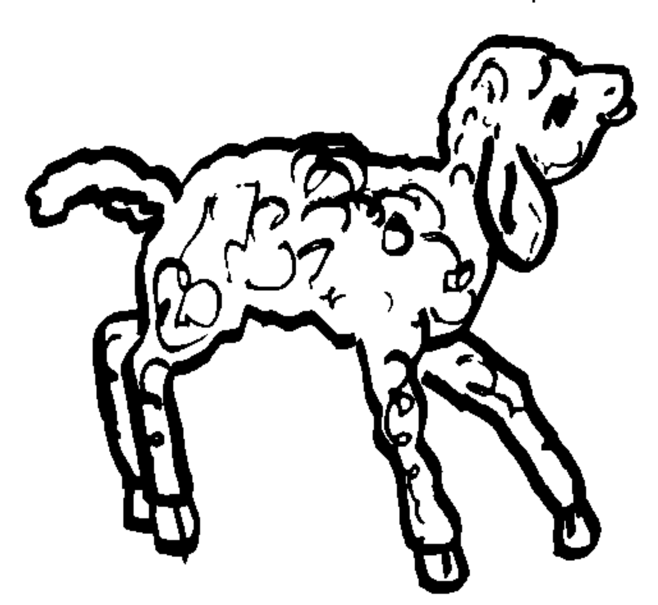
هوليداي

إن

أحسن
فنادق العالم

أَغلَقَ السَّتائِرَ. شَغَّل التكييف. نام كحَمَلٍ وَديع.

الحَمَـلُ هـو حيـوانٌ صَغـيرٌ تُحـكى الأسـاطيرُ عـلى كوكـب الأرض عـن قُدرَتِـه عـلى النـوم جيـدًا. يبـدو كذلـك:



10

أَطلَقَـت شُرطَـةُ مدينـة نيويـورك سَراحَ كيلجـور تـراوت مثـل شيءٍ بـلا وزن قبـل الفَجـرِ بسـاعَتَيْن في اليـوم التـالي ليـوم المحاربـين القُدامـى. عَـبَرَ جزيـرة مانهاتـن مـن شرقهـا لغربهـا، بصُحبَـةِ المَناديـلِ الوَرقيَّـة والصُّحُـف والسُّـخام.

تمكَّـن مـن الحصـول عـلى ركوبَـةٍ في سيَّارَة نقـل. كانـت تنقـل 78 ألـف رطـلٍ مـن الزيتـون الإسـباني. التقطتـه عنـد مدخَـلِ نَفَـقِ لينكولـن، والـذي كان اسـمه عـلى اسـم رَجُـلٍ كان لديـه مـن الشَّـجاعَةِ والخيـال مـا يكفـي لأن يجعـل اسـترقاقَ البَـشَرِ مُخالِفًـا لقانـون الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. ذلـك كان اختراعًـا حديثًـا.

أطلقـوا سراح العبيـد ببسـاطَةٍ دون أن يكـون لديهـم أيُّ أمـلاكٍ. كان يَسـهُلُ تمييزُهـم؛ فقـد كانـوا سـودًا. صـاروا فجـأة أحـرارًا ليستكشـفوا العالم.

* * *

السَّـائِق -الـذي كان أبيـض- أخـبر تـراوت أن عليـه التَّمـدُّدَ عـلى الأرض حتـى يبلغـوا الريـفَ المَفتـوحَ؛ إذ إنَّ التقاطـه للـرُّكَّاب المُتطفِّلـين كان مُخالِفًـا للقانـون.

* * *

كان الظَّلامُ لا يـزال مُخَيِّمًا عندمـا طلـب مـن تـراوت أن ينهـض. كانـوا يعـبرون مراعِـيَ وسـباخ نيـو چـيرسي المُسـمَّمة. كان للشـاحنة جَـرَّارٌ مـن طـراز چـنرال موتـورز أسـترو-95 ديـزل، يَجُـرُّ مَقطـورةً طُولُهـا أربعـون قَدَمًـا. كانـت هائِلَـةً إلى حَـدٍّ جَعَـلَ تـراوت يَشـعُرُ أنَّ رأسـه بحجـم طلقـة مُسـدَّسٍ خَـرَز.

قـال السَّـائِقُ أنـه كان قبـل زَمَـنٍ طويـل صيَّـادَ حيوانـاتٍ وأسـماك. وكُلَّـما تَخيَّـل مـا كانـت عليـه المراعـي والسِّباخ قبـل مائـة سَنَةٍ فقـط مـن الآن ينكسـر قلبـه. "ثـم تُفكِّـر في كلِّ القَـرَف الـذي تُنتِجُـه تلـك المصانِـعُ: صابـون وطعـام قِطَـطٍ ومشـاريبُ غازِيَّـةٌ...".

* * *

تلـك كانـت مَلحوظَـةً جَيِّـدَة. عمليَّات التَّصنيـع كانـت تُدمِّـر الكوكـب، ومـا يُصنَـعُ كان في الغالـب بـلا فائـدة.

ثـم طـرح تـراوت ملحوظـةً جَيِّـدَة بـدوره، قـال: "حسـنًا. لقـد كنـتُ مـن دُعـاةِ المُحافَظَـة عـلى البيئـة. اعتَـدتُ البُـكاءَ والنُّـواحَ عـلى النُّسـور الصَّلعـاء التـي يُطلِقـون عليهـا النَّـارَ مـن مدافـع الهليكوبـترات الآليَّـة، ومثـل هـذه الأشـياء. لكنـي تخلَّيـتُ عـن ذلـك. هنـاك نَهـرٌ في كليفلانـد تَشُـبُّ فيـه النَّـارُ كُلَّ عـام مـن فَـرطِ تَلوُّثـه. كان هـذا يُغضِبُنـي مـن قبـل، لكنـه يُضحِكُنـي الآن. عندمـا تُـسرِّبُ ناقِلَـةُ بـترول عَرَضًـا شِـحنَتَها في المحيط، وتقتـلُ ملايـين الطيـور ومليـارات الأسـماك، أقـول "بالشِّـفاء والعافيـة يـا

ستاندارد أويل" أو أيًّا كان أصحابها"، ثم رفع تراوت ذِراعَيْه بحركة احتفالية وقال: "في مؤخِّرتِك يا موبيل جاز".

استاء السائق من هذا. قال: "أنتَ تمزَح".

قال تراوت: "أدركتُ أن الرَّبَّ ليس ناشطًا بيئيًّا، فمَن يكون كذلك هو مُهَرطِقٌ يُضيِّع وقته. هل رأيتَ من قبل أحد براكينه أو أعاصيره أو فيضاناته؟ ألم يُخبِرك أحدٌ عن العصور الجليدية التي تتعاقَبُ كُلَّ نصف مليون سنة؟ وما رأيُكَ في مرض الدِّردار الهولندي؟ كم من الحفاظ على البيئة فيه؟ هذا من عمل الرَّبِّ لا الإنسان. إذا حلَّ وقتٌ صِرنا نُنظِّف فيه أنهارنا، سيكون الرَّبُّ على الأرجح قد أشعل المَجرَّة كُلَّها وكأنَّها فيلم سيلولويد. هذا ما صار لنجم بيت لحم، أتعرف ذلك؟".

قال السائق: "ما الذي صار لنجم بيت لحم؟".

قال تراوت: "كان مَجرَّةٌ كامِلَة مُشتَعِلَة كفيلم سيلولويد".

* * *

انبهر السائق. قال: "بالتفكير في الأمر، لا أظنُّ أن الإنجيل ذَكَرَ في أيِّ مكانٍ الحفاظَ على البيئة".

قال تراوت: "إلَّا إن أخذتَ في اعتبارك قِصَّةَ الطُّوفان".

* * *

ظَلَّا صامِتَيْن لوَهلَة، ثم طرح السائِقُ مَلحوظةً جَيِّدَة أخرى. قال إنه يَعلَمُ أن شاحِنَتَه تُحوِّل الغُلافَ الجَوِّيَّ لغازٍ سامٍّ، وأنهم يُسَفلِتون الكوكب كُلَّه حتى يستطيع الذهاب بشاحِنَتِه إلى أي مكان. قال: "أنا إذن أنتحر".

قال تراوت: "لا تَقلَقْ بشأن هذا".

تابع السائق: "إن أخي لأسوأ، فهو يعمل في مصنع كيماويَّاتٍ لِقَتلِ النَّباتات والأشجار في ڤيتنام". ڤيتنام كان بلدًا تُحاوِلُ أمريكا جَعلَ أَهلِه يتوقَّفون عن كَونِهم شيوعيِّين عبر إلقاء الأشياء عليهم من الطائرات. الكيماويات التي ذكرها كانت تَهدفُ لِقَتلِ أوراق النباتات؛ فيصعب أكثر على الشيوعيِّين الاختباءُ من الطائرات.

قال تراوت: "لا تَقلَقْ بشأن هذا".

قال السائق: "على المدى البعيد، هو أيضًا ينتحر. يبدو أن الوظيفة الوحيدة التي تستطيع أن تعمل بها في أمريكا هذه الأيام، هي الانتحار بشكلٍ ما".

قال تراوت: "ملحوظة جَيِّدة".

* * *

قال السَّائِقُ: "لا أستطيع أن أُحدِّدَ إنْ كُنتَ جادًّا أم لا".

قال تراوت: "أنا نفسي لن أعرف إلَّا بعدما أكتشف إنْ كانت الحياةُ جادَّةً أم لا. أعلم أنها خطيرة، وأنها تُؤلِمُ جدًّا. لكن هذا لا يعني بالضرورة أنها جادَّة أيضًا".

* * *

بعدما صار تراوت شهيرًا، بالطَّبع، كان واحِدٌ من أكبر الألغاز المُحيطَةِ به هو سؤالٌ إنْ كان يَمزَحُ أم لا. قال ذاتَ مَرَّةٍ لسائِلٍ لَحوحٍ إنَّه يَعقِدُ أصابِعَه دومًا إن كان يَمزَح.

وتابع: "وليَكُنْ في اعتبارك من فضلك، أني عندما قَدَّمتُ لك هذه المعلومة التي لا تُقدَّر بِثَمنٍ، كانت أصابعي معقودة".

وما إلى ذلك.

كان مُزعجًا مثل ألم في الرقبة، بأكثر من شكل. ضَجَّ منه سائِقُ الشاحنة بعد ساعة أو اثنتين. استغلَّ تراوت الصَّمتَ لوَضعِ قِصَّةٍ مُضادَّةٍ للحفاظ على البيئة، أسماها (جيلجونجو!).

جيلجونجو! كانت عن كوكَبٍ تَعيسٍ بسبب الخَلقِ المُفرِطِ الجاري فيه .

بدأت القصة بحفلة قامت لتكريم رَجُلٍ قَضَى على كائِناتِ دِببَةِ البانـدا اللطيفة بالكامل. كان قد سخَّر حياته لهذا. صُنِعَت أطباقٌ خاصَّةٌ للحَفلة، وأخذها الضيوفُ معهم لبيوتهم على سبيل التذكار. كان على كلٍّ منها صورةٌ لِدُبٍّ صَغير، وتاريخ الحفلة. تحت الصورة كانت كلمة:

جيلجونجو!

والتي كانت تعني بِلُغَةِ ذلك الكوكب: "انقَرَضَت!".

* * *

كان النَّاسُ سُعداءَ أنَّ الدِّبَبَةَ كُلَّها جيلجونجو؛ لأن كوكبهم كان مُفعمًا بأنواع كثيرة بالفعل، وفي كل ساعَةٍ كان يأتي للوجود المَزيدُ. لم تكن هناك طريقة تُمكِّنُ أيَّ شَخصٍ من الاستعداد لتَنوُّع الكائنات والنباتات المُرِبك الذي سيُقابِلُه على الأرجح.

كان النَّاسُ يفعلون ما بوسعهم للحَدِّ من عدد الأنواع، فتصبح الحياة مُتوَقَّعةً أكثر. لكن الطبيعة كانت خلَّاقَةً أكثرَ منهم. في النهاية اختنقت كلُّ أشكال الحياة بسبب طَبَقَةٍ حَيَّةٍ سُمكُها مائةُ قَدَم. تكوَّنَت الطَّبقَةُ من الحَمَامِ المُهاجر ونسور برمودا وطيور الكركي.

* * *

قال السائق: "على الأقل إنه الزيتون".

قال تراوت: "ماذا؟".

"كان بوسعنا أن ننقل أشياءَ أسوأ بِكَثيرٍ من الزيتون".

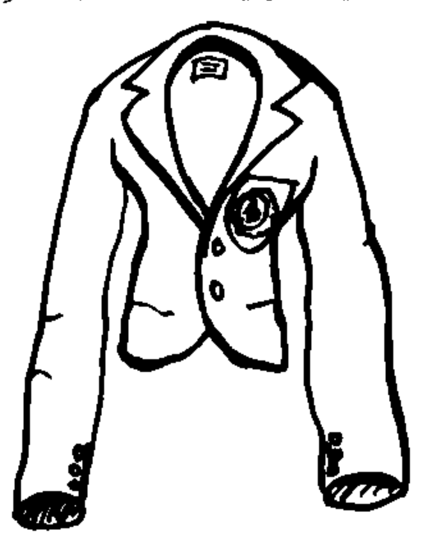
قال تراوت: "صحيح". كان قد نسي أن ما يفعلانه بشكل أساسي هو نقل 78 ألف رطل زيتون إلى مدينة تولسا بأوكلاهوما.

* * *

تحدَّث السائق عن السياسة قليلًا.

لم يكن تراوت قادرًا على تفريقِ سياسيٍّ من آخر. كانوا كُلُّهم بالنسبة له قرودَ شمبانزي مُتحمِّسين بلا سِمَةٍ تُفرِّق واحِدًا عن آخر. كتب ذات مرَّةٍ قصَّةً عن شمبانزي مُتفائِلٍ صار رئيسًا الولايات المُتَّحِدَة الأمريكية. أسماها: "حَيُّوا الزعيم".

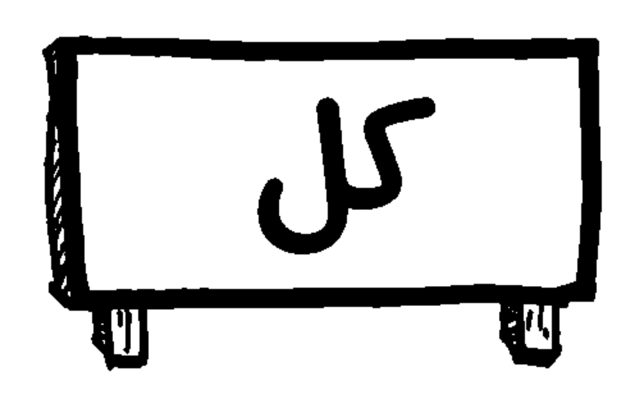
ارتدى الشمبانزي سُترَةً زَرقاءَ صَغيرةً ذاتَ أزرارٍ بَرَّاقَةٍ، مُطرَّز على جيب صدرها شعار رئيس الولايات المتحدة. بَدَت مِثلَ تلك:



أينـما ذهـب، كانـت الفِـرَقُ الموسـيقيَّةُ تَعـزِفُ "حَيُّـوا الزعيـم". أحبَّهـا الشـمبانزي، وتقافَـزَ مَعهـا لأعـلى ولأسـفل.

* * *

توقَّفا عند مطعم. ذلك ما قالته اللافِتَةُ أمامَ المطعم:



فأكَلَا.

لمح تـراوت أحمـقَ يـأكل أيضًـا. كان الأَحمَـقُ ذَكَـرًا أبيـضَ بالِغًـا، ترعـاه مُمرِّضَـةٌ بيضـاءُ. لم يكـن بوسـع الأحمـق الحديـثُ كثـيرًا، وكان يَصعُـب عليـه إطعـامُ نفسـه. وَضَعَـت المُمرِّضَـةُ حـول عُنقِـه مَريلَـةً.

لكـنَّ شَـهيَّتَه كانـت بـلا شَـكٍّ مَفتوحَـةً. تابعـه تـراوت وهـو يجـرف كَعـكَ الوافـل وأصابِـعَ السُّـجق في فَمِـه، ويتجـرَّع اللـبن وعصـير البرتقـال. تأمَّلَ دوايـن -مُتعجِّبًـا- ضخامَـةَ الحيـوان الـذي صـار عليـه الأحمـق، وكـم كانـت سـعادَتُه مُذهِلَـةً أيضًـا، بينـما يشـحن نفسـه بالسُّـعرات الحراريـة التـي سـتُعينه عـلى تَحمُّـل يـومٍ آخـر.

قال تراوت هذا لنفسه: "الشحن لتَحمُّل يومٍ آخر".

* * *

قال سائق الشَّاحِنَة لتراوت: "المَعذِرَة، أنا ذاهِبٌ للتَّسليك".

قال تراوت: "من حيث جِئتُ، يعني هذا أنَّكَ على وشك سرقة مِرآةٍ؛ فنحن نُسمِّي المرايا مَسالِكَ".

قال السائق: "أنا لم أسمع ذلك من قبل". وكرَّر الكلمة: "مسالك". أشار إلى مرآةٍ على آلة بَيعِ السجائر. "أتُسَمِّي هذه مسلكًا؟".

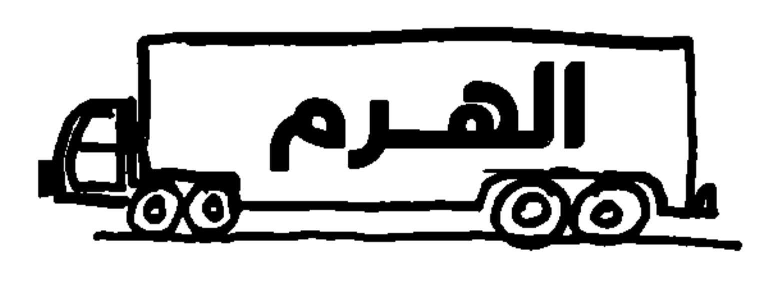
قال تراوت: "ألا تبدو لك مثل مَسلَكٍ؟".

قال السائق: "لا، قلتَ لي من أين أنتَ؟"، قال تراوت: "وُلِدتُ في برمودا".

بعد أسبوع تقريبًا، سيقول السائِقُ لزوجته إن المرايا تُسمَّى مَسالِك في برمودا، وستُكرِّر ذلك على مَسامِعِ أصدقائها.

* * *

عندما اتَّبَع تراوت السائق عائدًا إلى الشاحنة، ألقى أوَّلَ نَظرَةٍ مُتفحِّصَةٍ على وسيلة مُواصلاتِهم من على مبعدَةٍ، رآها كُلَّها. كانت هناك رسالة مكتوبةٌ على جانِبِها بحروفٍ بُرتقاليَّةٍ ضَخمَة لامِعَة ترتفع ثماني أقدام. تلك كانت الرسالة:



تساءل تراوت، كيف كان طِفلٌ تَعلَّم لِتوِّه القراءة سَيُفسِّر تلك الرسالة؟ كان ذلك الطفل ليفترض أن الرسالة شديدةُ الأَهمِّيَّة، بما أن أحدهم تكلَّف عَناءَ كِتابَةِ حروفها بهذه الضَّخامة.

ثم، مُتظاهرًا بأنه ذلك الطفل على جانب الطريق، قرأ الرسالةَ المكتوبة على جانب شاحِنَةٍ أخرى. تلك كانت الرسالة:



11

نـام دوايـن حتـى العـاشرة في الهوليـداي إنّ الجديـد. أصبـح مُنتَعِشًـا. تَنـاوَل الإفطـار رقـم خمسـة في مطعـم الفنـدق الشـهير: "تـالي- هـو رووم". تُنـزَلُ السـتائر في الليـل عـادةٍ، لكنهـا كانـت مفتوحـةً عـلى مصراعيهـا الآن. سـمحت للشـمس بالدخـول.

عـلى المائـدة المجـاورة، كان سـيبريان أوكوينـدي، الإنـداروي النيجـيري، يجلـس وحيـدًا أيضًـا. كان يقـرأ الإعلانـاتِ المُبَوَّبـة في صحيفـة ميدلانـد المحلِّيَّـة "بوجـل- أوبزيرڤـر". كان بحاجَـةٍ إلى مـكان رَخيـصٍ يعيـش فيـه. مستشـفى مقاطعـة ميدلانـد العامـة كانـت تتكفَّـل بفواتـيره في الهوليـداي إنّ إلى أن يَجِـدَ مَكانًـا آخـر، وقـد ضـاق صَدرُهـم مـن ذلـك.

كان أيضًـا بحاجـةٍ إلى امـرأة أو إلى بضـع نسـاء يُضاجِعنَـه مِئـات المَـرَّات في الأسـبوع؛ فقـد كان مليئًـا بالشَّـبَق والمَنِـيِّ طـوال الوقـت. اشـتاق لأن

يكـونَ مـع أقاربـه الإنداروييـن. في وطنـه، كان لديـه سـتمائة قريـبٍ يَعرِفونـه بالاسـم.

وَجـهُ أوكوينـدي كان جامـدًا بينـما يطلـب الإفطـار رقـمَ ثلاثـة مـع خُبـزٍ مـن القمـح الكامـل. خلـف قناعـه كان شـابًّا يُعـاني مـن نوسـتالجيا في مرحلـة متأخِّـرَةٍ، وخِصيَتَـيْ عاشِـقٍ.

* * *

عـلى بُعـدِ سِـتَّة أقـدام كان دوايـن هوڤـر يتأمَّـل الطَّريـقَ السريـع المُزدَحِـمَ، الـذي تغمـره أشِـعَّةُ الشـمس. كان يعلـم أيـن هـو. كان هنـاك خَنـدَقٌ مألـوف بـين سـاحة انتظـار السـيارات في الفنـدق والطريـق السريع، وهـو حـوض خرسـانيٌّ بَنـاه المُهَندِسـون ليحتـوي جـدوَلَ شـوجر كريـك. بعـده كان الحاجـز الفـولاذي المنيـع، الـذي يمنـع السـيارات والشـاحنات مـن السـقوط في شـوجر كريـك. بعـده كانـت الحـارات الثـلاث المألوفـة المُتَجِهَـة غربًـا، بعدهـم الفاصـل العُشـبيُّ المألـوف، بعـده الحـارات الثلاثـة المألوفـة المُتَّجِهـة شرقًـا، بعدهـم حاجِـزٌ فـولاذِيٌّ آخَـرُ مَألـوفٌ. بعـد ذلـك يـأتي مطـار ويـل فيرتشـايلد المألـوف، ثـم الأراضي الزراعيـة المألوفـة في الخلـف.

* * *

كلُّ شيءٍ كان مُسطَّحًا في الخارج: مدينة مُسـطَّحَة، في محافظة مُسـطَّحَة، في مُقاطَعَـةٍ مُسـطَّحة، في ولايـة مُسـطَّحة. عندمـا كان دوايـن طفـلًا، كان قد افـترضَ أن الجميـع تقريبًـا يعيشـون في أماكِـنَ مُسـطَّحة بـلا أشـجار. تَخيَّـل أن المحيطـات والجبـال والغابـات كلهـا مَعزولَـة في مُتنزَّهـات الولايـات والمُتنزَّهـات الوطنيـة. في الصَّـفِّ الثالـث، خَـطَّ دوايـن الطِّفـلُ مَقالـةً اقـترح فيهـا إنشـاءَ مُتَنَـزَّهٍ وطنـيٌّ عنـد انحنـاءة جـدول شـوجر كريـك، المُسـطَّح المـائي الوحيـد المُهِـمُّ عـلى مـدى أميـالٍ ثمانيـة مـن مدينـة ميدلانـد.

قــال دوايــن لنفســه اســم مُســطَّحِ المياه الأليـف هــذا لنفســه، في صَمــتٍ: "شــوجر كريــك".

* * *

كان عُمـق شـوجر كريـك قَدمَيْن فقـط، وعرضـه خمسـين يـاردة عنـد انحناءتـه، حيـث حسـب دوايـن الصغير أن المـكان مُناسِـبٌ لِمُتنَـزَّهٍ. بـدلًا مـن ذلـك صـار الآن مركـز ميلدريـد بـاري التـذكاري للفنـون. كان جميـلًا.

عبـث دوايـن بياقـة قَميصِـه، شـعر ببـادج مُثبَّـت فيهـا بدبُّـوس. انتزعه، دون أن يتذكَّـر مـا يقـول. كان لترويـج مهرجـان الفنـون الـذي سـيبدأ هـذا المسـاء. كان النـاس يرتـدون "بادجًـا" مثـل دوايـن في المدينـة كلهـا. هـذا مـا كان عـلى البـادج:



* * *

كان شــوجر كريــك يفيــضُ مــن حــينٍ لآخَــرَ. يَذكُــرُ دوايــن ذلــك. في أرض مُســطَّحَة لهــذه الدرجــة، فيضــان الميــاه أمــر جميــل بشــكل غريــب.

ينسكب الجَدولُ برفقٍ هادئ من فوق حافَّتَيْه، مُكوِّنًا مرآةً شاسِعةً بوسع الأطفال اللعب فيها بأمان.

أظهَرَت المرآةُ للمواطنين شكلَ الوادي الذي عاشوا فيه، بيَّنَت أنهم أهلُ تِلالٍ يسكنون المنحدرات التي كلَّما ابتعدوا عن شوجر كريك مِيلًا ارتفعت قدمًا.

قال دواين اسم المسطَّح المائي بصمت مُجدَّدًا: "شوجر كريك".

* * *

انتهى دواين من إفطاره، وجَرُؤَ على افتراض أنَّه لم يَعُد مَريضًا عقليًّا، وأنه شُفِيَ بِمُجرَّد تبديله مَحلَّ الإقامة ونومه نومَةً هَنيَّة.

سمَحَت له كيمياؤه السَّيِّئَةُ بعبور اللوبي ثم بار الفندق، الذي لم يَفتَح بعدُ، دون أن يشعر بأي شيء غريب. لكنه ما أن خطا من الباب الجانبي للبار إلى مراعي الأسفلت التي أحاطت بالفندق ووكالة البونتياك، حتى اكتشف أن أحدهم حَوَّل الأسفلت لنوع من الترامبولين.

غَطَسَت الأرضُ تحت وزن دواين، وانخفضت بدواين دون خَطِّ الشارع بكثيرٍ، ثم ارتفعت به ببُطءٍ مَرَّةً أخرى، لكنَّها إلى حَدٍّ أدنى ممَّا كانت عليه. كان في نقرة مَطَّاطِيَّة ضَحلَة. خطا دواين خطوةً أخرى في اتجاه وكالته لبيع السيارات. غطَسَ مُجدَّدًا، ثم ارتفع مُجدَّدًا، ووقف في نَقرَةٍ جديدة.

حدَّق حوله باحِثًا عن شهود. كان هناك واحد فقط. وقف سيبريان أوكويندي على حافَّة النُّقرَة، دون أن يغرق. هذا كان كل ما قاله أوكويندي، حتى مع وضع دواين الاستثنائي:

"يوم لطيف".

* * *

تابع دواين من نُقرَةٍ إلى نُقرَة.

أخذ يَنِطُّ على طول ساحَةِ السَّيَّارات المُستَعمَلَة.

توقَّف في نُقرَةٍ، ونظر إلى فوَق حيث يوجد شابٌّ أسودُ آخَرُ. كان هذا الشابُّ يُلَمِّع بخِرقَةٍ سَيَّارَةَ بويك سكاي-لارك طراز 1970 حمراء ذات سقفٍ قابِلٍ للطَّيِّ. لم يكن هذا الشابُّ يرتدي ما يُلائِمُ ذلك العَملَ من ملابس. كان مرتديًا بذلَةً زرقاءَ رخيصةً، وقَميصًا أبيضَ، ورَبطَةَ عُنُقٍ سوداء. وأيضًا: لم يكن فقط يُلمِّعُ السَّيَّارة، كان يَصقُلُها.

قام الشاب بمَزيدٍ من الصَّقل. ثم ابتسم لدواين ابتسامةً ساطِعَةً، ثم عاد لصَقْلِ السَّيَّارة مُجدَّدًا.

التَّفسير كان كالتالي: هذا الشابُّ الأَسودُ الصَّغير كان قد خرج لِتَوِّه من الهيئة الإصلاحية للبالغين في شيبردزتاون. كان بحاجةٍ للعمل فورًا، وإلَّا سيتضوَّر جوعًا حتى الموت؛ لذا كان يعرض على دواين إلى أيِّ مَدًى هو عامِلٌ مُجِدٌّ.

كان قد تَنقَّلَ بين المياتم وملاجئ الأطفال والسجون من شتَّى الأنواع في منطقة ميدلاند منذ سِنِّ التاسعة. الآن هو في السادسة والعشرين.

* * *

أخيرا صار حُرًّا.

* * *

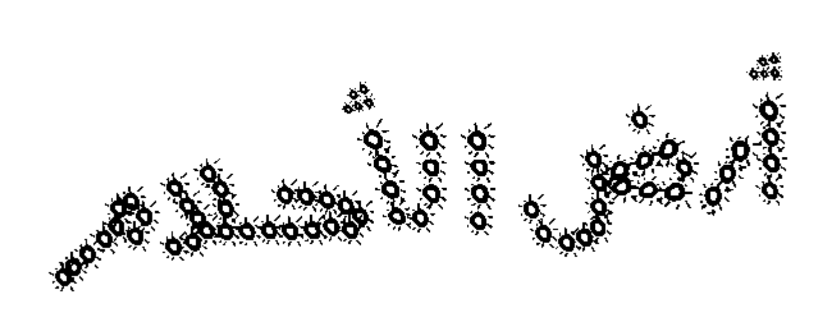
حَسِبَ دواين الشَّابَّ هَلوسَةً.

عاد الشابُّ لمُتابَعَةِ صَقْلِ السيارة. لم تكن حياته تستحقُّ أن تُعاش. رغبته في الحياة كانت واهنة. اعتَقَدَ أن ذلك الكوكب كان شنيعًا، وأنه

لم يَكُـن يجـب أن يُرسـل إليـه. حـدث خَطـأٌ مـا. لم يكـن لـه أصدقـاء أو أقـارب. وكانـوا يضعونـه في أقفـاصٍ أغلـبَ الوقـت.

كان عنـده اسـمٌ لعالَـمٍ أفضـلَ، وكثـيرًا مـا رآه في الأحـلام. كان الاسـم سِرًّا. وسـيتعرَّض للسُّـخرية إن قالـه بصـوتٍ عـالٍ. كان اسـمًا طفوليًّا.

كان بوسـع "رَدِّ السـجون" الأسـود الشـاب هـذا رُؤيَـةُ الاسـم في أي وقت يريـد، مكتوبًـا بالأضـواء داخـل رأسـه. هـذا مـا كان يبـدو عليه:



* * *

كانـت لديـه صـورة لدوايـن في محفظتـه. اعتـاد تعليـق صـور دوايـن عـلى جـدران زنزانتـه في شـيبردزتاون. كان يسـهل الحصـول عليهـم؛ لأن وجـه دوايـن المبتسـم كان جـزءًا مـن كل إعـلانٍ نَـشَرَه في بوجل-أوبزيرڤـر، مـع شـعاره المكتـوب أسـفلها. تبدَّلَـت الصـورةُ كُلَّ سِـتَّة أشـهر. ولم يتغـيَّر الشـعار طيلـةَ خمسـة وعشريـن عامًـا.

هذا كان الشِّعار:

اسأَلْ أيَّ شَخصٍ

تستطيع أن تَثِقَ في

دواين

ابتسم السَّجينُ الشابُّ السابق لدواين مرَّةً أخرى. أسنانه كانت في حالة رائعة. برنامج علاج الأسنان في شيبردزتاون كان ممتازًا، وكذا كان الطعام.

قال الشاب لدواين: "صباح الخير يا سيدي". كان بريئًا إلى حَدٍّ مُخيفٍ. لا يزال أمامه الكثير ممَّا عليه تَعلُّمُه. لم يعرف أيَّ شيء عن النساء مثلًا. كانت فرانسين بيفكو أوَّلَ امرأةٍ يُكلِّمها منذ إحدى عشرة سنة.

قال دواين: "صباح الخير". قالها برِفقٍ؛ حتى لا يَحمِلَ الهَواءُ صَوتَه بعيدًا، في حالَةِ كان يتحدَّث مع هَلوَسَة.

قال المُطلَقُ سَراحُه: "سيدي، لقد قَرَأتُ إعلاناتِكَ في الصُّحُف باهتمامٍ كبير، ووَجَدتُ كثيرًا من السعادة في الاستماع لإعلاناتِكَ في الرَّاديو أيضًا". خلال آخر عام له في السجن، كان مهووسًا بفكرة وحيدة: أنه سيعمل ذات يوم عند دواين، ويعيش بعدها في تَبات ونَبات. ستكون تلك أرض الأحلام.

لم يُجِب دواين على هذا، فتابع الشاب: "أنا عامِلٌ مُخلِصٌ جدًّا يا سيدي، كما بوسعِكَ أن ترى. لا أسمع عنكَ غيرَ كُلِّ خير. وأظنُّ أن ربنا الرحيم قد كتب لي أن أعمل لديك".

قال دواين: "هه؟".

قـال الشـاب: "أسـماؤنا متشـابهة للغايـة، وكأنَّ ربَّنـا الرحيـم يُخبِرنـا بمـا علـى كِلَيْنـا فعلـه".

لم يسـأله دوايـن عـن اسـمه، لكـنَّ الشّـابَّ المُتوهِّـجَ أخـبره عـلى أيٍّ حـال: "اسـمي يـا سـيدي هـو: وايـن هوبلـر".

هوبلر كان اسمَ زُنوجٍ شائعٍ في جميع أنحاء ميدلاند.

* * *

كـسر دوايـن قلـب هوبلـر بعدمـا هَـزَّ رأسـه بغمـوضٍ ثـم مـضى مبتعـدًا.

* * *

دخـل دوايـن صالَـةَ عَـرضِ السَّـيَّارات. لم تَعُـد الأرض تهبـط تحتـه. لكنـه رأى شـيئًا آخـر لم يَسـتطِع أن يَجِـدَ لَـه أيَّ تفسـير: كانـت هنـاك نَخلَـة تقـف خارِجَـةً مـن أرض صالـة العـرض. كيميـاء دوايـن السَّـيِّئَة جعلتـه ينـسى كل مـا يتعلَّـق بأسـبوع هـاواي. في الواقـع، كان دوايـن هـو مَـن صَمَّـم النخلـة بنفسـه. كانـت عمـودَ أسـلاك تليفـون مقطوعًـا ومَلفوفًـا بالخيـش، وفي أعـلاه ثُبِّتَـت بالمسـامير ثِمـارُ جـوز هنـد حقيقيَّـة. ولمُحـاكاة الأوراق ثُبِّتَـت ألـواحٌ مـن البلاسـتيك الأخـضر.

حـيَّرَت النَّخلَـةُ دوايـن حتـى كاد يفقـد الوعـي. ثـم نظـر حولـه ورأى ثمـار الأنانـاس والأوكوليـلي (جيتـارات هـاواي) مُتناثِـرَةً في كل مـكان.

ثـم رأى أغـرب شيء عـلى الإطـلاق: مديـر مبيعاتـه، هـاري ليسـابر، قادِمًـا إليـه، مُتراقِصًـا، مُرتَدِيًـا قميـصَ رَقـصٍ (ليوتـارد) أخـضر كالخَـسِّ، وصندلًا من القَشِّ، وتَنُّورَةً عُشبيَّةً، وتيشيرت ورديًّا يبدو مثل ذلك:



قـضى هـاري وزَوجَتُـه العطلـةَ الأسـبوعيَّةَ كُلَّهـا يتجـادلان في إنْ كان دوايـن قـد اشتبه في كَـونِ هـاري ترانسفيسـتيت أو لا. اسـتنتجوا أن دوايـن ليـس لديـه سـبب ليفعـل. لم يتحـدَّث هـاري مـع دوايـن عـن ملابـس النسـاء، لم يدخـل قَـطُّ مسـابقاتِ جَـمال الترانسفيسـتيت، أو فعـل مـا يفعلـه كثـيرٌ مـن الترانسفيسـتيتيِّين في ميدلانـد، أي الاشـتراك في نـادي ترانسفيسـتيتيين كبيرٍ في سينسـيناتي. ولم يذهب إلى حانة الترانسفيسـتيتيين، أي تلـك التـي في قَبْـوِ فنـدق فيرتشـايلد. ولم يتبـادل صُـوَرَ البولارويـد مـع أي ترانسفيسـتيت آخـر، ولم يشـترك في مجـلات ترانسفيسـتيتيَّة.

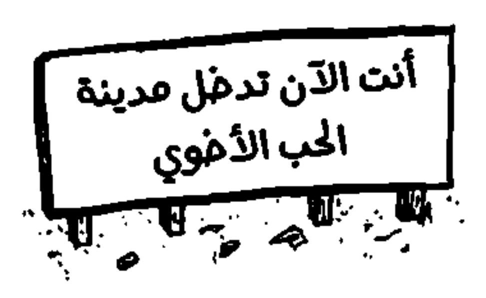
اسـتنتج هـاري وزوجـه أن دوايـن لم يقصـد أيَّ شيء أكـثر مـمَّا قـال، وهـو أن مـن الأحسـن لهـاري أن يرتـديَ شـيئًا مـا جامِحًـا مـن أجـل أسـبوع هـاواي، وإلَّا سـيُلقيه دوايـن خارجًـا.

هكـذا بـات هـاري الجديـد الآن مُزدَهِـرًا بالخـوف والحـماس. شـعر أنـه شَـبِقٌ جميـلٌ مَحبـوبٌ، وحُـرٌّ عـلى نحـوٍ مُفاجـئ.

حَيَّـا دوايـن بالكلمـة الهوائيـة التـي تعنـي (مرحبًـا) و(وداعًـا) في الآن ذاتـه. قـال: "ألوهـا".

12

كان كيلجـور تـراوت بعيـدًا جـدًّا، لكنـه كان يُقـصِّر المسـافةَ بينـه وبـين دوايـن بثَبـاتٍ. لم يَـزَل في الشـاحنة المُسـمَّاة بالأهرامـات. كانـت تعـبر جسرًا حَمَـلَ اسـم الشـاعر والـت ويتـمان تكريمًـا لـه. غطّـى الجِـسرَ الدُّخـانُ. وكانـت الشـاحنة عـلى وشـك أن تصبـح جـزءًا مـن فيلادلفيـا. عنـد قَـدَمِ الجِـسر كانـت هنـاك لافِتَـة تقـول التـالي:



* * *

كان تراوت في شبابه سيسخر من لافِتَةٍ عن الأخوّة مُثبَّتة على حافّة خرابة، مثلما بوسع أيّ شَخصٍ أن يرى. لكنّ رأسَه لم تعُد مرعًى لأفكارٍ عَمّا كان يمكن أن تكون عليه الأشياء في هذا الكوكب أو ما كان يجب أن تكون، مُقارَنَةً بما هي عليه فعلًا. صار يعتقد أن ليس للأرض إلّا شَكلًا واحدًا: شكلها الحالي.

كل شيء ضروري. رأى امرأةً بيضاءَ تبحث في حاوية قمامةٍ. هذا ضروريٌّ. رأى لُعبَةَ أحواض استحمام: بطّة صغيرة مَطّاطِيّة، مُلقاة على جانِبِها في المجاري بجوار مصرَفِ أمطار. يجب أن تكون هناك.

وما إلى ذلك.

* * *

ذكَرَ السّائِقُ أن اليوم السابق كان يومَ المُحاربين القدامى.

قال تراوت: "هممم".

قال السائق: "هل أنت مُحاربون قُدامَى؟".

قال تراوت: "لا، هل أنت؟".

قال السّائِقُ: "لا".

لم يَكُن أيُّهما مُحاربين قُدامى.

* * *

تطرّق السّائِقُ إلى موضوع الأصدقاء. قال إنه بات من الصعب عليه أن يُحافِظَ على علاقات صداقةٍ ذات أيِّ معنى؛ لأنه على الطريق أغلبَ الوقت. سخر من الوقت الذي اعتاد فيه أن يتحدَّث عن "أقرب الأصدقاء". خَمَّن أن الناس لا يعودون للحديث عن أقرب الأصدقاء بعدما يخرجون من المدرسة الثانوية.

أشار إلى أن تراوت، بما أنه يعمل في مجال تركيب نوافذ الرياح والستائر الألومنيوم، كانت لديه كلُّ فُرصَةٍ لبناء العديد من الصَّداقات المُمتدَّة في عمله. قال: "أعني أنه عندما يكون هناك رِجالٌ يَعملون معًا يومًا بعد يَومٍ في تركيب هذه النوافذ، يعرفون بعضهم جيدًا".

قال تراوت: "أنا أعمل وحيدًا".

خاب أمَلُ السائق. "حسبتُ أنها شغلانة تحتاج لشخصين".

قال تراوت: "واحد فقط. بوسع طفل صغير ضعيف أن يقوم بها دون مساعدة".

تمنَّى السَّائِقُ لو كان تراوت يَحظَى بحياة اجتماعية غنيَّةٍ حتى يستطيع الاستمتاع بها بالإنابة. أصرَّ: "ومع ذلك لديك بعض الأصحاب الذين تراهم بعد الشُّغل. تشربون البيرة وتلعبون الكوتشينة وتتبادَلون المزاح".

هَزَّ تراوت كتفيه.

قال له السائق: "أنت تمشي في الشوارع نفسها كُلَّ يَوم. تعرف كثيرًا من الناس، ويَعرِفونك؛ لأنها الشوارع نفسها كُلَّ يَومٍ بالنسبة لكم جميعًا. تقول "مرحبًا" فيردُّون عليك "مرحبًا". تناديهم بأسمائهم فينادونك باسمِكَ. وإذا وَقَعتَ في ورطَةٍ حقيقية يساعدونك؛ لأنَّكَ واحِدٌ منهم، تنتمي إليهم، فهم يَرونَكَ كُلَّ يوم".

لم يرغب تراوت في مُجادَلَتِهِ.

* * *

نسي تراوت اسمَ السائق.

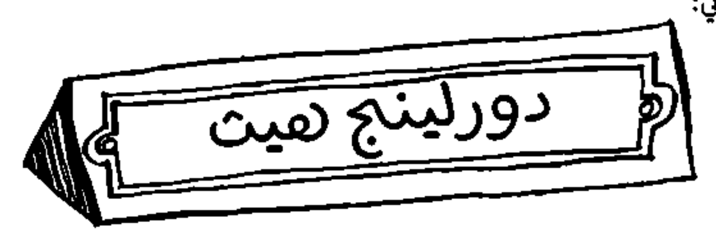
عـانى تـراوت مـن خَلَـلٍ عَقـليٍّ عانيـتُ أنـا أيضًـا منـه. لم يكـن بوسـعه تَذكُّـر شـكل الأشـخاص المختلفـين في حياتـه، إلا لـو كانـت أجسـادهم أو وجوههـم غريبـةً إلى حَـدٍّ كبـير.

عندمـا كان يعيـش في كيـب كـود مثـلًا، الشَّـخصُ الوحيـد الذي اسـتطاع أن يُسـلِّمَ عليـه بحـرارة ويناديـه بالاسـم كان ألفـي بـيرسي، وهـو أَمهَـقُ ذو ذراعٍ واحـدة. كان يقـول: "هـل الجَـوُّ حـارٌّ كفايـة اليـوم يـا ألفـي؟"، "أيـن كُنـتَ تختبـئ يـا ألفـي؟"، "يـا لَـكَ مـن مَشـهَدٍ يشـفي العيـونَ المُتورِّمَـة يـا ألفي".

وما إلى ذلك.

* * *

الآن وقـد صـار يعيـش في كوهـوس، الشَّـخصُ الوحيـد الـذي يناديـه باسـمه كان قِزمًـا أصهَـبَ، إنجليزيًّـا، يُدعـى دورلينـج هيـث، يعمـل في ورشـة تصليـح أحذيـة. عـلى منضـدة عملـه كانـت هنـاك لوحـة اسـم ذات طابـع إداريٍّ، في حالـة إن أراد أحدهـم مناداتـه بالاسـم. بَـدَت اللوحَـةُ كالآتي:



كان تـراوت يُعـرِّجُ عـلى الورشـة مـن حـينٍ إلى حـينٍ، ويقـول أشـياء عـلى غِـرار: "مَـن الـذي سـيفوز ببطولـة العـالم هـذا العـام يـا دورلينـج؟"، و"ألَدَيـكَ أي فكـرة لمـاذا كان الإنـذار يـدقُّ بالأمـس يـا دورلينـج؟"، و"تبـدو جيِّـدًا اليـوم يـا دورلينـج، مـن أيـن جئـتَ بهـذا القميـص؟"، ومـا إلى ذلـك.

تساءَلَ تـراوت إن كانـت صَداقَتُـه مـع هيـث قـد انتهـت. آخـر مَـرَّةٍ ذهـب فيهـا إلى ورشـة تصليـح الأحذيـة، قائـلًا هـذا وذاك لدورلينـج، صرخ فيـه القِـزمُ بَغتَـةً.

هـذا كان مـا صَرَخَـه القـزمُ بلهجتـه الإنجليزيـة الكوكنيَّـة: "توقَّـفٍ عـن إزعاجي".

* * *

نيلسـون روكفلـر، مُحافِـظُ نيويـورك، صافَـحَ تـراوت ذاتَ مَـرَّةٍ في متجـر بقالَـةٍ بكوهـوس. لم يَملِـك تـراوت أدنى فكـرَةٍ عَمَّـن كان هـذا.

ككاتـب خيـالٍ عِلمـيٍّ، كان يجـب عـلى تـراوت أن يُذهَـلَ مـن اقترابـه لهـذه الدرجـة مـن رَجُـلٍ مِثلِـه. لم يكـن روكفلـر مُجـرَّد مُحافـظ، بسـبب القوانـين الغريبـة لهـذا الجـزء مـن الكوكـب، كان مـن المسـموح لروكفلـر أن يمتلـك مسـاحاتٍ شاسِـعةً مـن سـطح الأرض، ومـا دون سَـطحِها مـن نفـطٍ ومُختلـفِ المعـادن الثمينـة أيضًـا. كان يمتلـك أو يتحكَّـم في أجـزاء مـن الكوكـب أكـثر مِـمَّا تفعـل بـلادٌ عِـدَّة. كان ذلـك قَـدرَه منـذ البدايـة، فقـد لُفَّـت صكـوك المِلكيَّـة الحمقـاء تلـك في قِماطِـه منـذ المَهـد.

سأله المُحافِظُ روكفلر: "كيف الحال يا صديقي؟".

قال كيلجور تراوت: "كالعادة".

* * *

بعدمـا أصرَّ عـلى أن تـراوت يَحظَـى بحيـاةٍ اجتماعيَّـةٍ غَنيَّـةٍ، تظاهـر السَّـائِقُ -لِيُرضي نَفسَـه مُجـدَّدًا- أن تـراوت توسَّـل إليـه ليعـرف كيـف هـي الحيـاة الجنسـيَّة لسـائق الشَّـاحِنَة عابـر القـارات. لم يتوسَّـل تـراوت لمثـل هـذا الـشيء.

قال السائق: "أنتَ تريد أن تعرف كيف يغوي سائقو الشاحِناتِ النِّساءَ، أليس كذلك؟ تتخيَّل أن كُلَّ سائِقٍ تراه يُضاجِعُ كالإعصار من الشرق إلى الغرب، أليس كذلك؟".

هَزَّ تراوت كتفيه.

صار سائق الشاحنة ساخِطًا على تراوت، وعَنَّفَه على أفكاره البذيئة الخاطئة. "دَعْني أخبِرُكَ يا كيلجور..."، ثم تَردَّد، "هذا اسمُكَ، أليس كذلك؟".

قال تراوت: "نعم". كان قد نَسِيَ اسمَ السائق مائة مَرَّة. لم يَنسَ فقط اسمَه كُلَّما نظر إلى الناحية الأخرى، بل نسي وَجهَه أيضًا.

قال السائق: "كيلجور، اللعنة، لو تعطَّلَت سيارتي في كوهوس مثلًا، واضطررتُ للبقاء هناك ليومَيْن مُنتَظِرًا إصلاحها، إلى أيِّ مَدًى تحسب من السَّهل على غريبٍ يبدو مثلما أبدو، أن يُمارِسَ الجنسَ؟".

قال تراوت: "سيعتمد ذلك على مدى عزيمتك".

تَنَهَّدَ السائق. قال يائسًا من نفسه: "يا ربي، نعم، هذه غالبًا قصَّةُ حياتي: عزيمة غير كافية".

* * *

تَحَدَّثا عن تقنيَةِ الكِساء بالألومنيوم لجعل البيوت القديمة تبدو جديدةً مَرَّةً أخرى. لا تحتاج هذه الألواح إلى طِلاءٍ أبدًا، تظهر من بعيدٍ وكأنها خشبٌ مَطليٌّ لِتوِّه.

أراد السائق أيضًا أن يتحدَّث عن بيرما-ستون، والتي كانت طريقةً مُنافِسَةً تتضمَّن طِلاءَ جوانب البيوت القديمة بالأسمنت المُلوَّن، هكذا يبدو المنزل من بعيد كما لو أنه مبنيٌّ بالصخور.

قـال السـائق لـتراوت: "لـو كنـتَ تَعمـلُ في نوافـذ الريـاح الألومنيـوم، فـلا بُـدَّ أنَّـكَ في مجـال الكسـاء بالألومنيـوم أيضًـا". كان المَجـالان في البلـد كلـه يمضيـان يـدًا بِيَـدٍ.

قـال تـراوت: "تبيعـه شَركتـي، ورأيتُـه كثـيراً. لكـن لم أعمـل قَـطُّ في تركيبـه".

كان السـائق يُفكِّـر جدِّيًـا في شراء كسـاء ألومنيـوم لبيتـه في ليتـل روك، وتوسَّـل لـتراوت كي يجيـب عـلى سـؤاله بصراحـة: "مـمَّا سـمعت ورأيـت مـن النـاس الذيـن حصلـوا عـلى كسـاء ألومنيـوم، هـل هُـم سـعداء بمـا حصلـوا عليـه؟".

قـال تـراوت: "في كوهـوس، أعتقـد أني لم أرَ قَـطُّ بـين النـاس مَـن هـم سـعداء حقًّـا غيرهـم".

* * *

قـال السَّـائِقُ: "أعلـم مـا تقصـد، ذاتَ مَـرَّةٍ رأيـتُ أُسرَةً كامِلَـةً تَقِـفُ خـارج بيتهـا. لم يُصدِّقـوا إلى أي مـدَّى بـات بيتهـم جميـلًا بعـد وضـع الكسـاء الألومنيـوم. سـؤالي لـك هـو، وأتمنـى أن تُجيبَنـي بصِـدقٍ، خاصَّـةً أننـا لـن نعمـل معًـا أبـدًا: كـم تـدوم هـذه السـعادة يـا كيلجـور؟".

قـال تـراوت: "حـوالي خمـسَ عَـشرةَ سَـنَة. يقـول منـدوب مبيعاتنـا إنَّـكَ تسـتطيع تَحمُّـل تكاليـف تثبيتـه مـرَّةً أخرى، بمـا ستُوفِّره مـن نقـود التدفئـة والدهـان".

قـال السـائق: "تبـدو بيرما-سـتون أكـثرَ ثـراءً، وأعتقـد أنهـا تـدوم أكـثر أيضًـا. لكنَّهـا في المقابـل تُكلِّـف أكـثرَ بكثـير".

قال كيلجور تراوت: "أنتَ تَحصُل على ما تدفع ثَمَنَه".

* * *

أخـبَرَ سـائِقُ الشَّـاحِنَة تـراوت عـن سـخَّان ميـاهٍ كان قـد اشـتراه قبـل ثلاثـين عامًـا، ولم يُسـبِّب لـه أدنى مشـكلة خـلال كل ذلـك الوقـت.

قال كيلجور تراوت: "يا نهار أبيض!".

* * *

سـأل تـراوت عـن الشـاحنة، وقـال لـه السـائق إنَّهـا أَعظَـمُ شـاحِنَةٍ في العـالم. جَرَّارُهـا وحـده ثمنـه 28 ألـف دولار.

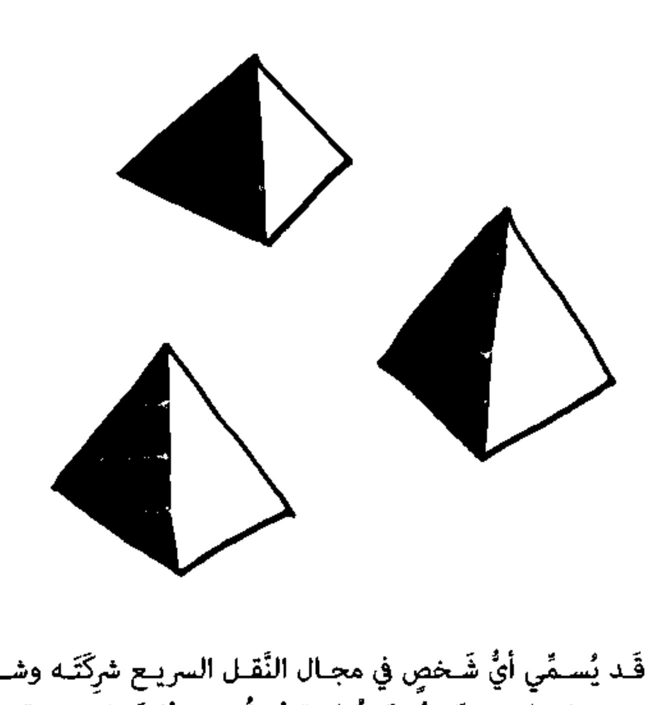
كانـت ذاتَ مُحـرِّك ديـزل كامنـز بقوة 324 حصـان ذي شـاحِنٍ توربينيٍّ، حتـى يكـون بوسـعه العمـلُ جَيِّـدًا في الارتفاعـات العاليـة. وكانـت ذاتَ تَوجيـهٍ هيدروليـكيٍّ، ومَكابِـحَ هوائِيَّـةٍ، و13 غيـارَ سُرعَـةٍ. وكانـت مِلـكًا لشـقيق زوجتـه.

قـال إن شـقيق زوجتـه يمتلـك ثمـاني وعشريـن شـاحنة، وهـو رئيـس شركـة الهـرم للشـاحنات.

سـأل تـراوت: "لمـاذا أطلـق عـلى شركتـه "الهـرم"؟ أعنـي... بوسـع هـذه الشـاحنة الانطـلاقُ بسرعـة مائـة ميـل في السـاعة إن أرادت. إنهـا سريعَـةٌ ومُفيـدَة وغـير مُزَخرَفـة. لم أَرَ شـيئًا قَـطُّ أقـلَّ هَرَمِيَّـةً مـن هـذه الشـاحنة".

* * *

الهـرم هـو نَـوعٌ مـن المقابـر الحجريَّـة العملاقـة التـي بناهـا المصريُّـون قبـل آلاف وآلافِ السِّـنين. ولم يَعُـد المصريُّـون يبنونهـا الآن. تبـدو المَقابِـرُ، التـي يـأتي السُّـيَّاحُ مـن جميـع أنحـاء العـالم ليُحدِّقـوا بهـا، مثـل تلـك:



لِـمَ قَـد يُسـمِّي أيُّ شَـخصٍ في مجـال النَّقـل السريـع شركَتَـه وشـاحِناتِه عـلى اسـم مبـانٍ لم تتحـرّك رُبـعَ خُطـوَةٍ مُنـذُ يـومِ وُلِـدَ المسـيح؟".

إجابـة السـائق كانـت فوريّـةً. وكانـت حانِقَـةً أيضًـا إذ اعتُـبِرَ تـراوت غبيًّـا لسـؤاله عـن شيء مثـل ذلـك. قـال: "لأن وقـع الكلمـة في أذنـه أعجبـه. ألَا يعُجِبُـكَ وَقعُهـا؟".

أومأ تراوت ليحافظ على الأمور لطيفةً. قال: "بالطبع، وقعها لطيف".

* * *

تراجَـعَ تـراوت في مقعَـدِه وفكَّـر في المحادثـة. حوَّلَهـا لِقصَّـةٍ لـن يكتبهـا إلَّا عندمـا يُمسـي عجـوزًا جـدًّا. كانـت عـن كوكـب أخـذت لُغَتُـه تتحـوَّل إلى موسـيقى خالِصَـة؛ لأن الكائنـات هنـاك تَفتِنُهـا الأصـواتُ. صـارت الكلـمات نوتـاتٍ مُوسـيقيَّةً، والجُمَـلُ ألحانًـا. وباتـت بـلا فائِـدَةٍ كناقِلاتٍ للمَعلومـات؛ لأن أحـدًا لم يَعُـد يعلـم أو يهتـمُّ بمعـاني الكلـمات الآن.

هكـذا اضطـرَّ قـادَةُ الحكومـات والتجـارة -حتـى يسـتطيعوا العمـل- لاختـراعِ كلـماتٍ جديـدة وطُـرُقٍ لِبنـاءِ الجُمَـلِ شَـديدَةِ القُبـح؛ حتـى لا يُمكِـنَ تَحويلُهـا إلى موسـيقى.

* * *

سأل السائق: "هل تزوَّجتَ يا كيلجور؟".

قـال تـراوت: "ثـلاثَ مَـرَّات". ليـس هـذا فقـط، بـل إن كُلًّا مـن زوجاتـه الثـلاثِ كانـت جميلَـةً، ومُحِبَّـةً، وشَـديدةَ الصَّبر. وأصـاب كُلًّا مِنهـنَّ الذُّبولُ مـن فَـرطِ تشـاؤمه.

"أيُّ أبناء؟".

قـال تـراوت: "واحـد". في مـكانٍ مـا في المـاضي، بـين الزَّوجـات والقصـص التـي ضاعـت في البريـد، كان هنـاك ابـنٌ يُدعـى ليـو. قـال تـراوت: "صـار الآن رَجُـلًا".

* * *

تَـرَكَ ليـو البيـتَ إلى الأبـد في الرابعـة عـشرة. انضـمَّ لمُشـاةِ البَحريَّـة بعدمـا كـذب بشـأن سِـنِّه. أرسـل لأبيـه رسـالةً مـن مركـز التدريـب. قالـت الرِّسـالَةُ التـالي: "أنـا أُشـفِقُ عليـكَ؛ فقـد انكَمَشـتَ وتكـوَّرتَ في فتحـة مُؤخِّـرَةِ ذاتِـكَ، ومِـتَّ هنـاك".

كان ذلـك آخِـرَ مـا سـمعه تـراوت مـن ليـو، بشـكلٍ مُبـاشِرٍ أو غـير مبـاشر، إلى أن زاره عميـلان مـن المباحـث الفيدراليـة. قـالا إن ليـو هجـر كتيبتـه في ڤيتنـام، وأنـه ارتكـب خيانـةً عُظمَـى، انضـمَّ للفيـت كونـج [الجبهـة الوطنيـة لتحريـر ڤيتنـام].

ذلـك كان تقييـم المباحـث الفيدراليـة لوضـع ليـو عـلى الكوكـب في ذلـك الوقـت: "ابنُـكَ في مُشـكِلَةٍ سَـيِّئَة".

13

عندمـا رأى دوايـن هوفـر هـاري ليسـابر، مديـرَ مَبيعاتِـه، في قميـص رَقـصٍ أخـضرَ كالخَـسِّ وتَنُّـورة عُشـبيَّة وكل هـذا، لم يَقـدِر عـلى التصديـق. فجَعَـلَ نفسَـه لا يـراه. ذهـب إلى مكتبـه الـذي تناثَـرَ فيـه أيضًـا الأنانـاس والأوكوليـلي.

بَـدَت سـكرتيرته، فرانسـين بيفكـو، طبيعيَّـةً، عـدا أن حـول عُنُقِهـا كان حَبـلٌ مـن الـورود وفـوق أحـدِ أُذُنَيْهـا وردَةٌ. ابتسـمت. كانـت أرمَلَـةَ حَـربٍ ذات شِـفاهٍ كوسـائِدِ الأريكـة وشَـعرٍ أحمـر لامِـعٍ. كانـت تعشـق دوايـن، وتعشـق أسـبوع هـاواي أيضًـا.

قالت: "ألوها".

* * *

وفي تلك الأثناء، كان هاري ليسابر مُحطَّمًا من دواين.

عندما قَدَّم هاري نفسه لدواين بتلك الهيئة المُثيرة للسُّخرية، كُلُّ ذَرَّةٍ في جسده كانت تنتظر رَدَّ فِعل دواين. كل ذَرَّةٍ في جسده توقَّفَت عن الدَّوَران، وابتعدت عن جيرانها لِوَهلَةٍ. كل ذَرَّةٍ في جسده انتظرت لتَعرِفَ إن كانت مَجرَّتُها، تلك المُسمَّاة هاري ليسابر، ستتحلَّل أم لا.

عندما عامل دواين هاري وكأنه غيرُ مَرئيٍّ، حسب هاري أنه فضح نفسه كترانسفيستيت مُقرِف، وأنه لهذا بات مطرودًا.

أغلق هاري عينيه. أراد ألَّا يَفتَحَهم مُجدَّدًا أبدًا. أرسل قلبُه هذه الرِّسالَةَ إلى ذَرَّاته: "لأسبابٍ واضحة لنا جميعًا، هذه المَجرَّة قد تَحلَّلَت".

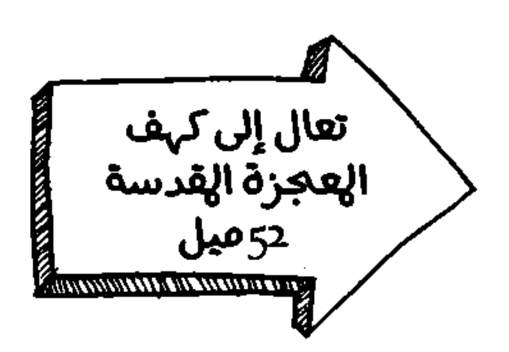
* * *

لم يعرف دواين أيًّا من هذا. انحنى على مكتب فرانسين بيفكو. كاد أن يُخبِرَها كم هو مريض. حَذَّرها: "إنَّ هذا لَيومٌ صَعبٌ لِسبَبٍ ما؛ لذا لا أريد أيَّ مزاحٍ ولا مفاجآت. حافِظي على الأمور بسيطة، لا تُدخِلي أيَّ شَخصٍ ذا حدٍّ أدنى من الحماقة. ولا أريد تليفونات".

قالت فرانسين لدواين إن التوأمين ينتظرانه في المكتب الداخلي. قالت: "أعتقد أن شيئًا ما سيئًا حدث في الكهف".

امتنَّ دواين لتلك الرِّسالة التي كانت بسيطةً وواضِحةً. التوأمان كانا أخَوَيْه غير الأشقَّاء، الصَّغيرَيْن، لايل وكايل هوفر. الكهف كان كهفَ المُعجِزَةِ المُقدَّسة، مصيدة سُيَّاح في جنوب شيبردزتاون، امتلكه دواين بالشراكة مع لايل وكايل. كان مصدر الدخل الوحيد للايل وكايل، اللَّذَيْن عاشا في بيتَيْن مُتطابِقَيْن على جانِبَيْ متجر الهدايا الذي يُغطِّي مدخل الكهف.

في جميع أنحاء الولاية، كانت توجد لافتاتٌ على شكل سَهمٍ، مُمَسمَرَة على الأشجار ومُلصَقَة على الأسوار، تشير في اتجاه الكهف وتقول مدى بُعدِه عن هنا، مثلًا:



قبل أن يَلِجَ دواين مكتَبه الداخليّ، قرأ واحدة من اللافتات المَرِحَة العديدة التي وضعتها فرانسين على الحائط؛ لِتُسلِّي النَّاسَ وتُذَكِّرَهم بما ينسونه بسهولة: أن الناس ليسوا بحاجة لأن يكونوا جادِّين طوال الوقت.

هذا كان نَصُّ الرسالة التي قرأها دواين:

لستَ مُضطرًّا لأن تكون مجنونًا

لتعمل هنا

لكن ذلك بلا شكٍّ سيُساعِدُ

وبجوار النَّصِّ كانت هناك صورة لشخصٍ مجنونٍ. تلك كانت الصورة:



ارتـدت فرانسـين "بادجًـا" عـلى صدرهـا، عليـه صـورةٌ لكائـنٍ ذي حالـةٍ عقليّـةٍ أكـثر صِحّـةً بشـكلٍ يُحسَـد عليـه. ذلـك كان الـزِّرُّ:



* * *

جلــس لايــل وكايــل مُتجاوِرَيْــن عــلى الأريكــة الجِلديّــة الســوداء في مكتــب دوايــن هوفــر الداخـلي. كانـا مُتطابِقَـيْن إلى حَـدٍّ أن دوايـن لم يَكُـن قــادرًا عــلى التفريــق بينهــما حتــى 1954، عندمــا تشــاجر لايــل بســبب امـرأةٍ في حلبـة التَّزلُّـج عـلى الجليـد. بعدهـا بـات لايـل التـوأم ذا الأنـف المكسـورة. يتذكّرهـم دوايـن الآن عندمـا كانـا رضيعَـيْن في المهـد، يمتـصُّ كُلٌّ منهـم إبهـامَ الآخـر.

* * *

هــذه كانــت الكيفيّــة التــي صــار بهــا لدوايــن أخــوةٌ غــير أشــقّاء، بالصُّدفَـة، رغـم أنـه تَبنَّتـه أُسرَةٌ غـير قـادرة عـلى إنجـاب أطفـال مـن صُلبهـا. حَفَّـز تَبنِّيهـم لـه شـيئًا مـا في أجسـادهم، جعـل مـن المُمكِـن أخـيرًا إنجـاب أطفـالٍ. تلـك كانـت ظاهـرةً شـائِعةً. يبـدو أن كثـيرًا مـن الأزواج كانـوا مُبَرمَجـين بتلـك الطريقـة.

* * *

كان دوايـن سـعيدًا برؤيـة هذيـن الرَّجُلَيْن الصغيريـن الآن، يرتديـان الأفـرولات وأحذيـة العمـل والقُبَّعـات السـوداء. كانـا مألوفَـيْن، كانـا حقيقيَّـيْن. أغلـق دوايـن البـاب خلفـه عـلى الفـوضى في الخـارج. قـال: "حسـنًا، مـاذا حـدث في الكهـف؟".

منـذ انكـسر أنـف لايـل، اتَّفـق التوأمـان عـلى أن لايـل هـو مَـن سـيتحدَّثُ نيابَـةً عـن كِلَيْهـما. لم يَقُـل كايـل ألـفَ كلمـة منـذ 1954.

قـال لايـل: "تلـك الفقاقيـع المُتصاعِـدَة تـكاد تصـل للكاتدرائيـة، بهـذا المُعـدَّل، ستُغطِّي مـوبي دِك خـلال أسـبوع أو اثنـين".

فهمهـم دوايـن جيـدًا. المجـرى المـائي الـذي يَمـرُّ في أحشـاء كهـف المعجـزة المُقدَّسـة، كان مُلوَّثًـا بنـوعٍ مـن المُخلَّفـات الصناعيـة التـي يَنتُـجُ عنهـا فقاقيـعُ قاسـيَةٌ كَكُـراتِ البنج-بونـج. تكاتَفَـت هـذه الفقاقيـعُ فـوق بعضهـا حتـى بلغـت مَمـرًّا يقـود إلى صخـرةٍ ضخمَـةٍ، طُلِيَـت باللـون الأبيـض حتـى تُشـبِهَ مـوبي دِك، الحـوت الأبيـض العظيـم. سـتبتلع الفقاقيـع عـمَّا قريـبٍ مـوبي دِك، وتجتـاح كاتدرائيَّـةَ الهمسـات، والتـي هـي عامِـلُ الجَـذبِ الرئيـسي في الكهـف؛ فقـد تـزوَّج الآلاف في كاتدرائيَّـة الهمسـات، بمـا فيهـم دوايـن ولايـل وكايـل، وهـاري ليسـابر أيضًـا.

* * *

أخـبر لايـل دوايـن عـن تَجرِبَـةٍ أجراهـا هـو وكايـل في الليلـة السـابقة. دخَـلَا الكهـف مُسـلَّحَيْن ببندُقيَّتَـيْ خرطـوشٍ براونـنج، مُتطابِقَتَـيْن، وفتَحَـا النَّـارَ عـلى حائِـطِ الفَقاقيـع المُقابِـل.

قـال لايـل: "خـرج منهـا نتانـةٌ لـن تُصدِّقَهـا"، وقـال إنَّ رائحتهـا كانـت كالقَـدَمِ الرياضيَّـة. "أخرجتنـي أنـا وكايـل مـن هنـاك. شـغَّلنا نظـام التهويـة لسـاعَةٍ، ثُـمَّ عُدنـا مـن جديـد. لَطَّـخ الطِّـلاءُ مـوبي دِك، لم تَعُد لديـه عيون". كان لمـوبي دِك عيـونٌ ذاتُ رمـوشٍ طويلَـة، كبـيرة مثـل أطبـاق الطَّعـام.

* * *

قال لايل: "صار لون الأرغن أسود، والسّقف بات أصفرَ قَذِرًا. لا تكاد تستطيع رُؤيَة المُعجِزَة المُقدَّسة بعد الآن".

الأرغن كان (أرغن أنابيب[1] الآلهة)، وهو أَجمةٌ من الصَّواعِدِ والهوابِطِ الكَلسيَّة المُتشابِكَة معًا في أحد أركان الكاتدرائية. في نهايتها كانت هناك مُكبِّرات صوت، منها تخرج موسيقى الأعراس والجِنازات. وكانت مُضاءَةً بأنوارٍ كَهربيَّةٍ، يتغيَّرُ لونها طوالَ الوقت.

المُعجِزَة المُقدَّسة كانت صليبًا في سقف الكاتدرائية، تَشكَّل من تَقاطُعِ شقَّيْن. "لم تكن رؤيته سهلةً قَطُّ على أيِّ حال"، قالها كايل عن الصليب، "لم أعُد واثقًا أنه لا يزال هناك أصلًا". سأل دواين أن يأذن له بشراء شِحنَةٍ من الأسمنت. أراد أن يسدَّ المَمرَّ بين المجرى والكاتدرائية.

قال لايل: "انْسَ موبي دِك وجيسي جيمس والعبيد وكُلَّ ذلك، دَعنا نُنقِذ الكاتدرائية".

جيسي جيمس كان هيكلًا عظميًّا، اشتراه والد دواين بالتَّبنِّي من ممتلكات طبيبٍ خلال الكساد الكبير. عظامِ يده اليُمنَى كانت مُختَلِطَةً بالبقايا الصَّدِئَة لِمُسدَّسٍ ذي ساقية دَوَّارة عيار 45. قيل للسُّيَّاح إنه وُجِدَ على تلك الهيئة، وأنه على الأرجح لِصُّ قطاراتٍ حُوصِرَ في الكهف بعد انهيار صخريٍّ.

أما بالنسبة للعبيد: فأولئك كانوا تماثيلَ من الجصّ لرجالٍ سُودٍ في حفرة عند نهاية مَمرٍّ أسفلَ جيسي جيمس بخمسين قَدَمًا. كانت التماثيل تنزع السَّلاسِلَ عن بعضها بالمطارق والمناشير. قيل للسُّيَّاح إنه ذات يوم استَخدَمَ الكَهفَ عَبيدٌ حَقيقيُّون بعد هروبهم بحثًا عن الحرية عبر نهر أوهايو.

* * *

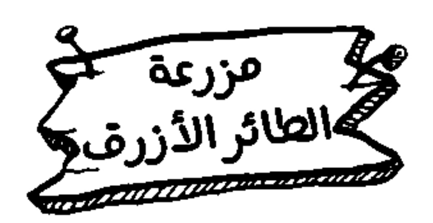
(1) أرغن الأنابيب Pipe organ: آلة موسيقيّة شائِعَة الاستخدام في الصَّلَوات الدِّينيَّة في الكنائس. [المترجم]

قصـة العبيـد كانـت مزيفـة، مثلهـا مثـل قصـة چيـسي چيمـس. لم يُكتَشَـف الكهـف حتـى 1937، عندمـا فتـح زلـزال بسـيطٌ فيـه شـقًّا. اكتشـف دوايـن هوڤـر نفسـه الشَّـقَّ، ثـم فتحـه هـو وأبـوه بالتَّبنِّـي بالعَتَـلات والديناميـت. قبـل ذلـك لم تَدخُلـه حتـى الحيوانـات الصغـيرة.

العلاقـة الوحيـدة بـين الكهـف وبـين العبوديـة كانـت كالتـالي: المزرعـة التـي اكتُشِـفَ الكهـف فيهـا أنشـأها عَبـدٌ سابِقٌ چوزيفـوس هوبلـر. جـاء للشـمال وبـدأ المزرعـة بعدمـا حَـرَّره سَيِّدُه. ثـم عـاد ليشـتري أُمَّـه والمـرأة التـي صـارت زوجَتَـه.

اسـتمرَّ أسـلافه في إدارة المَزرَعـةِ إلى أن حـدث الكسـاد الكبـير، عندمـا انتـزع بنـك تُجَّـار مُقاطعـة ميدلانـد ملكيَّـة المَزرَعَـة للعجـز عـن سـداد الرَّهـن العقـاريّ. ثـم صدمـت سـيَّارَةٌ والـد دوايـن بالتَّبنِّـي كان يقودهـا الرَّجُـلُ الـذي اشـترى المزرعـة. خـلال تسـوية خـارج المحكمـة تعويضًـا عـن الإصابـات، حصـل والـد دوايـن عـلى مـا أطلـق عليـه مُحتَقِـرًا: "... مزرعـة زنـوج لعينـة".

يتذكَّـر دوايـن أول رحلـة لـلأسرة لرؤيـة المزرعـة. انتـزع والِـدُه اللافتـة الزِّنجيَّـة مـن عـلى صنـدوق البريـد الزنجـي، وألقاهـا في المـصرف. هـذا مـا قالتـه اللافتـة:



14

الشَّـاحِنَةُ التـي كانـت تحمـل تـراوت صـارت الآن في ڤرچينيـا الغربيَّـة. كان الإنسـان والماكينـات والمُتَفجِّـرات قـد حوَّلـوا سـطح الولايـة إلى خـرابٍ؛ لإجبـاره عـلى إخـراج الفحـم. ذهـب أغلـب الفحـم الآن، تحـوَّل إلى حـرارة.

سـطح ڤرچينيـا الغربيـة، بعدمـا ذهـب فَحمُـه وأشـجاره وتُربَتُـه، كان يُعيـد ترتيـبَ نفسـه بالتَّوافُـق مـع قوانـين الجاذبيَّـة الأَرضيَّـة. كان ينهـار إلى داخـل الحُفَـر التـي نُبِشَـت فيـه. جبالـه، التـي كانـت تقـف مـن قبـل بسـهولة بنفسـها، أصبحـت تنزلـق إلى أَوْدِيَتهـا الآن.

دمـار ڤرچينيـا الغربيـة حـدث بموافقـة الفـروع التنفيذيـة والتشريعيـة والقضائيـة مـن حكومـة الولايـة، التـي اسـتمدَّت سُـلطَتَها مـن الشـعب.

هنا وهناك، لا تزال بعض المنازل المسكونة قائمة.

* * *

رأى تـراوت حاجـزًا مكسـورًا في الأمـام. حَـدَّق في الـوادي أسـفله، رأى كاديـلاك إلـدورادو 1968 مَقلوبَـةً في نهـر. لوحـة ترخيصهـا كانـت تابِعَـةً لألابامـا. وكان في النهـر أيضًـا عَـدَدٌ مـن الأجهـزة المنزليـة القديمـة: أفـرانٌ وغَسَّـالات وثلَّاجتـان.

وقفـت طفلـةٌ ذات وجـهٍ مَلائِـكيٍّ وشَـعرٍ كِتَّـانيٍّ بجـوار النهـر. لوَّحـت لـتراوت. واحتضَنَـت زُجاجَـةَ بيبسي-كـولا نصـف لـتر أكـثر إلى صدرهـا.

* * *

سـألت تـراوت نفسَـه بِصـوتٍ عـالٍ عَـمَّا يفعلـه النـاس عـلى سـبيل التسـلية، أخـبره السـائق بقصـة غريبـة عـن ليلَـةٍ قضاهـا في فرچينيـا الغربيـة في مقصـورة شـاحِنَتِه، بالقُـرب مـن مبنـى بـلا نوافـذ يَصـدُر منـه أزيـزٌ رَتيـبٌ.

قـال: "رأيـتُ ناسًـا تَدخُـلُ وناسًـا تخـرج، لكنِّـي لم أسـتطع تمييـز نـوعَ الآلـة التـي تُصـدِرُ هـذا الأزيـز. هيـكل المبنـى كان قديمًـا رخيصًـا، مُقامًـا عـلى بلـوكَّات أسـمنتيَّة، وكان في منتصـف اللا-مـكان. جـاءت السـيارات وذهبـت، وبَـدَا النـاسُ مُسـتَمتِعين بمصـدرِ ذاك الأزيـز أيًّـا كان".

عندهـا ألقـى نظـرة بالداخـل. قـال: "كان مليئًـا بأُنـاسٍ يرتـدون أحذيـة التَّزحلُـق، عليهـا كانـوا يـدورون ويـدورون. لم يبتسـم أحـدٌ. فقـط كانـوا يـدورون ويـدورون".

* * *

أخـبر تـراوت عـن نـاسٍ سـمع عنهـم في المنطقـة، يمسـكون أفعًـى ذات رأس نحاسـيَّة أو ذات ذَيـلِ جَـرسٍ خـلال قُـدَّاس الكنيسـة؛ ليُظهِـروا كـم هـم مؤمنـين بـأن المسـيح سـيحميهم.

قال تراوت: "إللي يعيش ياما يشوف".

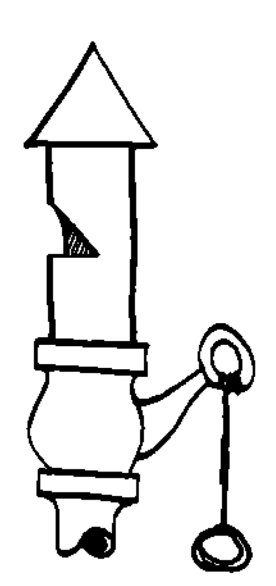
* * *

تعجَّب تراوت من السرعة التي خَرَّب بها الرَّجُلُ الأبيضُ ڤرجينيا الغربيَّةَ، برغم أنه لم يَصِلْها إلَّا مُؤخَّرًا، لأجل الحرارة.

الآن ذهبت الحرارة كلها أيضًا، بحسب افتراض تراوت، إلى الفضاء الخارجي. غَلوا بها مياهًا، أدارَ بُخارُ المياهِ طواحينَ فولاذِيَّةً حول نفسها. الطواحين جعلت المُوَلِّدات تَئِزُّ وتدور حول نفسها. واستمتَعَت أمريكا بالكهرباء لبعض الوقت. بالفَحم أيضًا دارت القوارب والقطارات البخارية القديمة.

* * *

كان في القطارات والقوارب والمصانع البخارية صافراتٌ يَنفُخُها البُخارُ، عندما كان دواين هوڤر وكيلجور تراوت وأنا أطفالًا، عندما كان آباؤنا أطفالًا، عندما كان أجدادنا أطفالًا- بَدَت الصَّافِراتُ مثل تلك:



كان البُخارُ النَّاتِجُ عن الماء المغلي بالفحم المحروق، يجري مُهتاجًا في الصَّافرات، التي يصدر عنها نواحٌ قاسي الجمال، وكأنها حناجر ديناصورات تصدح بنداء التزاوج أو أنين الاحتضار، أصوات مثل: "ووووووووو-آه"، و"ووووووووووووه-آه"، و"تووووووووووووت"، وما إلى ذلك.

* * *

الديناصورات كانت زواحِفَ ضَخمَةً مثل القطارات البُخاريَّة، تبدو كتلك:



كان لها مُخَّان: أحدهما لِمُقدِّمَتها، والآخَرُ لِمُؤخِّرَتها. انقرضت جميعًا. إن وضعت كِلا المُخَّيْن معًا، يَظلَّان أصغرَ من حَبَّةِ بازِلَّاء. البازِلَّاءُ كانت من البقوليَّات، تبدو مثل تلك:





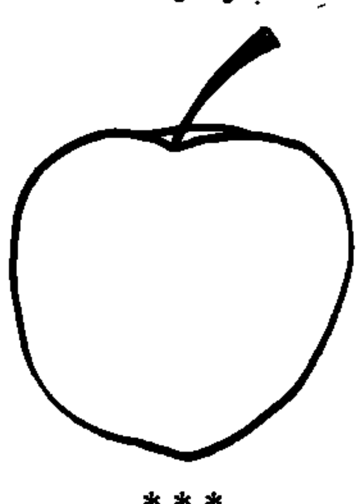
الفحـم كان مزيجًـا مـن الأشـجار المُتعفِّنَـة والزهـور والشـجيرات والعُشـب ومـا إلى ذلـك، وفضـلات الديناصـورات، بعدمـا خضـع لضغـط شـديد.

* * *

فكَّـر كيلجـور تـراوت في عويـل الصافـرات البخاريـة التـي عرفهـا، وفي خـراب فرچينيـا الغربيـة، الـذي جعـل أغانيهـا مُمكِنَـةً. افـترض أن نواحهـا الـذي يَفطِـرُ القلـوبَ قـد ذهـب إلى الفضـاء الخارجـي مـع الحـرارة. كان مُخطِئًـا.

مثـل أغلـب كُتَّـابِ الخيـال العلمـي، لم يعـرف تـراوت شـيئًا عـن العِلـم، التفاصيـل التِّقنيـّة كانـت تُضجِـرُه. لكـن أيًّـا مـن عويـل الصافـرات لم يَبعُـد عـن الأرض كثـيرًا لهـذا السـبب: لا يسـافر الصـوت إلَّا في غُـلافٍ جَـوِّيٍّ، وغـلاف الأرض الجَـوِّيُّ بالنِّسـبة للكوكـب لم يكـن سـميكًا حتـى مثـل القـشرة بالنسـبة للتفـاح. بعـده، لم يَكُـن إلَّا الفـراغ التـام.

التُّفَّاح كان فاكِهَةً شائِعَة، تبدو مثل تلك:

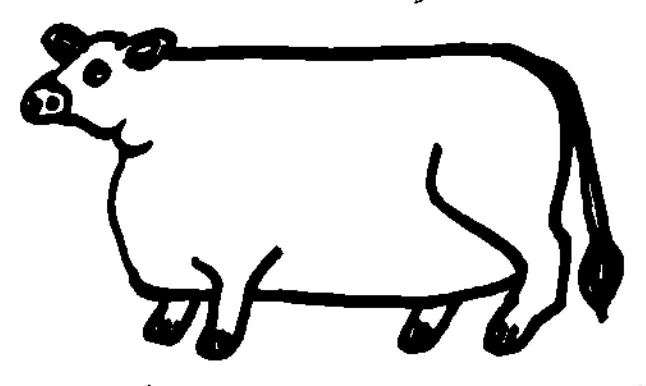


* * *

كان السَّـائِقُ آكِلًا شَرِهًـا. توقَّـف عنـد أحـد فـروع مكدونالـدز. كان في البلـد مطاعـم همبرجـر عديدة ومختلفـة، مكدونالـدز كان أحدَهـم، وبرجر تشـيف كان آخَـرَ. امتلـك دوايـن هوفَـر، مثلـما قيـل مـن قبـل، عِـدَّة فـروع برجـر تشـيف.

* * *

يُصنَع الهمبرجر من حيوانٍ يبدو مثل ذلك:



يُقتَـلُ الحيـوان ويُطحَـنُ إلى فتـاتٍ صغـيرة، ثـم يُشـكَّل عـلى هَيئَـةِ أقراصٍ تُقلَى، ثم يوضع بين قِطعَتَيْ خُبزٍ. المُنتَجُ النهائُي يبدو مثل ذلك:



* * *

وتراوت، الذي لم يَبقَ معه إلَّا القليل من المال، طلب كوبَ قهوة. سأل شيخًا عجوز في الكرسيِّ المُجاوِر له على المائدة، إن كان قد عمل في مناجم الفحم.

قال العجوز ذلك: "من وقتٍ لآخر، منذ كنتُ في العاشرة وحتى الثانية والسِّتِّين"، قال تراوت: "وأنتَ الآن سعيدٌ بخَلاصِكَ مِنهُم؟".

قال العجوزُ: "آه، يا ربِّي، أنتَ لا تَتخلَّص منهم أبدًا. حتى في نومي أحلم بالمناجم".

سأله تراوت عن ماذا كان شعوره تجاه العمل في صناعة تعمل على تدمير الريف، فقال العجوز إنه كان في العادة أكثر إنهاكًا من أن يَهتمَّ.

* * *

قال عامل المناجم العجوز: "بما أنَّكَ لا تملك ما تهتمُّ به، فاهتمامُك لا يهمُّ". أشار إلى أن حقوق التنقيب في المقاطعة كلها -التي يجلسون فيها- تمتلكها شركة روزوتر للفحم والحديد. والتي حصلت على الحقوق بعد الحرب الأهلية بقليل. تابَع: "يقول القانون، عندما يملك رجُلٌ شيئًا ما تحت الأرض ويرغب في استخراجه، عليكَ أن تسمح له بتدمير أي شيء يَحولُ بَينَه وبين ما يملك".

لم يربط تراوت بين شركة روزوتر للفحم والحديد وبين إليوت روزوتر، مُعجَبِه الوَحيدِ. لا يزال يحسب إليوت روزوتر مُراهِقًا.

الحقيقة هي أن أسلاف روزوتر كانوا من المُدمِّرين الرئيسيِّين لسطح وناس ڤرچينيا الغربية.

* * *

قـال عامِـلُ المناجـم العجـوز لـتراوت: "غـير أن هـذا لا يبـدو صحيحًـا، أي أن يسـتطيع رَجُـلٌ امتـلاكَ مـا تحـت بيـتٍ أو مزرعـة أو أشـجار رَجـلٍ آخَـرَ. وفي أي وقـت يرغـب الرجـل في اسـتخراج مـا دون ذلـك كلـه، لديـه الحَـقُّ في تحطيـم مـا عـلى السـطح ليصـل إليـه. حقـوق النـاس عـلى سـطح الأرض لا تُشـكِّل -وإن اجتَمَعَـت- أيَّ فـارقٍ، مُقارَنَـةً بحقـوق الرجـل الـذي يملـك مـا في الأسـفل".

تذكَّـر بِصوتٍ عـالٍ عندمـا كان يحـاول مـع زملائـه عُـمَّال المناجـم إجبار شركـة روزوتـر للفحـم والحديـد عـلى أن تُعامِلَهـم مثـل البـشر. خاضـوا حروبًـا صغـيرة مـع شُرطَـةِ الشركـة الخاصَّـة، وشُرطَـة الولايـة، والحَـرَس القومـي.

قـال: "لم أَرَ قَـطُّ أيَّ روزوتـر، لكـن روزوتـر يفـوز دومًـا. مشـيت عـلى روزوتـر، حَفَـرتُ الحُفَـرُ في روزوتـر لأجـل روزوتر، عِشـتُ في بيـوت روزوتر، أكَلـتُ طعـامَ روزوتـر، حارَبـتُ روزوتـر، أيًّـا كانـت ماهيـة روزوتـر، ثـم يَهزِمُنـي روزوتـر ويتركنـي للمَـوتِ. اسـأَل النَّـاسَ في الأنحـاء وسـيُخبِرك الجميـع: العـالم كلـه روزوتـر بقَـدرِ مـا يعرفـون".

* * *

عَلِـمَ السَّـائِقُ أن تـراوت مُتَّجِـهٌ إلى ميدلانـد. لم يعلـم أنـه كاتـب في طريقـه لمهرجـان فنـون. آمَـنَ تـراوت أن الكادحـين الصادقـين لا تهمُّهـم الفنـون في شيء.

"لِمَ قـد يرغـب أيُّ شَـخصٍ ذي عقـلٍ سـليم في الذهـاب إلى ميدلانـد؟"، أراد السـائق أن يعـرف. كانـا عـلى الطريـق مُجـدَّدًا.

قال تراوت: "أختي مريضة".

قال السائق: "ميدلاند هي فتحَةُ مُؤخِّرَةِ الكون".

قال تراوت: "لَطالَما تساءَلتُ أين فتحَةُ مُؤخِّرَة الكَونِ بالضَّبط".

قـال السـائق: "إن لم تكـن في ميدلانـد، فهـي في ليبرتيڤيـل في چورچيـا. هـل رأيـت ليبرتيڤيـل مـن قبـل؟".

قال تراوت: "لا".

قـال السـائق: "قُبِـضَ عَـليَّ هنـاك لتجـاوُزِ السُّرعَـة، حيـث عليـكَ فَجـأةً أن تُهـدِّئَ سُرعَتَـكَ مـن خمسـين إلى خمسـة عـشر ميـل في السـاعة. أغضبني هـذا جـدًّا، وقلـتُ أشـياء لرجـل الشرطـة؛ فوضعنـي في السـجن.

شُـغلُهم الأسـاسيُّ هنـاك كان عَجـنَ الجرائـد والمجـلَّات والكتـب القديمة؛ لصُنـعِ أوراقٍ جديـدة منهـم. تجلـب الشَّـاحنات والقطـارات مئـات الأطنـان مـن المـواد غـير المرغوبـة كل يـوم".

قال تراوت: "همم".

"وعمليـة التفريـغ مُفعَمَـةٌ بالإهـمال، فتجِدُ الهـواء يحمـل أوراقَ الكُتُب والمجـلَّات ومـا إلى ذلـك في جميـع أرجـاء المدينـة. إن أردتَ إنشـاء مكتبـة، يُمكِنـكَ فقـط الذهـاب إلى سـاحة الشَّـحن هنـاك، وحَمـلُ كلِّ الكتـب التي تريدها".

قـال تـراوت: "همـم". في الأمـام كان هنـاك رَجُـلٌ أبيـضُ يحـاول إقنـاعَ السـيَّارات بـأن تُقِلَّـه وزوجتـه الحامِـلَ وتسـعة أطفـال.

قال سائق الشاحنة عن الرجل: "يشبه جاري كوبر، أليس كذلك؟".

قال تراوت: "هو كذلك فعلًا". جاري كوبر كان نجمًا سينمائيًّا.

* * *

قـال السـائق: "عـلى أي حـال، كان في ليبرتيڤيـل كتـبٌ كثـيرة، حتـى أنهم اسـتخدموها كمناديـل في حمَّامـات السـجون. قبضـوا عـليَّ يـومَ الجُمعـة في أواخـر المسـاء؛ لـذا لم يكـن بوسـعي حضـور جلسـة الاسـتماع في المَحكَمَـة

قبل يوم الاثنين، هكذا ظَللتُ في الزنزانة يومَيْن، بلا شيء أفعله سوى قراءة أوراق المناديل. لا زِلتُ أذكر إحدى القصص التي قرأتها".

قال تراوت: "همم".

قال السائق: "تلك كانت آخِرَ قِصَّةٍ قرأتها على الإطلاق. يا ربِّي، لا بُدَّ أن هذا كان قبل خمسة عشر عامًا. كانت قِصَّةً عن كوكبٍ آخر، قصة مجنونة. كانت هناك متاحف ملأى باللوحات المُتناثِرة في كل مكان، واستخدمت الحكومةُ عَجَلَةَ روليت من نوعٍ ما لاختيار أيٍّ لوحات سيَعرِضون في المتاحف وأيّها سيرمون بعيدًا".

داخ تراوت فجأةً بتأثير الديجا-فو. ذكره السائق بفكرة كتابٍ لم يُفكِّر فيه منذ أعوام. مناديل حمَّام السائق في ليبرتيفيل بجورجيا كانت كتاب (بارينج جافنر من باجنيلاتو)، أو (تحفة هذا العام) لمؤلِّفها كيلجور تراوت.

* * *

اسم الكوكب حيث دارت أحداث كتاب تراوت كان باجنيلاتو، وبارينج جافنر كان مسؤولًا حكوميًّا هناك، يدير عجلةَ حَظٍّ مَرَّةً كُلَّ عام. كان المواطنون يُقدِّمون أعمالهم الفنية للحكومة، ويأخذ كلٌّ منهم رقمًا، ثم كانت العجلة تُقدِّر قِيَمًا ماليَّةً لكلٍّ منها على حسب إدارة بارينج جافنر للعَجَلَة.

وجهة نظر سَردِ الحكاية لم تكن لشخصيّة بارينج جافنر، بل كانت لإسكافيٍّ مُتواضِعٍ يُدعَى جووز. عاش جووز وحيدًا، ورسم لوحةً لِقِطّتِه. كانت اللوحة الوحيدة التي رسمها في حياته. أخذها لبارينج جافنر، الذي رقَّمَها ووَضَعَها في المستودع حيث تتزاحَمُ الأعمال الفَنِّيَّة.

لوحة جووز حقَّقَت ضربةَ حَظٍّ غير مسبوقة على العجلة. صارت قيمَتُها ثمانين ألف لامبوس، ما يوازي مليار دولار على الأرض. منح

بارينـج جافـنر شـيـئًا بالمبلـغ لجـووز، والـذي اسـتردَّ أغلبـه جامِعُـو الضرائب عـلى الفـور. عُرِضَـت اللوحـة في صـدارة المعـرض القومـي، واصطـفَّ النَّـاسُ في طوابـير تمتـدُّ لأميـالٍ ليحصلـوا عـلى فرصـة لرؤيـة لوحَـةٍ تُسـاوي مليارات الـدولارات.

وكان هنـاك أيضًـا نـارٌ كبـيرة لِلُّوحـات والتَّماثيـل التـي قالـت العجَلَـةُ إنهـا بـلا قيمـة. ثـم اتَّضـح لاحقًـا أن العجلـة كانـت مغشوشـةً، وانتحـر بارينـج جافـنر.

* * *

كانـت قـراءة السـائق لأحـد كتـب كيلجـور تـراوت صُدفَـةً مُذهِلَـة. لم يقابـل تـراوت قارئًـا مـن قبـل، ورَدُّ فِعلِـه كان مُثـيرًا للاهتـمام: لم يعـترف أنـه كان والِـدَ الكتـاب.

* * *

أشــار السَّــائِقُ إلى أن كُلَّ صناديـق البريـد في المنطقـة مَطـليٌّ عليهـا الاسـم الأخـير ذاتـه.

قال: "وها هو واحد آخر"، مشيرًا إلى صندوق بريدٍ يبدو مثل ذلك:



كانـت الشَّـاحِنَةُ تَعـبُرُ في المنطقـة التـي جـاء منهـا والـدا دوايـن هوڤـر بالتَّبنِّـي. كانـا قـد ارتحـلا مـن ڤرچينيـا الغربيـة إلى ميدلانـد خـلال الحـرب العالميـة الأولى، ليَجنِيَـا مـالًا كثـيرًا بالعمـل في شركـة كيدسـلر للسـيارات، التـي كانـت تصنـع الطائـرات والشـاحنات. عندمـا بلغـا ميدلانـد، غـيَّرا اسـمهم بشـكلٍ رسـمي مـن هوبلـر إلى هوڤـر؛ لأن في ميدلانـد كان هنـاك العديـد مـن السُّـود اسـمهم هوبلـر.

مثلـما شرح والـد دوايـن هوڤـر بالتَّبنِّـي لـه ذاتَ مَـرَّةٍ: "كان ذلـك مُحرِجًـا. افـترض الجميـع هنـا أن هوبلـر كان اسـمًا زنجيًّـا".

15

في ذلـك اليـوم، بلـغ دوايـن مَوعِـدَ الغَـداء بسـلام. بـات يتذكَّـر الآن أسـبوعَ هـاواي، لم تَعُـد الأوكوليـلي ومـا إلى ذلـك لغـزًا. الرصيـف بـين وكالـة السـيارات والهوليـداي إنّ الجديـد لم يَعُـد ترامبولـين.

خـرج وحـدَه لتنـاوُلِ الغَـداء في سيَّارَةٍ توضيحيَّـة، بونتيـاك ليمنـز زرقاء مـن الخـارج وكِريميَّـة اللَّـونِ مـن الداخـل، والتكييـف والراديـو يعمـلان. سـمع عَـددًا مـن إعلاناتـه الخاصَّـة عـلى الراديـو، التـي تؤكِّـد حقيقـةً واحـدة: "تسـتطيع أن تَثِـقَ دومًـا في دوايـن".

رغـم أن صِحَّتـه العَقليَّـة تحسَّـنت بشـكل ملحـوظ منـذ الإفطـار، إلَّا أن أعـراض مـرضٍ جديـد أفصَحَـت عـن نفسـها، الإيكوليليـا الابتدائيـة. وجـد دوايـن نفسـه يرغـب في ترديـد آخـر كلمـة قيلـت للتَّـوِّ -أيًّـا كانـت- بصـوتٍ عـالٍ.

هكـذا عندمـا قـال لـه الراديـو: "تسـتطيع أن تَثِـقَ دومًـا في دوايـن"، كـرَّر آخـر كلمـة، قـال: "دوايـن".

عندمـا قـال الراديـو إنـه كان هنـاك إعصـارٌ في تكسـاس، قـال دوايـن التـالي بصـوت عـالٍ: "تكسـاس".

ثـم سـمع أن أزواج آلاف النسـاء اللـواتي تعرَّضـنَ للاغتصـاب خـلال الحـرب بـين الهنـد وباكسـتان، لم يعـودوا يريدونهـنَّ بعـد الآن. قـال الراديـو إن النِّسـاء الآن، في عيـون أزواجِهـنَّ، قـد صِرنَ مُلَوَّثـات.

قال دواين: "مُلوَّثات".

* * *

أمَّـا بالنسـبة لوايـن هوبلـر، المُدان السـابق الـذي كان حُلمُـه الوحيـد هـو العمـل عنـد دوايـن هوڤـر، فقـد تعلَّـم لعـب الغُمَيضـة مـع موظَّفـي دوايـن. لم يُحِـبَّ أن يَأمُـرَه أحدُهُـم بمغـادرة المـكان لتجوُّلـه بـين السـيارات المُسـتَعمَلة؛ لـذا كان يتَّجِـهُ إلى منطقـة القمامـة خلـف الهوليـداي إنْ كلـما اقـترب أحـد الموظفـين، ويفحـص بخطـورةٍ بقايـا الشـطائر وعُلَـبِ السـجائر ومـا إلى ذلـك في الحاويـات هنـاك، وكأنـه مُفتِّـشٌ صِحِّـيٌّ أو شيءٌ مُشـابِه.

وعندمـا يذهـب المُوَظَّفـون بعيـدًا، يعـود وايـن إلى السـيارات المُسـتَعمَلَة، ويُبقـي عينيـه الشـبيهتين بالبيـض المسـلوق مَفتوحَتَـيْن بحثًـا عـن دوايـن هوڤـر الحقيقـي.

* * *

دوايـن هوڤـر الحقيقـي بالطبـع كان قـد نَفَـى أنـه دوايـن؛ لـذا عندمـا خـرج دوايـن الحقيقـي سـاعة الغـداء، وايـن، الـذي ليـس لـه مَـن يتحـدَّث معـه عـدا نفسـه، قـال لنفسـه: "هـذا ليـس السـيد هوڤـر. برغـم أنـه يُشـبِهُ بالفعـل السـيد هوڤـر. ربمـا السـيد هوڤـر مريـض اليـوم". ومـا إلى ذلـك.

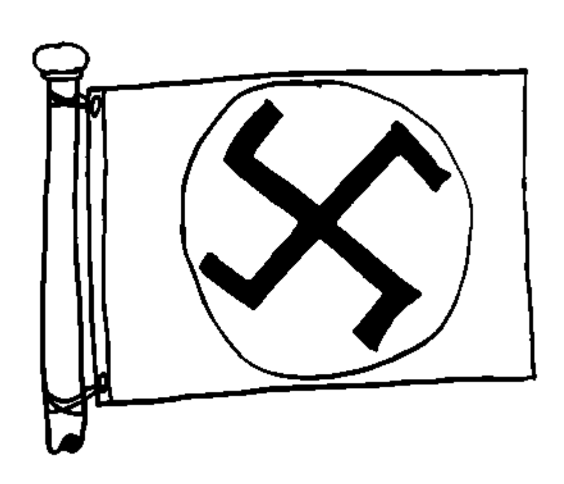
* * *

تنـاول دوايـن همبرجـر وبطاطـس مُحمَّـرَة ومشروبًـا غازيًـا، في أَجـدَدِ فروعـه لبرجـر تشـيف، والـذي كان في جـادَّة كريسـتڤيو، عَـبْرَ الشـارع مـن حيـث تُبنـى مدرسـة چـون إف. كينيـدي الثانويـة الجديـدة. لم يذهـب چـون إف. كينيـدي إلى ميدلانـد قَـطُّ، لكنَّـه كان رئيسًـا للولايـات المتحـدة، مـات بالرصـاص. كثـيرًا مـا يمـوت رؤسـاءُ هـذا البلـد بالرصـاص. تتشـوَّشُ أذهـان القَتَلَـةِ عـادَةً بنفـس الكيميـاء السَّـيِّئة التـي تُؤَثِّـر عـلى دوايـن.

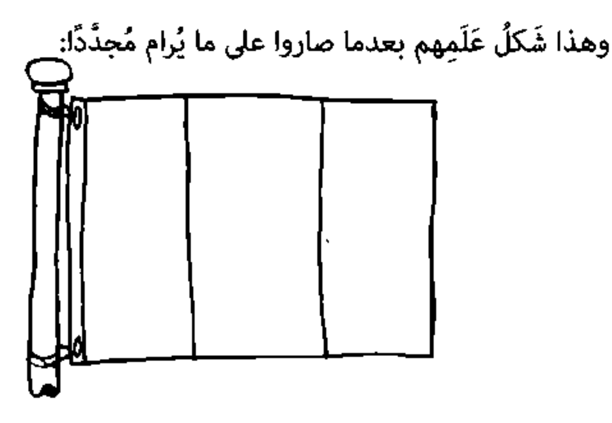
* * *

فيـما يخـصُّ موضـوعَ أنْ يكـون في دمـاغ المـرء كيميـاءُ سَـيِّئَة، لم يكـن دوايـن وحيـدًا بالتأكيـد. كانـت لديـه صحبـة واسِـعَةٌ عـلى طـول التاريـخ. عـاصَرَ في حياتـه -مثـلًا- أهـلَ بَلَـدٍ تُدعَـى ألمانيـا، امتـلأت رؤوسُـهم بالكيميـاء السَّـيِّئَة لفـترةٍ، إلى حَـدِّ أنهـم بنـوا مصانِـعَ هَدَفُهـا الوحيـد قَتـلُ النـاس بالملايـين. كانـوا يرسـلون النـاس إليهـا بالقطـارات.

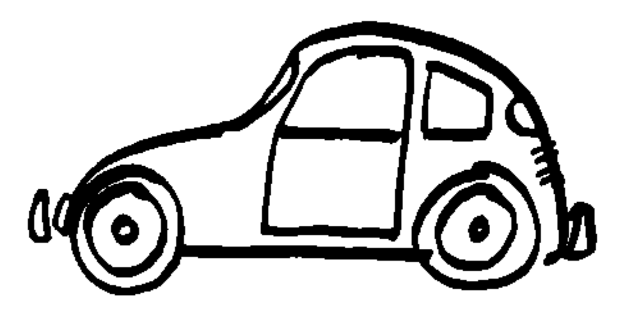
عندما كان الألمان مُمتَلِئين بالكيمياء السيئة، كان عَلَمُهُم يبدو كالتالي:



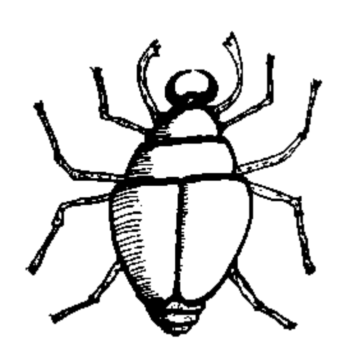
وهذا شَكلُ عَلَمِهم بعدما صاروا على ما يُرام مُجدَّدًا:



بعدما صاروا على ما يُرامُ مُجَدَّدًا، صنعوا سـيَّاراتٍ رخيصةً قَويَّةً، صارت رائِجَةً في جميع أنحاء العالم، خاصَّةً بين الشباب. كانت تبدو كتلك:



أطلق عليها النَّاسُ "الخُنفُساء". الخنفساء الحقيقيَّة تبدو كالتالي:



الخنفساء الميكانيكيَّةُ كانت من صُنعِ الألمان. الخنفساء الحقيقية كانت من صُنعِ خالِقِ الكون.

* * *

نادِلَةُ دواين في برجر تشيف كانت فتاةً في السابعة عشرة، اسمها باتي كين. شَعرُها كان أصفر. عيناها كانتا زرقاوَيْن. كان سِنُّها كبيرًا جدًّا بالنسبة لثَديِيَّة. أغلب الثَّدييَّات في السابعة عشرة إمَّا في الشيخوخة، أو ميِّتين. لكن باتي كانت من نوع الثدييَّات الذي ينضج ببُطءٍ شديد؛ لذا كان الجسد الذي تمتطيه باتي الآن ناضِجًا بالكاد.

كانت جديدةً في عالم الناضجين، تعمل حتى تدفع فواتير الأطِبَّاء والمستشفى- الهائلة، التي تراكَمَت على أبيها، بينما يموت أبوها من سرطان القولون في البدء، ثُمَّ سَرطانِ كُلِّ شيء الآن.

كان ذلك في بلدٍ يُتوقَّع فيها من الجميع دَفعُ فواتيرهم مُقابِلَ كُلِّ شيء. وأحد أكثر الأشياء التي يمكن أن يفعلها المَرءُ تكلفةً، هو المرض. تكلفة مرض أبي باتي كين كانت عشرةَ أضعاف مجموع رحلات هاواي التي كان دواين سَيُوَزِّعها في نهاية أسبوع هاواي.

* * *

قَدَّر دواين طزاجَةَ باتي كين، رغم أنه لم يَكُن ينجَذِبُ جِنسيًّا للنساء الصغيرات لهذه الدرجة. كانت أقربَ إلى سيَّارَةٍ جديدة لم يشتغل فيها حتَّى الرَّاديو بَعدُ. وذَكَّرَت دواين بغنوَةٍ اعتاد أبوه ترديدَها عندما يَثمَلُ، كانت كالتالي:

الوَردُ أحمرُ
وقَطفُه وَشيكٌ
وأنتِ في السادسة عشرة
وجاهزة للـــــــ.. مدرسة الثانوية!

كانـت بـاتي كـين غبيَّـةً عَمـدًا، وذلـك كان حـال أغلَـبِ النِّسـاء في ميدلانـد. كان لـكلِّ النسـاء أدمِغَـةٌ كبـيرة لأنهـن كُـنَّ حيوانـاتٍ كبـيرةً، لكنهـن لم يسـتخدمن أدمِغَتَهُـنَّ كثـيرًا للسـبب التـالي: الأفـكار غـير المعتـادة قـد تصنـع أعـداء، والنسـاء، إن أَرَدنَ تحقيـق أيِّ نـوع مـن الراحـة والأمـان، كُـنَّ بحاجـةٍ إلى أكـبر عَـدَدٍ مُمكِـنٍ مـن الأصدقـاء.

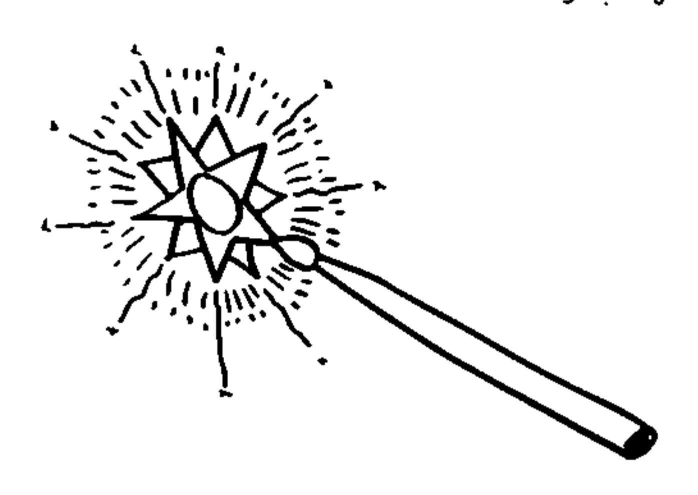
لذلـك، حتـى يضمَـنَّ النجـاة؛ دَرَّبـنَ أَنفُسَـهُنَّ عـلى أن يُصبِحـنَ آلاتِ مُوافَقَـةٍ بـدلًا مـن آلات تَفكـير. كل مـا كان عـلى عقولهـن أن تفعلـه، هـو اكتشـافُ مـا الَّـذي يُفكِّـر فيـه الآخـرون، ومـن ثَـمَّ التفكـير فيـه أيضًـا.

* * *

بـاتي عرفـت مَـن هـو دوايـن. دوايـن لم يعـرف مَـن هـي بـاتي. خَفَـقَ قَلـبُ بـاتي أسرعَ عندمـا خدمتـه؛ لأن دوايـن يسـتطيع حَـلَّ الكثـير مـن مَشـاكِلها بمـا يملـك مـن مـالٍ وقُـوَّة. يسـتطيع مَنحَهـا منـزلًا رائعًـا وسـيَّاراتٍ جديـدةً وملابِـسَ جميلـةً وحيـاةً فاخِـرةً، ويسـتطيع دفـع فواتـير العـلاج بنفـسِ سُـهولَةِ تَقديمهـا الهمبرجـر والبطاطـس المُحمَّـرة والمشروب الغـازي لـه.

بوسـع دوايـن أن يَفعَـلَ لهـا مـا فعلتـه الأُمُّ الجِنِّيَّـةُ لسـندريلا إن أراد، وبـاتي لم تَكُـن مـن قبـل بذلـك القُـربِ مـن مثـل ذلـك الكائِـنِ السِّـحريِّ. كانـت بحـضرة كيـان فـوقَ طبيعـيٍّ. وكانـت تعـرف عـن نفسـها وعـن ميدلانـد مـا يكفـي لتفهـم أنهـا عـلى الأرجـح لـن تكـون بذلـك القُـرب مـمَّا فـوق الطبيعـة مـرَّةً أخـرى.

تخيَّلَت باقي دواين يُلوِّح بعصًا سِحريَّةٍ فتختفي مشاكِلُها وتتحقَّق أحلامها. تبدو العصا كتلك:



تحدَّثَت بشجاعَةٍ؛ لترى إن كانت المُساعدة فوق الطبيعية مُمكِنَة في حالَتِها. كانت مُستعدَّة للمُضيِّ قُدُمًا بدونها، مُتوقِّعَةً أن تفعل بدونها، أن تعمل كادِحَةً طوال حياتها، ألَّا تنال الكثيرَ في المقابل، أن تربط نفسها برجالٍ ونساء فُقراء مديونين بلا حَولٍ ولا قُوَّة. قالت ذلك لدواين:

"سامِحني لمُخاطَبَتِكَ باسمِكَ يا سيد هوفر، لكني لم أستطع مَنعَ نفسي من معرفة مَن حَضرَتُكَ، فصورتُكَ في الإعلانات في كل مكان. بالإضافة إلى أن كُلَّ مَن يعمل هنا أخبروني بمَن أنتَ. وعندما دخلتُ المكان، هَشَّ الجميعُ وبَشُّوا".

قال دواين: "بَشُّوا". تلك كانت الإيكوليليا مُجدَّدًا.

* * *

قالـت: "ربمـا هـذه ليسـت أنسـبَ كلمـة". اعتـادت الاعتـذارَ عـلى استخدامها لِلُّغَـة. شـجَّعوها عـلى فِعـل ذلـك كثـيرًا في المدرسـة. أغلـب سُـكَّان ميدلانـد البيـض كانـوا غـير واثقـين في كلامهـم؛ لـذا كانـت جُمَلُهـم قَصـيرةً، وكلماتُهُـم بسـيطَةً، حتـى يحافظـوا عـلى الأخطـاء المُحرِجَـة عنـد حَدِّهـا الأدنى. فعـل دوايـن ذلـك بـلا شَـكٍّ. فعلـت بـاتي ذلـك بـلا شَـكٍّ.

سَـبَبُ ذلـك هـو أن مُعلِّميهـم لِلُّغَـة الإنجليزية كانـوا يجفلـون ويُغطُّون آذانَهـم ويُعطـون أقـلَّ الدرجـات ومـا إلى ذلـك، عندمـا لا يتمكَّـنُ أحَدُهُـم مـن الحديـث مثـل أرسـتقراطيٍّ إنجليـزيٍّ مـن أيـام مـا قبـل الحـرب العالميـة الأولى. وقيـل لهـم أيضًـا إنَّهـم غـير جديريـن بالتَّحـدُّث أو بكتابـة لُغَتِهـم، إن لم يسـتطيعوا حُـبَّ أو فَهـمَ الرِّوايـات والقصائـد والمسرحيـات المُبهَمَـة، عـن نـاسٍ مـن أزمِنَـةٍ وأماكِـنَ بَعيـدة، مثـل إيڤانهـو.

* * *

لم يتحمَّـل السُّـودُ أيًّـا مـن هـذا. اسـتمرُّوا في التَّحـدُّث بالإنجليزيـة بـكلِّ الطُّـرُق التـي تـروق لهـم. رفضـوا قـراءة الكتـب التـي لا يفهمونهـا؛ لأنهـم لا يفهمونهـا. كانـوا يسـألون أسـئِلَةً وَقِحَـةٍ مثـل: "مبحبِّـش أنـا أقـرا قصَّـة مدينتـين، إيـه إلـِّي يخلِّينـي أقـرا أنـا قصـة مدينتـين؟".

* * *

رَسَـبَت بـاتي كـين في اللغـة الإنجليزيـة في العـام الـذي كانـت مُضطـرَّةً فيـه لقـراءة إيڤانهـو والإعجـاب بهـا، والتـي كانـت روايـة عـن رجـالٍ يَرتَـدون بـذلاتٍ حديديَّـةً ونسـاءٍ يُحِبنَهـم. ووُضِعَـت في فصـلٍ لتحسـين قُدرَتِهـا عـلى القـراءة، حيـث جعلوهـا تقـرأ الأرضَ الطيِّبـة، والتـي كانـت عـن رجـالٍ صينيِّـين.

وكان في خـلال ذلـك العـام أن فقَـدَت عُذريَّتَهـا. اغتصبهـا عامِـلُ تركيـب وحـدات غـازٍ يُدعـى دون بريدلـوف في سـاحة الانتظـار خـارج

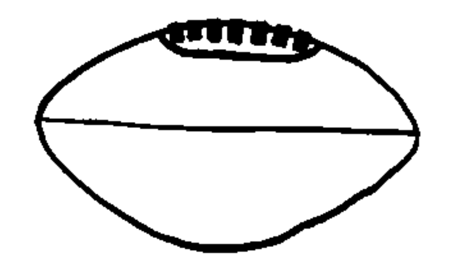
استاد بانستر التذكاريّ في مُقاطَعَةِ فيرجراوندز، بعد تصفيات دوري كرة السَّلَّة للمدارس الثانوية المحلِّيَّة. لم تُبلِغ الشُّرطَةَ قَطُّ، لم تبلغ أيَّ شَخصٍ؛ لأن والدها كان يموت في تلك الأثناء.

كان لديها ما يكفيها من المشاكل بالفعل.

* * *

سُمِّي استاد بانستر التذكاري تكريمًا لچورج هيكمان بانستر، فتى في السابعة عشرة قُتِلَ بينما يلعب كرة القدم في المدرسة الثانوية عام 1924. لچورچ هيكمان بانستر أكبَرُ شاهِدِ قَبرٍ في مقابر كالڤاري، مسلَّة طولُها 62 قدمًا، على قِمَّتِها كرَةُ قَدَمٍ رُخاميَّة.

كرة القدم الرُّخاميَّة تبدو مثل تلك:



كرة القدم هي لعبة حربيَّة. يتقاتل فيها فريقان متنافسان على الكرة، بينما يرتدون دروعًا مَصنوعةً من الجلد والقماش والبلاستيك.

قُتل چورچ هيكمان بانستر بينما يحاول الحصول على الكرة يوم عيد الشكر. عيد الشكر هو يومُ عطلة يُتوَقَّع فيه مِن كُلِّ مَن في البلاد أن يُعبِّروا عن امتنانهم لخالق الكون، على الطعام بالأخَصّ.

* * *

تكلفـة مسـلَّة چـورچ هيكـمان بانسـتر تَحَمَّلَتهـا المُسـاهَمةُ العامَّـة، وشـاركت الغرفـة التجاريـة بوضـع دولار مـن عندهـا مقابـل كل دولاريـن مـن التَّبرُّعـات. ظلَّـت لأعـوامٍ عديـدة أطـولَ بِنـاءٍ في ميدلانـد. وصـدر مَرسـومٌ مـن البَلَديَّـة يجعـل بنـاء أيِّ مَبنًـى أطـولَ مِنها غـيرَ قانـونيٍّ، صـار اسـمُه قانـون چـورچ هيكـمان بانسـتر.

لاحقًا، ألقوا المرسوم في الزُّبالَة؛ للسَّماح لأبراج الراديو بالانتصاب.

* * *

أكـبر بِناءَيْـن في المدينـة -إلى أن بُنـي مركـز ميلدريـد بـاري التـذكاري للفنـون في شـوجر كريـك- كانـا قـد شُيِّدَا حتـى لا يذهـب چـورچ هيكـمان بانسـتر في طَـيِّ النسـيان أبـدًا. غـير أن أحـدًا لم يَعُـد يُفكِّـر فيـه بحلـول وقـت مقابلـة دوايـن هوفـر وكيلجـور تـراوت. في الواقـع لم يكـن هنـاك الكثـير للتفكـير فيـه، حتـى في زمـن مَوتِـه، باسـتثناء أنـه كان صغـيرًا.

ولم يَعُـد لـه أيُّ أقـارِبَ في المدينـة. لم يكـن في دليـل الهاتـف أي بانسـتر، عـدا (زا بانسـتر)، التـي كانـت صالـةَ عَـرضٍ سـينمائية. في الواقـع حتـى صالـة زا بانسـتر لـن تكـون موجـودة عندمـا يَصـدُرُ الدَّليـلُ الجديـد. تحوَّلَـت زا بانسـتر إلى متجـرِ أثـاثٍ رَخيـص.

والـد چـورچ هيكـمان بانسـتر وأمُّـه وشـقيقته لـوسي، انتقلـوا مـن المدينـة قبـل الانتهـاء مـن بنـاء شـاهِدِ القـبر والاسـتاد، ولم يتمكَّـن أحـدٌ مـن تحديـد موقعهـم خـلال مراسـم التكريـس.

* * *

ذلك كان بلدًا مُتَملمِلًا، يجري أناسُه حولَ أنفسهم طوال الوقت.

ومن حينٍ لحين، يتوقَّف أحدهم ويشيد نُصبًا.

كان هنـاك العديـد مـن الأَنصِبَـة التذكاريَّـة في البـلاد، لكـن لم يكـن مـن الشـائع أن يحصـل شـخصٌ عـادِيٌّ ليـس عـلى نُصـبٍ واحِـدٍ فقـط، بـل اثنـين؛ تكريمًـا لـه، مثلـما حـدث في حالـة چـورچ هيكـمان بانسـتر.

غـير أن فعليًّـا، شُـيِّد شـاهد القـبر فقـط خصِّيصًـا مـن أجلـه. الاسـتاد كان سيُبنَى في جميـع الأحـوال. خُصِّصـت للاسـتاد ميزانيـة مـن قَبـل وفـاة چـورچ هيكـمان بانسـتر في عِـزِّ شـبابه بعامَـيْن. لم يُكلِّفهـم شـيئًا تَسـمِيَته عـلى اسـمه.

* * *

مقابـر كالفـاري، حيـث يرتـاح چـورچ هيكـمان بانسـتر، سُـمِّيَت كذلـك عـلى شرف اسـم جبـل كالفـاري في القُـدس [جبـل الجُلجُثَـة]، عـلى بُعـد آلاف الأميـال. يؤمـن كثـيرٌ مـن النـاس أن ابـنَ خالِـقِ الكَـونِ قُتِـل عـلى ذلـك الجبـل قبـل آلاف السِّـنين.

لم يُقرِّر دواين إن كان يُؤمِنُ بذلك أو لا، ولا باتي كين أيضًا.

* * *

ولم يكـن ذلـك بالتأكيـد مـا يقلقهـما الآن؛ فـكلٌّ منهـما كان مُنشَـغِلًا بأمـرٍ آخـر. كان دوايـن يتسـاءل إلى متـى سـتدوم هجمـة الإيكوليليـا تلـك، وبـاتي كـين كانـت تحـاول أن تكتشـف إن كانـت طزاجتهـا وجمالهـا وشَـخصيَّتُها المُنفَتِحَـة، مُغريـن كفايـةً لتاجـر بونتيـاك في منتصـف العمـر لطيـف وجـذاب نوعًـا مثـل دوايـن.

قالـت: "عمومًـا، إنـه لـشرفٌ كبـيرٌ أن تزورنـا، وهـذه أيضًـا ليسـت الكلـماتِ المُناسِـبَةَ، لكنـي أتمنَّـى أن تـدرك مـاذا أعنـي".

قال دواين: "أعني".

قالت: "هل الطعام جيِّد؟".

قال دواين: "جيد".

قالت: "إنه نفس ما يحصل عليه الجميعُ، لم نحضر شيء مَخصوصًا لكَ".

قال دواين: "لك".

* * *

لم يهم ما قاله دواين كثيرًا. لم يهم ذلك لسنواتٍ عديدة. لا يهم ما يقوله أكثرُ النَّاس في ميدلاند بصوتٍ عالٍ، إلَّا عندما يتحدَّثون عن المال أو البناء أو السفر أو الآلات، أو أي شيء يُمكِنُ قِياسُه. كان لكلٍّ شَخصٍ دور واضح يلعبه. دور شخصٍ أَسودَ أو أُنثى لم تُكمِل دراستها أو بائع بونتياك أو دكتور أمراض نساء أو عامل تركيب وحدات غاز. إن توقَّف شَخصٌ عن تحقيق التَّوقُّعات المُنتظَرَة من دَورِه، بسبب كيمياء سيِّئَة أو شيء أو آخر، يظلُّ الجميعُ يَتخيَّلون أنه يفعل على أي حال.

ذلك كان السبب الرئيسي لبُطء أهل ميدلاند في اكتشاف الجنون في مَن حولهم. أصرَّت مُخيِّلاتُهم على أن أحدًا لم يتغيَّر كثيرًا بين اليوم والتالي. مُخَيِّلاتُهم كانت تروسًا في ماكينة الحقيقة المُرَّة المُتداعِيَة.

* * *

عندما ترك دواين باتي كين وبرجر تشيف، عندما ولج سيَّارَتَه التوضيحيَّةَ وقادها مُبتَعِدًا، كانت باتي كين مُقتَنِعَة أنها قادِرةٌ على إسعاده بجسدها الشابِّ وشَجاعتها ومَرَحِها. أرادت أن تصيح بكل هذا في وجهه، وبحقيقة أن زوجته أكلت الدرانو، وأن كلبه مُضطَرٌّ للقتال طوال الوقت لأنه لا يستطيع هَزَّ ذيله، وبحقيقة أن ابنه مِثليُّ الجنس. عرفت كل ذلك عن دواين. عرف الجميع كل ذلك عن دواين.

حدَّقَت في برج محطة راديو دابليو. إم. سي. واي. التي امتلكها دواين هوڤر. كان أطولَ بناء في ميدلاند. كان أطولَ بثماني مَرَّاتٍ من شاهِدِ قَبر چورچ هيكمان بانستر. على قِمَّته كان ضوءٍ أحمر لتراه الطائراتُ وتَتجَنَّبَه.

فكَّرَت في كُلِّ السيارات الجديدة والمستعملة التي امتلكها دواين.

* * *

اكتشف عُلماءُ الأرض لِتَوِّهم شيئًا مُذهِلًا عن القارَّة التي تقف باتي كين عليها. كانت القارَّةُ بالصُّدفة تركب على شريحة سُمكُها حوالي أربعين ميلًا، وكانت الشريحة تنجرف من مكانٍ لآخر على قِشرَةٍ مائِعَة. وكان لِكُلِّ قارَّةٍ أخرى شريحةٌ خاصَّة بها. عندما ترتطم شريحة بأخرى، تتكوَّن الجبال.

* * *

جبال ڤرچينيا الغربيَّة على سبيل المثال، ارتفعت عندما اصطدمت قطعةٌ ضَخمَةٌ من إفريقيا بأمريكا الشمالية. وتكوَّن فَحمُ الولاية من الغابات التي دفنها الاصطدام.

لم تسمع باتي كين بالخبر العظيم بَعدُ. ولا دواين. ولا كيلجور تراوت. أنا لم أعرِف به قبلَ يوم الأمس. كنتُ أقرأ مجلَّةً، وكان التليفزيون مفتوحًا. عليه كان مجموعةٌ من العلماء يقولون إنَّ نظريَّة الشرائح الطَّافية المُتخبِّطة المُتطاحِنَة، باتت أكثر من مُجرَّد نظرية. صار بوسعهم إثباتُ صِحَّتِها الآن، وأن اليابان وسان فرانسيسكو -على سبيل المثال- كانتا في خَطَرٍ مُحدِق؛ لأنهما حيث يحدث مُعظَمُ الخَبطِ والطَّحن.

قالــوا كذلــك إن العصــور الجليديَّــةَ ستســتمرٌّ في الحــدوث. والأنهــار الجليديــة -بحســب وجهــة النَّظــر الجيولوجيــة- ستســتمرُّ في الارتفــاع والهبــوط مثــل ســتائر النوافــذ.

* * *

كان لدوايـن هوفـر -بالصُّدفـة- عُضـوٌ ذَكَـريٌّ ضَخـمٌ لِدَرجـةٍ غـيرِ عاديَّة، ولم يَكُــن يعــرف ذلــك. النِّســاء القليــلات اللــواتي عرفنــه لم يَكُــنَّ خبــيراتٍ بمـا يكفـي ليعرفـن إن كان مُتوسِّـطًا أو لا. المتوسِّـط العالمـي للطـول كان خمـس بوصـات وسَـبْعَ أثمـان البوصـة، وللقُطـرِ بوصَـةٌ ونِصـف، وذلـك عندمـا يحتقـن العُضـوُ بالدمـاء. طـول عضـو دوايـن كان سَـبعَ بوصـات، وقُطـرُه بوصَتَـيْن وثُمـن البوصـة، عندمـا يَحتَقِـن بالدِّمـاء.

باني ابن دواين، كان له عُضوٌ مثل المتوسط بالضَّبط.

طــول عضــو كيلجــور تــراوت كان سَــبعَ بوصــات، لكــن عرضــه كان بوصَــةً ورُبــعَ البوصــة فقــط.

تلك كانت البوصة:



هــاري ليســابر، مُديــر مبيعــات دوايــن، طــول عُضــوِه كان خَمــسَ بوصــات، وقُطــرُه كان بوصتَــيْن وثُمْــنَ البُوصــة.

ســيبريان أوكوينــدي، الطبيــب الأســود النيجــيري، كان طــول عضــوه سِــتَّ بوصـات وسَـبع أثمـان البوصـة، وقُطـره بوصـة وثلاثـة أربـاع البوصـة.

دون بريدلـوف، عامـل تركيـب وحـدات الغـاز الـذي اغتصـب بـاتي كـين، كان طـول عضـوه خمـس بوصـات وسـبع أثمـان البوصـة، وعَرضُـه بوصَـةً وسـبع أثمـان البوصـة.

* * *

كان فَخِـذَا بـاتي كـين أربعًـا وثلاثـين بوصـة، وخَصرُهـا سِـتًّا وعشريـن بوصـة، وصدرهـا أربعًـا وثلاثـين بوصـةً.

فَخِـذا زوجـة دوايـن الراحلـة كانـا سِـتًّا وثلاثـين بوصـة، وخصرهـا ثمانيـة وعشريـن بوصـةً، وصدرهـا ثمانيـة وثلاثـين بوصـة عندمـا تَزَوَّجهـا. وكان فخذاهـا تِسـعًا وثلاثـين بوصـة، وخصرهـا إحـدى وثلاثـين بوصـة، وصدرهـا ثمـاني وثلاثـين بوصـة عندمـا أكلـت الدرانـو.

عشـيقَتُه وسـكرتيرته فرانسـين بيفكـو، كان فَخِذاهـا سـبعًا وثلاثـين بوصـة، وخصرهـا ثلاثـين بوصـة، وصَدرُهـا تسـعًا وثلاثـين بوصـة.

أمُّـه بالتَّبنِّـي سـاعَةَ مَوتِهـا كان فَخِذاهـا أربعًـا وثلاثـين بوصـة، وخَصرُها أربعًـا وعشريـن بوصـة، وصدرهـا ثلاثًـا وثلاثـين بوصة.

* * *

هكـذا ذهـب دوايـن مـن برجـر تشـيف إلى موقـع بنـاء المدرسـة الثَّانويَّـة الجديـدة. لم يكـن مُتعجِّـلًا العَـودَةَ إلى وكالـة السـيارات، خاصَّـةً بعـد إصابتـه بالإيكوليليـا. فرانسـين كانـت قـادِرَةً كفايـة عـلى إدارة المـكان بنفسـها دون مسـاعدة دوايـن. لقـد درَّبهـا جيـدًا.

هكـذا ركل بعـضَ الرَّمـلِ في حُفـرَةِ القبـو، بَصَـقَ فيـه، خطـا في الطِّـين، امتـصَّ منـه الطِّـينُ فَـردَةَ حِذائِـه اليُمنـى، حفـر لإخـراج الحـذاء بيديـه، ثـم مسـحه، ثـم اسـتند إلى شـجرة تفَّـاحٍ قديمـة بينـما يلبسـه مُجـدَّدًا. تلـك كانـت أراضي زراعيَّـةً عندمـا كان دوايـن طفـلًا. وكان هنـا بُسـتانُ تُفَّـاح.

* * *

نسي دواين كلَّ ما يتعلَّق بباقي كين، لكنها بكل تأكيد لم تَنْسَهُ. ستستجمع شجاعةً كافِيَةً في الليل لتتَّصِلَ به على الهاتف، لكنه لن يكون في البيت ليجيب. سيكون حينها في زنزانةٍ مُبَطَّنَةٍ بمستشفى المقاطعة.

وهام دواين في المكان مُتأمِّلًا بإعجابٍ الآلةَ الضخمة القادرة على تشكيل الأرض، التي نظَّفَت الموقِعَ وحَفَرَت حُفرَةَ القبو. الآلة ساكنة الآن، يكسوها الطين. سأل دواين عامِلًا أبيضَ عن قُوَّة مُحرِّكها بالأحصنة. كُلُّ العُمَّال كانوا بِيضًا.

قال العامل التالي: "لا أعرف كم حصان، لكني أعرف اسمها فيما بيننا".

قال دواين، سعيدًا بانحسار الإيكوليليا: "بماذا تُسمُّونها بينكم؟".

قال العامل: "آلَةُ الأَلفِ زِنجيٍّ". وكان في ذلك إحالَةٌ للوقت الذي كان فيه الزُّنوج يقومون بأغلب أعمال الحفر الضَّخمة في ميدلاند.

* * *

أضخم عُضوٍ ذَكَريٍّ في الولايات المتحدة كان طوله أربع عشرة بوصةً، وقُطرُه بوصتَيْن ونصف البوصة.

أضخم عُضوٍ ذَكَريٍّ في العالم كان طوله ستَّ عشرةَ بوصة وسَبع أثمان البوصة، وقُطرُه بوصَتَيْن ورُبع البوصة.

الحوت الأزرق، وهو ثدييٌّ بَحريٌّ، عُضوُه الذَّكَريُّ طولُه سِتًّا وتِسعين بوصة، وقُطرُه أربعَ عشرة بوصة.

* * *

ذات مرة وصل لدواين هوفر إعلانٌ عَبرَ البريد عن مُلحَقٍ للقضيب مصنوع من المطاط. يُمكِنُه تَركيبُهُ في نهاية عُضوِهِ الحَقيقيِّ، بحسب

الإعلان، وإمتاع زَوجَتِه أو معشوقته بالبوصات الإضافية. أرادوا أيضًا أن يبيعوا له مِهبَلًا مَطَّاطيًا يُشبِه الحقيقيّ إذا كان وحيدًا.

* * *

عاد دواين لِعَمِله في حوالي الثانية بعد الظهر، وتَجنَّب الجميعَ بسبب الإيكوليليا. ذهب إلى مكتبه الداخلي، وقَلَّبَ أدراج مكتبه بحثًا عن شيء يقرؤه أو يشغل دماغه. وجد الكُتَيِّبَ الذي عرض عليه من قبل ملحق القضيب والمهبل المطاطي رفيق الوحدة.

عرض عليه الكُتَيِّبُ أيضًا أفلامًا مثل تلك التي شاهدها كيلجور تراوت في نيويورك. وكانت فيه صور ثابِتَةٌ مأخوذة من الأفلام، أدَّى ذلك لجعل مركز التحفيز الجنسي في عقل دواين يُرسِلُ نبضة عصبيَّةً إلى مركز الانتصاب في منتصف عموده الفقري.

مركز الانتصاب جعل الوريدَ الظَّهرانيَّ في عضوه يَشتَدُّ، هكذا يستطيع الدم أن يَدخُلَه بسهولة، لكنه لا يستطيع الخروجَ مَرَّةً أخرى. وجعل أيضًا الشرايين الصغيرة في القضيب ترتاح، فتمتلئ بأنسجة إسفنجيَّةٍ من التي يتكوَّن منها أغلب قضيب دواين، هكذا صار القضيب صلبًا متوترًا، مثل خرطوم حديقة مسدود.

هكذا اتَّصل دواين بفرانسين بيفكو على الهاتف، رغم أنها على بُعدِ إحدى عشرة قدمًا منه فقط. قال: "فرانسين...؟".

قالت: "نعم؟".

قاوم دواين الإيكوليليا. "سأطلب منكَ شيئًا لم أطلبه منكِ من قبل. عِدِيني أنَّكِ ستوافقين".

قالت: "أَعِدُكَ".



قال: "أريدُكِ أن تخرجي معي من هنا فورًا، وتذهبي معي إلى موتيل كواليتي في شيبردزتاون".

* * *

فرانسين بيفكو كانت مُستعِدَّةً للذهاب إلى موتيل كواليتي مع دواين. آمَنَت أن ذلك واجبها، خاصَّةً وأن دواين بدا شديدَ الاكتئاب والتَّخبُّط. لكنها لم تستَطِع أن تترك المكتب بهذه البساطة في فترة بعد الظهر، خاصَّةً وأن مكتبها هو المركز العَصبيُّ لقرية بونتياك دواين هوفر عند المَخرَج 11.

قالت فرانسين لدواين: "عليك أن تجد لكَ مُراهِقَةً صغيرة مَجنونة، تستطيع أن تجري إليكَ وقتما أَرَدتَها أن تفعل".

قال دواين: "أنا لا أريد مُراهِقَةً مَجنونة، أريدُكِ أنتِ".

قالت فرانسين: "إذن عليكَ أن تكون صبورًا". ثم ذَهبَت إلى قسم الخدمات في الخلف، وتَرجَّت جلوريا براوننج، الكاشيرة البيضاء هناك، أن تتولَّى مكتبها لبعض الوقت.

لم تُرِد جلوريا أن تفعل ذلك؛ فقد مَرَّت بعملية استئصال رحم قبل شهر فقط، في سن الخامسة والعشرين، بعد إجهاضٍ فاشل في فندق رامادا بمُقاطَعَة جرين، في شارع 53، عبر الشارع من مدخل متنزه بايونير فيلدج العام.

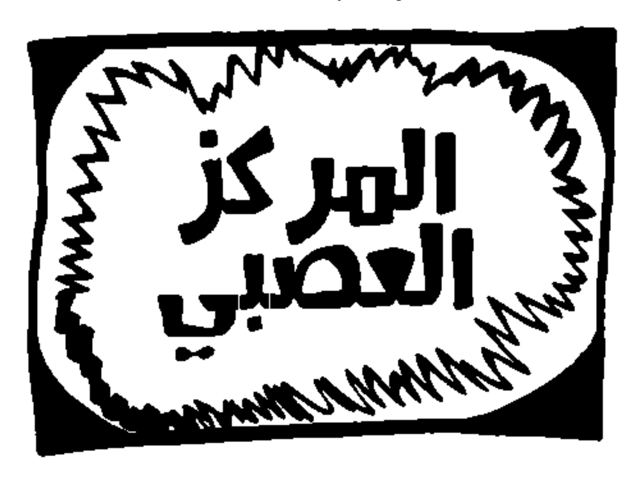
وهنا تَكمُن مُصادَفَةٌ مُذهِلَة إلى حَدٍّ ما: والد الجنين الذي لم يَعُد كذلك كان دون بريدلوف، عامل تركيب وحدات الغاز الذي اغتصب باتي كين في ساحة انتظار استاد بانستر التذكاري.

كان رَجُلًا ذا زَوجَةٍ وثلاثة أبناء.

* * *

عـلى الحائـط خلـف مكتـب فرانسـين كانـت هنـاك لافِتَـة، تلَقَّتها كَمَزحَـةٍ في احتفـال وكالـة السـيارات بالكريسـماس في الهوليـداي إنّ الجديـد في العـام السـابق.

أفصَحَت اللافِتَةُ عن حقيقَةِ وَضعِها. هكذا كانت:



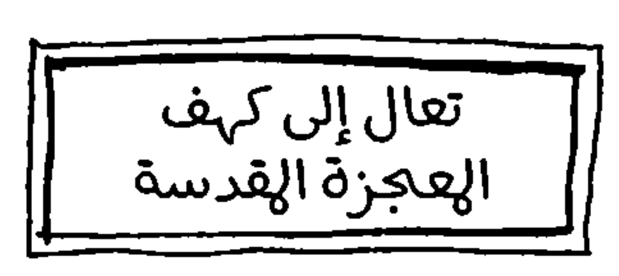
قالـت جلوريـا إنهـا لا تريـد تَـولِّي المركـز العَصبـيِّ. قالـت: "لا أريـد تَـوَلِّي أي شيء".

* * *

لكـنَّ جلوريـا تولَّـت مكتـب فرانسـين عـلى أي حـال. قالـت: "ليـس لـديَّ الشـجاعة الكافيـة للانتحـار؛ لـذا سـأفعل أي شيء يقولـه أي شـخص، كخدمـة للبشريـة".

* * *

اتَّجـه دوايـن وفرانسـين إلى شـيبردزتاون في سـيَّاراتٍ مُنفَصِلَـة، حتـى لا يلفتـوا الأنظـارَ إلى غرامِهِـم الخَفِـيِّ. دوايـن كان في السـيارة التوضيحيَّـةِ مَـرَّةً أخـرى، فرانسـين كانـت في سـيَّارتها الجـي. تي. أو. الحمـراء. جـي. تي. أو. تعنـي جـران توريسـمو أوملوجاتـو. كان عـلى مُؤخَّـرَةِ سـيَّارتها مُلصَـقٌ يقـول:



كان في وَضعِهـا ذلـك المُلصَـقِ عـلى سـيَّارتها كثـيرٌ مـن الوفـاء. كانـت هكـذا عـلى الـدوام. داعِمَـةً دومًـا لِرَجُلِهـا، داعِمَـةً دومًـا لدوايـن.

وكان دوايـن يحـاول ردَّ الجميـل بتفاصيـل بسـيطة. صـار مثـلًا يقـرَأ مُؤخَّـرًا مقـالاتٍ وكُتُبًـا عـن المُمارَسَـة الجِنسـيَّة. كانـت هنـاك ثـورة جنسـيَّة تحـدث في البلـد، وباتـت النِّسـاءُ تطالـب الرِّجـال بالاهتـمام أكـثر بمُتعَـةِ المـرأة في أثنـاء الممارسـة الجِنسـيَّة، بَـدَلًا مـن التفكـير فقـط في أنفسـهم. قالـت الكتـب والمَقـالاتُ -ودَعَّـمَ قَولَهـا العُلـماءُ- إن مفتـاح سَـعادَتِهنَّ هـو البَظْـرُ، وهـو أسـطوانَةٌ دَقيقَـةٌ مـن اللحـم تقـع مبـاشرةً فـوق الحفـرة عنـد النسـاء التـي يُفـتَرَضُ أن يضـع فيهـا الرِّجـالُ اسـطواناتِهم الأَكـبَر بكثـير.

كان يفـترض بالرجـال أن يهتمُّـوا أكـثر بالبَظـرِ، ودوايـن كان يفعـل ذلـك بكـثرة لبَظـرِ فرانسـين، لِدرجـة قَولِهـا لـه إنَّـه يفعـل أكـثر مـن الـلازم. لم يُفاجِئـه ذلـك؛ فالأشـياءُ التـي كان يَقرَؤُهـا عـن البظـر قالـت إن اهتـمام الرجـل أكـثر مـن الـلازم بالبَظـر خَطَـر.

هكـذا، وبينـما كان يسـوق في طريقـه إلى موتيـل كواليتـي ذلـك اليـوم، كان يأمـل أن يَهتـمَّ ببظـر فرانسـين بالقـدر الملائـم بالضَّبـط.

* * *

كتـب كيلجـور تـراوت ذات مـرة روايـة قصـيرة عـن أهميـة البظـر في ممارسـة الحُـبِّ. ذلـك كان اسـتجابةً لاقـتراح زوجتـه الثانيـة، دارلـين، التـي قالـت إنَّـه قـد يَحصـدُ ثَـروةً مـن كتـاب بـذيء. قالـت لـه إنَّ عـلى البطـل أن يفهـم النسـاء جيِّـدًا لدرجـة أنـه يسـتطيع إغـواءَ أيِّ واحـدة يريدهـا. هكـذا كتـب تـراوت (ابـن ڤيمـي ڤالنتـين).

ڤيمـي ڤالنتـين كان شـخصيَّةً خياليَّـةً شـهيرة في كتـابِ مُؤلِّـفٍ آخـر، بالضبـط مثلـما تـراوت شـخصيَّة خياليـة شـهيرة في كتبـي. ڤيمـي ڤالنتـين في كتـب المُؤلِّـف الآخـر كان قـد صَقَـلَ أناملـه بالصَّنفـرة، حتـى صـارت شـديدةَ الحساسـية. كان لِـصَّ خزائـن، حاسَّـةُ لَمسِـه كانـت فائِقَـةً لِدَرَجـةِ أنَّـه كان بوسـعه فتـحُ أيِّ خزنـةٍ فقـط بمجـرَّدِ تَحسُّـس وقـوع ريشـة قُفلِهـا.

اخـترع كيلجـور تـراوت ابنًـا لڤيمـي ڤالنتـين، أطلـق عليـه رالسـتون ڤالنتـين. صَقَـلَ رالسـتون ڤالنتـين أيضًـا أطـرافَ أناملِـه. لكنـه لم يَكُـن لِـصَّ خزائـن. كان رالسـتون ماهـرًا في لمـس النسـاء بالطريقـة التـي يَرغَـبنَ أن يُلمَسـنَ بهـا، لدرجـة أن عـشرات الآلاف منهـنَّ صِرنَ لـه جاريـاتٍ مُطيعات، هَجَـرنَ أزواجَهـنَّ وعُشّـاقَهنَّ مـن أجلـه في قصَّـة تـراوت، وصـار رالسـتون ڤالنتـين رئيسًـا للولايـات المتحـدة الأمريكيـة بفضـل أصـوات النسـاء.

* * *

مـارس دوايـن وفرانسـين الحُـبَّ في موتيـل كواليتـي. ثـم ظَـلَّا في السريـر لوَهلَـة. كان سريـرًا مائيًـا. جسـد فرانسـين كان جميـلًا، وكـذا كان جسـد دوايـن. قالـت فرانسـين: "لم نمـارس الحُـبَّ في فـترة بعـد الظهـيرة مـن قبل".

قال دواين: "كان ذلك جامِحًا".

قالت فرانسين: "أعلم ذلك. هل أنت أفضل الآن؟".

"نعم". كان مُتَمدِّدًا على ظهره، كاحلاه مَعقودان، يداه مَثنيَّتان خلف رأسه. تمدَّد بجوار فَخذِهِ أَيرُه العَظيمُ مثل السُّجق، بات مسترخيًا.

قالت فرانسين: "أحِبُّكَ كثيرًا"، ثم استطرَدَت مُصحِّحَةً: "أعلم أني وعَدتُكَ ألَّا أقول ذلك، لكن ذلك وَعدٌ لا يَسَعُني إلَّا مُخالفته طوال الوقت". الفِكرَة كانت أن دواين عاهَدَها من قبل ألَّا يَذكُرَ أحدُهما الحُبَّ. منذ أكلت زوجة دواين الدرانو، لم يُرِد دواين السَّماعَ عن الحب مَرَّةً أخرى أبدًا. صار ذلك موضوعًا مؤلمًا.

شخر دواين. كان اعتاد التَّواصُلَ بالشَّخر بعد الممارسة الجنسية. كان لكل شَخرةٍ معنى دَمِث، "حسنًا... انْسَ الأمرَ... مَن يَلومُكَ؟"، وما إلى ذلك.

قالت فرانسين: "في يوم الحساب، عندما يسألونني عن الأشياء السَّيِّئة التي فعَلتُها على الأرض، سأضطرُّ لأن أقول لهم "حسنًا، وَعَدتُ رَجُلًا أُحبُّه وعدًا، وخَلَفتُه طوال الوقت. وَعَدتُه ألَّا أقولَ له أبدًا إني أُحِبُّه"".

هذه المرأة السَّخِيَّة، الشَّبِقَة، التي لم يتجاوز دخلها الأسبوعي بعد خصم الضرائب 96 دولارًا و11 سِنتًا، فقَدَت زوجها روبرت بيفكو في حرب ڤيتنام. كان ضابطًا في الجيش. وكان له عضو ذكري طوله ست بوصات ونصف البوصة، وقطره بوصة وسبع أثمان البوصة.

كان قد تخرَّج في ويست بوينت، وهي أكاديمية عسكرية تعمل على تحويل الشباب إلى انتحاريين مخابيل لاستخدامهم في الحرب.

* * *

مضت فرانسين خلف روبرت من ويست بوينت إلى مدرسة المظلَّات في فورت براج، ثم إلى كوريا الجنوبية، حيث أدار متجر تَجزِئَةٍ

خاصًّا بالجنود، ثم إلى جامعة بنسلڤانيا، حيث درس روبرت ماجيستير في الأنثروبولوچيا على نفقة الجيش، ثم عادا مرّةً أخرى إلى ويست بوينت، حيث صار مُدرِّسًا مساعدًا للعلوم الاجتماعية لثلاثة أعوام.

بعد ذلك، تَبِعَته فرانسين إلى ميدلاند، حيث أشرف روبرت على تصنيع نوع جديد من الألغام. الألغام هي أدوات مُتفجِّرَة يَسهُلُ إخفاؤها، تنفجر عندما يخطو أحدُهم بالصُّدفَة على بعضها. من مُمَيِّزات ذلك النوع الجديد من الألغام أنه لا يمكن أن تَشُمَّه الكلاب. جيوشٌ كثيرة في ذلك الوقت كانت تُدرِّب الكلاب على تَشَمُّم الألغام.

* * *

عندما أصبح روبرت وفرانسين في ميدلاند، لم يكن هناك الكثير من العسكريين في الأنحاء؛ لذا كوَّنا أولى صداقاتهم المَدنيَّة. وحَصَلَت فرانسين على وظيفة عند دواين هوڤر؛ لتعزيز راتب زوجها، ومَلءِ فراغ أيامها.

لكنهم أرسلوا روبرت بعدها إلى ڤيتنام.

بعد ذلك بقليل، أكلت زوجة دواين الدرانو، وشُحِنَ روبرت إلى الوطن في كيسِ جُثَثٍ بلاستيكي.

* * *

قالت فرانسين في موتيل كواليتي: "أُشفِقُ على الرجال"، وكانت مُخلِصَةً في قَولِها. "لم أكن لأودُّ أن أكون رجلًا، كم هم يُخاطِرون، وكم يعملون بجدٍّ". كانا في الطابق الثاني من الموتيل. الأبواب الزجاجية المُنزلِقة مَنَحَتهُم إطلالةً على الشرفة الإسمنتية وحاجزها المعدني بالخارج، ثم على الطريق 103، ثم على جدار وسقف الهيئة الإصلاحية للبالغين بعد ذلك.

تابعت فرانسين: "لا عجب أنك مُرهَقٌ مُنفَعِلٌ طوال الوقت، لو كنتُ رَجُلًا كنتُ سأكون مُرهَقةً مُنفَعِلَة أيضًا. أعتقد أن الرَّبَّ خلق النساء حتى يدلِّعوا الرجال كما الأطفال، ويريحوهم من وقت لآخر". كانت راضِيَةً تمامَ الرِّضا عن ذلك النظام.

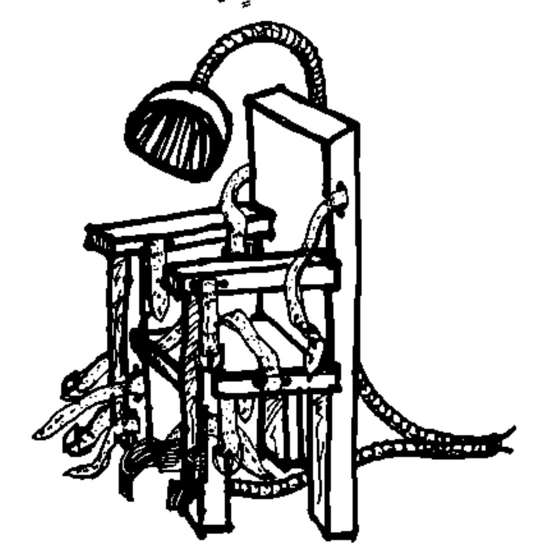
شخر دواين. كان الهواءُ مُفعَمًا برائحة التوت، التي كانت رائِحَةَ المُطَهِّر وقاتل الصراصير الذي يستخدمه الموتيل.

تأمَّلَت فرانسين السِّجنَ، حيث الحُرَّاس كلهم بِيضٌ، وأغلب المساجين سود. قالت: "هل ما يقولون إن أحدًا لم يهرب من هناك قَطُّ حقيقيٌّ؟".

قال دواين: "حقيقيٌّ".

* * *

قالت فرانسين: "متى كانت آخِرَ مَرَّةٍ استخدموا فيها الكُرسيَّ الكَهرَبِيَّ؟". كانت تسأل عن جهازٍ في قبو السجن، يبدو كذلك:



هـدف الجهـاز كان قتـلَ النَّـاس عـبر ضَـخِّ كَـمٍّ كبـير مـن الكهربـاء فيهـم بأكـثر مـن قُـدرَةِ أجسـادهم عـلى التَّحمُّـل. رآه دوايـن مَرَّتَـين، مـرَّة خـلال جولـة في السـجن مـع أعضـاء الغُرفَـة التجاريـة قبـل أعـوامٍ، ومُجـدَّدًا عندمـا اسـتُخدِمَ بالفعـل عـلى إنسـانٍ أسـودَ يعرفـه.

* * *

حـاول دوايـن أن يتذكَّـر متـى حـدث آخِـرُ إعـدامٍ في شـيبردزتاون. بـات الإعـدامُ بـلا شَـعبيَّةٍ. توجـد علامـاتٌ أنـه سـيعود رائجًـا مـرَّةً أخـرى. حـاول دوايـن وفرانسـين تَذَكُّـرَ أحـدث إعـدامٍ بالكهربـاء وقـع في أيِّ مَـكانٍ بالبـلاد وعَلـقَ في ذاكرتهـم.

تذكَّـرا الإعـدامَ المُـزدَوَجَ لرَجُـلٍ وزَوجَتِـه بتُهمَـةِ الخيانـة. يُفـتَرَضُ أنَّ الزَّوجَـيْن قـد سَرَّبـا أسرارًا عـن كيـف تُصنَـعُ قُنبُلَـةٌ هيدروچينيـة لبلـد آخـر.

تذكَّـرا الإعـدام المُـزدَوجَ لرَجُـلٍ وامـرأة عاشـقَيْن. كان الرجـل وسـيمًا وجذَّابًـا، واعتـاد إغـواءَ النسـاء الكبـار الشَّـمطاوات اللـواتي يملكـن المـال، ثـم يـشرع هـو والمـرأةُ التـي يُحِـبُّ في قتـل النسـاء لأجـل أموالِهـنَّ. المـرأة التـي أَحبَّهـا فعـلًا كانـت صغـيرةً، لكنهـا بـلا شَـكٍّ لم تكـن جميلـةً بالمعنـى التقليـدي. كان وزنهـا 240 رطـلًا [109 كيلـو جـرام].

تعَجَّبَـت فرانسـين بصـوتٍ عـالٍ: لمـاذا قـد يُحِـبُّ شـابٌ وَسـيمٌ نحيـفٌ امـرأةً ثقيلـة إلى هـذه الدَّرجـة.

قال دواين: "إللي يعيش ياما يشوف".

* * *

قالت فرانسين: "أتعلم بما أفكِّر دومًا؟".

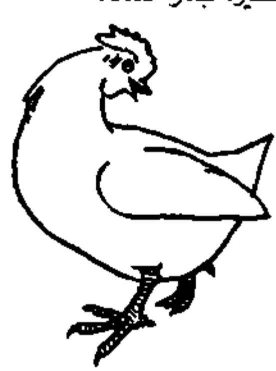
شخر دواين.

"أن ذلك سيكون مَوقِعًا مثاليًا لفَرعِ دجاج كنتاكي جديد".

تَشَنَّج جسد دواين المسترخي، كما لو أنَّ كُلَّ عَضَلَةٍ فيه لَسَعَتها قَطرَةٌ من عُصارة الليمون.

كانت المشكلة في الآتي: أراد دواين أن تُحِبَّه فرانسين لجسده وروحه، وليس لما تستطيع أموالُه شراءَه. اعتقد أن فرانسين كانت تُلَمِّح أن عليه أن يشتري لها فرعَ دَجاجِ كنتاكي، والذي كان برنامَجًا لبَيعِ الدَّجاج المَقليِّ.

الدَّجاجُ هم طيورٌ لا تَطيرُ، تبدو كتلك:



الفِكرَةُ كانت في قَتلِها وقَطفِ ريشها كُلِّه، ثم فصل رؤوسها وأَرجُلِها، وانتزاع أحشائها الداخلية، ثم تقطيعها إلى قِطَعٍ، وقَلي تِلكَ القِطَع، ووضع القِطَع المَقليَّة في دلوٍ من الورق المُشمَّع؛ فتبدو كتلك:



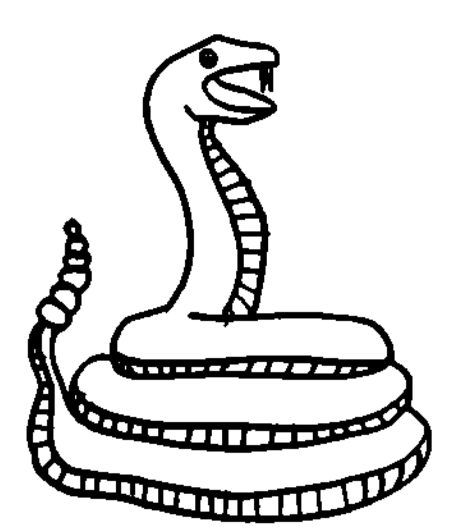
* * *

فرانسين، التي كانت شديدةَ الفَخرِ بِقُدرَتِها على تَهدِئَةِ دواين، أَمسَت الآن خَجلانةً من جَعلِها إيّاه يَتَشَنَّجُ مُجدَّدًا. صار صُلبًا مثل لَوحِ الحديد. قالت: "يا ربِّي. ماذا صار الآن؟".

قال دواين: "إن كنتِ سَتَطلُبين مني الهدايا، اعملي فيَّ معروفًا ولا تُلمِّحي بذلك بعدما مارَسنا الحُبَّ. لنَفصِلْ بين ممارسة الحب والهدايا، حسنًا؟".

قالت فرانسين: "أنا لا أعلم حتى ماذا تَحسَبُني طَلَبتُ".

بقسوةٍ قَلَّدَها دواين بصوتٍ حادٍّ ساخر: "لا أعلم حتى ماذا تَحسَبُني طَلَبتُ". بدا الآن هادئًا مُبتَهِجًا بقدر ما تبدو أفعى ذاتُ جَرَسٍ كذلك. كانت الكيمياء السَّيِّئة بالطبع هي ما تُجبِره على أن يبدو كذلك. الأفعى ذات الجرس الحقيقية تبدو كتلك:



وضع خالِقُ الكون في ذيلها جَرَسًا. مَنَحها خالِقُ الكَونِ أسنانًا كانت أيضًا مَحاقِنَ مَليئَةً بِسُمٍّ قاتل.

* * *

أتعجَّبُ أحيانًا من خالق الكون.

* * *

مـن الحيوانـات الأخـرى التي اخترعهـا خالِقُ الكون: خُنفُسـاءُ مَكسـيكيَّةٌ بوسـعِها تحويـلُ مُؤخِّرَتِهـا إلى مُسـدَّسِ طلقـاتٍ فارغـة. بوسـعها تفجـير ضَرطَتِهـا وطـرح الحـشرات الأخـرى أرضًـا بالمَوجـاتِ الصَّادمـة الناتجـة.

أُقسِمُ بشرفي.

قرأتُ عنها في مقالٍ عن الحيوانات الغريبة في مجلة داينرز كلوب.

* * *

هكـذا خرَجَـت فرانسـين مـن السريـر حتـى لا تُشـارِكَه مـع مـا صـار يبـدو مثـل أفعـى ذات جـرس. كانـت مَصعوقَـةً. كل مـا اسـتطاعت قولـه مـرارًا وتكـرارًا كان: "أنـتَ رَجُـلي، أنـتَ رَجُـلي". كان ذلـك يعنـي أنهـا مُسـتعِدَّة لموافقـة دوايـن عـلى أيِّ شيء، لِفِعـلِ أيِّ شيء مـن أجلـه، مهـما كان صعبًـا أو مُنفـرًا، للتفكـير في أشـياءَ لَطيفَـةٍ تفعلهـا لـه دون حتـى أن يُـدرِكَ أنهـا تفعـل، أن تمـوت مـن أجلـه إن كان ذلـك ضروريًـا، ومـا إلى ذلـك.

حاوَلَـت بصِـدقٍ أن تعيـش بهـذه الطريقـة. لم تَسـتَطِع تَخيُّـلَ أيِّ شيء أفضـل لتفعلـه؛ لـذا انهـارت عندمـا اسـتمرَّ دوايـن في وَقاحَتِـه. قـال لهـا إن كُلَّ النسـاء عاهِـراتٌ، ولِـكُلِّ عاهِـرَةٍ ثمَنُهـا، وأن ثمَـن فرانسـين هـو تكلفـة فـرع دَجـاجٍ كنتـاكي، والـذي كان أكـثرَ مـن مائـة ألـف دولار بكثـيرٍ، بعـد أخـذ مسـاحة رُكـنِ السـيارات والإضـاءة الخارجيـة وغيرهـا في الاعتبـار، ومـا إلى ذلـك.

أجابـت فرانسـين بـين دموعهـا بـكلامٍ غـير مفهـوم، مُفـادُه أنهـا لم تُـرِدِ الفَـرعَ لنفسـها، بـل أرادتـه لدوايـن، وأن كُلَّ شيء تريـده هـو لدوايـن. وجد

بَعضُ كلامِها طريقَه له. قالت: "فكَّرتُ فيمن يأتون لزيارة أقاربهم في السجن، وأدرَكتُ أن أغلَبَهم من السُّود، وفَكَّرتُ كيف أن السُّودَ يُحِبُّون الدجاج المَقليّ".

قال دواين: "إذن تريدينني أن أفتح مَطعَمًا للزنوج؟"، وما إلى ذلك. هكذا نالت فرانسين شرفَ أن تكون ثاني أقرب شخص لدواين يكتشف مدى الدَّناءة الذي يستطيع أن يبلغه.

قالت فرانسين: "هاري ليسابر كان مُحِقًّا". كانت الآن قد تراجَعَت حتى التصق ظهرُها بحائط غرفة الموتيل الإسمَنتيّ، وأصابعها مفرودة فوق فمها. كان هاري ليسابر بالطَّبعِ مُديرَ مبيعات دواين الترانسفيستيت. قالت: "قال إنَّكَ تَغيَّرتَ". صَنَعَت بأصابعها قفصًا حول فمها. قالت: "يا ربي. لقد تَغيَّرتَ، لقد تَغيَّرتَ".

قال دواين: "رُبَّما حان الوقت لذلك. لم أشعر أني بحالة جيدة لهذه الدرجة من قبل في حياتي"، وما إلى ذلك.

* * *

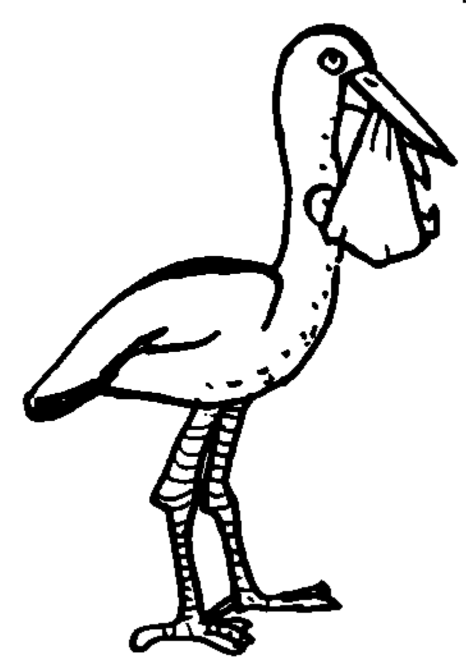
كان هاري ليسابر في تلك اللحظة يبكي أيضًا. كان في بيته، في سريره. كان قد وضع مُلاءَةً بَنَفسجيَّةً من القطيفة فوق رأسه. كان ثَريًّا؛ فقد استثمر في البورصة بذكاءٍ وحَظٍّ سعيدٍ على مَرِّ السِّنين. كان -على سبيل المثال- قد اشترى مائة سَهم من شركة زيروكس بسعر ثماني دولاراتٍ للسَّهم. بمرور الوقت تَضاعَفَت قيمَةُ أَسهُمِه مائةَ مَرَّة، دون أن تفعل شيءٍ عَدَا الاستلقاء في ظُلمَةِ وصَمتِ صُندوقِ وَدائِعه.

كان هناك كثيرٌ من السحر المالي المُشابه. يبدو الأمر وكأن هناك جِنِّيَّةً زرقاءَ ما تُرَفرِفُ في أنحاء ذاك الكوكب المُحتَضَر، وتلوِّح بعصاها السِّحريَّة على صكوك وسَنَداتٍ وأَسهُمٍ بِعَينِها.

* * *

جريـس، زوجـة هـاري، كانـت مُمـدَّدَةً عـلى شـيزلونج يَبعُـدُ مَسـافَةً عـن السريـر، تُدَخِّـن سـيجارًا صغـيرًا في حامِـلٍ طويـل مصنـوع مـن عَظمَـةِ قَـدَمِ لَقلَـق. اللَّقلَـقُ كان طائِـرًا أوروبيًّـا ضَخـمًا، حَجمُـه نِصفُ حَجـمِ نَـسرِ برمـودا. كان يُقـال للأطفـال الذيـن يريـدون معرفـة مـن أيـن تـأتي المواليـد، إنَّ اللَّقلَـقَ يُحضِرُهـم. النـاس الذيـن يقولـون مثـل هـذه الأشـياء لأبنائهـم يفعلـون ذلـك لأنهـم يَحسَـبون الأطفـالَ أصغـرَ مـن أن يُفكِّـروا بـذكاءٍ في القنـادس المفتوحـة عـلى مِصراعَيْهـا ومثـل ذلـك.

وكان هنـاك بالفعـل صُـورٌ لِلَقالِـقَ تَحمِـلُ مواليـدَ في إعلانـاتِ الـولادة، وفي الرسـوم المُتحرِّكـة، ومـا إلى ذلـك؛ حتـى يراهـا الأطفـال. يبـدو الواحـد منهـم مثـل ذلـك:



رأى دوايـن هوفـر وهـاري ليسـابر صُـورًا مثـل تلـك عندمـا كانـا صبيَّيْن صغيرَيْـن للغايـة. وصَدَّقاهـا أيضًا.

* * *

عَـبَّرت جريـس ليسـابر عـن احتقارهـا لـرأي دوايـن هوفـر الطيـب، الـذي شـعر زوجُهـا أنـه خَسِرَه. قالـت: "تبًـا لدوايـن هوفـر وتبًـا لميدلانـد. دعنـا نبيـع أسـهم زيروكـس اللعينـة ونشـتري شَـقَّةً في مـاوي". مـاوي كانـت مـن جُـزُرِ هـاواي، يُشـاعُ عنهـا أنَّهـا جَنَّـة.

قالـت جريـس: "اسـمع، نحـن البيـضُ الوحيـدون في ميدلانـد الذيـن يحظـون بحيـاةٍ جِنسـيَّةٍ مـن أيِّ نَـوعٍ عـلى حَـدٍّ عِلمـي. أنـت لسـت مَسـخًا، دوايـن هوفـر هـو المسـخ. تُـرى كـم عَـددُ النشـوات الجنسـية التـي حصـل عليهـا هـذا الشـهر؟".

قال هاري من خَيمَتِه المُبتلَّة: "لا أعرف".

كان مُتوسِّـطُ نشـوات دوايـن الجنسـية في الشـهر عـلى مـدى الأعـوام العـشر السـابقة، مـا يتضمَّـن آخـر سـنوات زواجـه، هـو اثنتـان ورُبـع. تخمـين جريـس كان قريبًـا. قالـت: "نشـوة ونصـف". متوسِّـطها الشـهري عـلى مـدى نفـس الفـترة كان سـبعًا وثمانـين. متوسِّـط زَوجِهـا كان سِـتًّا وثلاثـين. تباطـأ مُعدَّلـه في السَّـنوات الأخـيرة، وذلـك أيضًـا كان مـن أسـباب شـعوره بالهلـع.

صـارت جريـس تتحـدَّث بـازدراءٍ جهـرًا عـن زواج دوايـن. قالـت: "كان يخـاف الجِنـسَ لدرجـة أنـه تـزوَّج مـن امـرأةٍ لم تـسمع عـن هـذا الموضـوع مـن قبـل، والتـي كان لا منـاص مـن تدميرهـا لنفسـها إذا سـمِعَت عنـه يومًـا"، ومـا إلى ذلـك. "وهـو مـا فعلتـه في النهايـة".

* * *

قال هاري: "هل تستطيع الغزالةُ سَماعَكِ؟".

قالـت جريـس: "طُـزّ في الغزالـة... لا، لا تسـتطيع الغزالـة سـماعي". الغزالـة كانـت شـفرتهم للإشـارة إلى الخادمـة السـوداء، والتـي كانـت في المطبـخ بعيـدةً عنهـم في ذلـك الوقـت. كانـت الغِـزلانُ شَـفرتَهم للإشـارة إلى السُّود عمومًا. سـمَحَت لهـم بالحديـث عـن المُشـكِلَةِ السَّـوداء في المدينـة، التـي كانـت مُشـكِلَةً كبـيرة، دون إهانَـةِ أيِّ شَـخصٍ أسـودَ قـد يسـمعهم بالصُّدفـة. قالـت: "الغزالـة نائِمَـة، أو تقـرأ بـلاك بانـثر دايجسـت".

* * *

مُشـكِلةُ الغِـزلان كانـت في الأسـاس كالتـالي: لم يَعُـد البِيـضُ بحاجَـةٍ للسُّـود الآن، عـدا رجـال العصابـات الذيـن كانـوا يبيعـون للسُّـودِ السَّـيَّارات المُسـتَعمَلة والمُخـدِّرات والأثـاث. برغـم ذلـك لا يـزال الغـزلان يتكاثـرون. صِرتَ تَجِـدُ في كل مـكانٍ تلـك الحيوانـات السَّـوداءَ الضَّخمـةَ عديمـة الفائـدة، التـي يتَّصِـفُ كثـيرٌ منهـا بالسُّـلوكيّات السَّـيِّئة. كانـوا يتلقَّـون أقـلَّ قَـدرٍ مـن المـال كُلَّ شَـهرٍ؛ حتـى لا يُضطـرُّوا للسرقـة. وكان هنـاك حديـث عـن إعطائهـم مُخـدِّراتٍ رخيصـةً جِـدًّا أيضًـا؛ للحفـاظ عليهـم خاملـين مُبتَهِجـين، وغـير مُهتمِّـين بالتكاثُـر.

كان قِسـمُ شرطـة مدينـة ميدلانـد وقسـم شرطـة مقاطعـة ميدلانـد، يتكوَّنـان عـادَةً مـن رِجـالٍ بِيـضٍ. ولديهـم رفـوفٌ عَديـدة مُمتَلِئـة عـن آخرهـا بالبنـادق الآليَّـة الصغـيرة وبنـادق الخرطـوش الآليـة عيـار 12، المُجهَّـزة لموسـم صيـد الغـزلان المفتـوح، الـذي سـيأتي حتـمًا.

قالـت جريـس لهـاري: "اسـمع، أنـا أتكلَّـم بجـدٍّ. هـذه فتحـة مُؤخِّـرَةُ الكَـون. دعنـا نذهـب إلى شَـقَّةٍ في مـاوي ونعيـش عـلى سـبيل التغيـير".

وهذا ما فعلاه.

* * *

جعَلَت الكيمياءُ السَّيِّئةُ دواين يُغيِّر سُلوكَه تجاه فرانسين، من الوقاحة إلى الاعتماد المثير للشَّفقة. اعتذَرَ لها عن مجرَّد تفكيره أنها أرادت فرع دجاج كنتاكي. أشاد بأن إيثارها كامِلٌ، لا تشوبه شائبة. ترجَّاها أن تَحضِنَه لبعض الوقت، ففَعَلَت.

قال لها: "أنا مرتبك".

قالت: "كلُّنا كذلك". أراحت رأسه بين ثديَيْها.

قال دواين: "أنا بحاجةٍ للحديث مع أحدهم".

قالت فرانسين: "تستطيع التحدُّثَ مع ماما إن أردتَ". كانت تعني أنها ماما.

سأل دواين صدرها العَطِرَ: "أخبريني ما معنى الحياة".

قالت فرانسين: "الرَّبُّ وحده يعلم".

* * *

ظلَّ دواين صامتًا لبعض الوقت. ثم أخبرها مُتَرَدِّدًا عن رحلته إلى المقرِّ الرئيسي لقسم بونتياك في شركة جِنرال موتورز بمدينة بونتياك في ميشيجان، بعد ثلاثة أشهر فقط من أكل زوجته للدرانو.

قال: "أخذونا في جولةٍ عَبرَ كُلِّ مُنشآتِ البحث". أكثر ما أثَّر فيه بحسب ما قال، كان سلسلةً من المعامِلِ والمناطق المفتوحة، حيث تتعرَّض أجزاءٌ مُختَلِفَة من السيارة، وسيارات كاملة في بعض الأحيان، للتدمير. أشعل عُلماء بونتياك النارَ في المقاعد، ورموا الحصى على النوافذ، وكسروا أعمِدَةَ الكَرَنك وأعمدة الدَّوَران، ونظَّموا حوادث تصادُمٍ مُباشِر، وانتزعوا مقابِضَ نَقلِ السُّرعات من جذورها، وشغَّلوا المُحرِّكات بأقصى السرعات دون تشحيم تقريبًا، وفتحوا صندوق

التابلـوه وأغلقـوه بسرعـةٍ مئـاتِ المـرَّات في الدقيقـة لأيَّـامٍ كاملـة، وبَـرَّدوا مُـؤشِّرات لوحـات القيـادة لدرجـات أدنى مـن الصفـر، ومـا إلى ذلـك.

قـال دوايـن لفرانسـين: "كل مـا لا يجـب أن تفعلـه في سـيارة، فعلـوه في السـيارات. لـن أنـسى أبـدًا المكتـوبَ عـلى بـاب البنايـة حيـث يحـدث كلُّ ذلـك التعذيـب". هـذا كان المكتـوب بحسـب وصـف دوايـن لفرانسـين:



قـال دوايـن: "رأيـتُ المكتـوبَ، ولم يَسَـعني إلَّا التسـاؤل إن كان ذلـك سـبَب وَضـعِ الـرَّبِّ لي عـلى الأرض، ليختـبر كـم يَتحمَّـل الإنسـانُ قبـل أن ينكـسر".

* * *

قال دواين: "لقد ضَلَلتُ الطَّريق. أحتاج لمَن يأخذ بيدي ويقودني إلى خارج الغابة".

قالت: "أنت مُرهَق. وكيف لا تكون مُرهَقًا؟ أنتَ تعمل جاهِدًا. كم أُشفِقُ على الرِّجال، يعملون بجهدٍ شديد. أتُريدُ النَّومَ لبعض الوقت؟".

قال دواين: "لن أقدر على النوم إلَّا بعدما أصِلُ لبعض الإجابات". قالت: "أتريد الذهاب إلى طبيب؟".

قال دواين: "لا أريد سَماعَ أيٍّ مِن كلام الأطِبَّاء، أريد أن أتحدَّث مع شخصٍ جديد تمامًا يا فرانسين"، وغرس أصابعه في ذراعها الطري. "أريد سَماع أشياء جديدة من أشخاص جديدة. سَمِعتُ كُلَّ ما لدى أيِّ شخص في ميدلاند في أي وقت. يجب أن يكون شخصًا جديدًا".

قالت فرانسين: "مثل مَن؟".

قال دواين: "لا أعرف، شخصٌ من المرِّيخ ربَّما". قالت فرانسين: "يمكننا أن نذهب لمدينة أخرى".

قال دواين: "كلهم مثل هنا، كلهم نفس الشيء".

خَطَرَت لفرانسين فِكرَة. قالت: "ماذا عن كل الرَّسَّامين والمؤلِّفين والمُلحِّنين القادمين إلى المدينة؟ أنتَ لم تتحدَّث مع مثل أولئك من قبل. ربَّما عليكَ أن تفعل؛ فهُم لا يُفكِّرون مثل باقي الناس".

قال دواين: "لقد جَرَّبتُ كُلَّ ما عدا ذلك". أشرق وَجهُه، ثم أومأ. قال: "أنتِ على حَقٍّ، قد يمنحني المهرجانُ وجهةَ نَظَرٍ جَديدة للحياة".

قالت فرانسين: "لهذا أقاموه، استَغِلَّ ذلك". قال دواين: "سأفعل". وكان ذلك خطأً جسيمًا.

* * *

في الآن ذاتـه، كان كيلجـور تـراوت، المسـافر المتطفِّـل عـلى سـيارات الآخريـن، يتَّجِـه إلى الغـرب، دومًـا إلى الغـرب. صـار الآن راكبًـا في سـيارة فـورد جالاكـسي. الرجـل المُتحكِّـم في الجالاكـسي كان منـدوبَ مَبيعـاتٍ جَوَّالٍ لأداةٍ تَبتَلِعُ مُؤخِّـرات الشـاحنات في أرصفـة التَّحميـل. كانـت عبـارةً عـن نَفَـقٍ مُتداخِـلٍ مـن النسـيج المُغلَّـف بالمَطَّـاط. كانـت تبـدو كذلـك عندمـا تُسـتخدَم:



الفكـرة وراء الأداة هـي السَّـماح للنـاس في المبـاني بتحميـل وإفـراغ الشـاحنات دون خسـارة الهـواء البـارد في المبنـى وقـتَ الصيـف، أو الهـواء الـدافِئ وقـتَ الشِّـتاء، بفتـح الأبـواب إلى الخـارج.

الرجـل المتحكِّـم في الجالاكـسي كان يبيـع أيضًـا بَكَـراتٍ ضَخمَـةً للأسـلاك والكابـلات والحِبـال، وطفَّايـات الحريـق. أوضـح أنـه مُمثِّـلُ مَصانِـعَ. كان مُديـرَ نَفسِـه، هكـذا كان يُمثِّـل المنتجـات التـي لا يسـتطيع مُصنِّعُوهـا تَحمُّـلَ تعيـينَ مَنـدوبِ مَبيعـاتٍ خـاصٍّ بِهِـم.

قـال: "أختـار سـاعات عمـلي بنفـسي، وأنتقـي المُنتَجـات التـي أبيعهـا والمُنتَجـات التـي لا أبيعهـا". اسـمه كان أنـدي ليـبر، وكان أبيـضَ، في الثانيـة

والثلاثين من عمره. كان سمينًا إلى حدٍّ كبير، مثل الكثيرين في هذا البلد. كان من الواضح أنه رَجُلٌ سعيد، وكان يَسوقُ مثل المجانين. سرعة الجالاكسي الآن اثنان وتسعون ميلًا في الساعة. قال: "أنا من القِلَّة المتبقِّية من رجال أمريكا الأحرار".

عُضوُه الذَّكَريُّ كان قُطرُه بوصةً، وطولُه سَبعَ بوصاتٍ ونصفًا. على مدار العام السابق، مُتوسِّطُ نشواته الجنسية كان 22 نشوةً في الشهر. وهو ما يفوق المُتوَسِّطَ الوَطنيَّ بكثير. دَخلُهُ وقيمَةُ بَوالِصِ التَّأمين على حياته عند الاستحقاق كانوا أيضًا أعلى من المتوسِّط بكثير.

* * *

ذات مرَّةٍ كتب تراوت قصَّةً اسمها (انتَ عامل إيه؟)، كانت عن المتوسط القومي لهذا وذاك. فيها قامت وكالَةٌ إعلانيَّةٌ على كوكبٍ آخر بحَملَةٍ ناجحة لمُنتَجِهم المَحليِّ الذي يُقابِلُ زُبدَةَ الفول السوداني عند الأرضيِّين. الجزء المُلفِت للانتباه من كُلِّ إعلان كان تصريحًا عن مُتوسِّطٍ من نوعٍ ما: متوسِّط عدد الأبناء، مُتَوسِّط حجم عضو الذَّكَر الجِنسيِّ على ذلك الكوكب، والذي كان بوصَتَيْن طولًا، بقُطرٍ داخِليٍّ ثلاث بوصات، وقُطرٍ خارِجيٍّ أربعَ بوصاتٍ ورُبع البوصة، وما إلى ذلك. حَثَّت الإعلاناتُ القُرَّاءَ على اكتشاف إن كانوا أَسمَى أم أَدنَى من الأغلبيَّة في ذاك الموضوع أو ذلك، بِغَضِّ النظر عن موضوع الإعلان ذاته.

ثم يتابع الإعلانُ لِيقولَ إن الأَسمَى والأدنى على حَدٍّ سواء يأكلون ذلك النَّوعَ من زبدة الفول السوداني. عدا أنها لم تَكُن في الواقع زُبدَةَ فولٍ سوداني على ذلك الكوكب. كانت زبدةَ بَطاطس.

وما إلى ذلك.

16

وكان أَكَلَـةُ زُبـدَة الفـول السـوداني عـلى الأرض يسـتعدُّون لغـزو أَكَلَـةِ زُبـدَة البطاطـس عـلى الكوكـب المَذكـورِ في كتـاب كيلجـور تـراوت. في ذلـك الوقـت، لم يكـن الأرضيُّـون قـد دَمَّـروا فرچينيـا الغربيَّـة وجنـوب شرق آسـيا فقـط، بـل دَمَّـروا كلَّ شيء. هكـذا باتـوا مُسـتعدِّين للاستكشـاف مُجـدَّدًا.

بوسـائل تَجسُّـس إلكترونيـة درسـوا أَكَلَـةَ زبـدة البطاطـس، فوجـدوا أنهـم كثيرون، ولديهـم مـن المهـارة وعِـزَّة النفـس مـا يحـول دون سـماحهم للآخريـن باكتشـافهم.

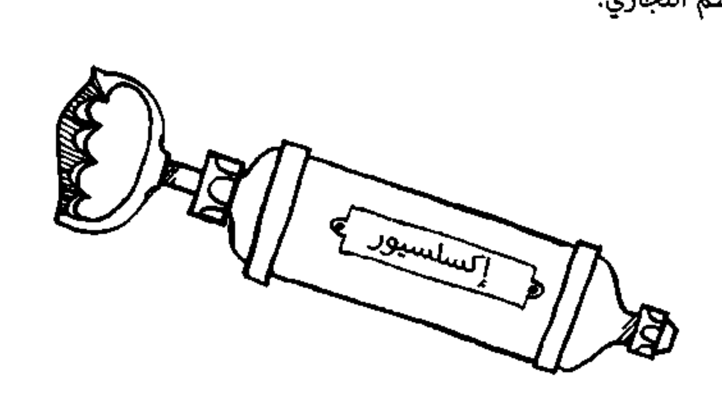
فاخـترق الأرضيُّـون الوكالـة الإعلانيـة التـي تديـر حسـاب زبـدة البطاطـس، وتلاعبـوا بإحصائيَّـات الإعلانـات. جعلـوا مُتوسِّـط كلِّ شيء عاليًـا لدرجـة أنَّ كُلَّ مَـن عـلى الكوكـب بـات يَشـعُرُ أنـه أدنى مـن الأغلبيـة في كلِّ شيء.

وجاء عندها الأرضيُّون بسُفُنِهم الفضائية المُصفَّحة واكتشفوا الكوكب. لم تواجههم إلَّا مُقاوَمة محدودة هنا وهناك؛ لأن سُكَّانَه الأصليِّين شعروا أنهم تحت المتوسِّط بكثيرٍ. وبدأ الاستعمار.

* * *

سأل تراوت مُمثِّلَ المصانع السعيد عمَّا يشعر به وهو يسوق سيارة اسمها جالاكسي [Galaxy = مجرَّة]. لم يسمعه السائق، فتجاوَزَ تراوت الأمر. كانت لعبةً سخيفةً بالكَلِمات، أي كان يسأله في الوقت ذاته عن كيف يشعر إزاءَ قِيادَةِ سيَّارة وكيف يُمكِن توجيه شيءٍ مِثلَ دَرب التبَّانة، والتي كان قُطرُها مائة ألف سنة ضوئية، وسُمكُها عَشرةَ آلاف سنة ضوئية، وتُتِمُّ دَورَةً كامِلَةً مَرَّةً كُلَّ مائتَي مليون عام، وتحتوي على مائة مليار نَجمٍ.

ثم رأى تراوت مطفأة حريق صغيرة في الجالاكسي تحمل ذلك الاسم التجاريَّ:



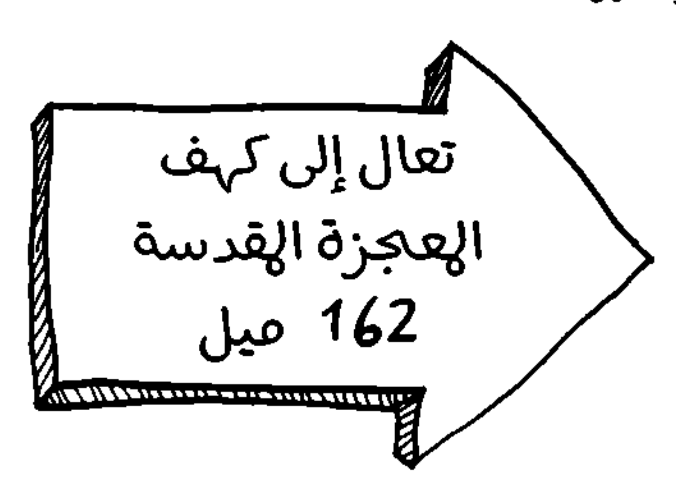
بحسب معرفة تراوت، تعني تلك الكلمة (أعلى) بلُغَةٍ مَيِّتَة. وكانت أيضًا شيئًا ظَلَّ مُتَسلِّقُ جبالٍ مُتخيَّلٌ يصيح به في قصيدَةٍ شَهيرَة، بينما يختفي في عاصِفَةٍ ثَلجيَّةٍ في الأعلى. وكانت اسمًا تجاريًّا لنشارة خشب تُستَخدَم لحماية الأشياء الهَشَّة في الطرود.

سـأل تـراوت السـائق: "لِـمَ قَـد يُسـمِّي أيُّ شَـخصٍ طفَّايَـةَ حَريـقٍ إكسلسـيور؟".

هزَّ السَّائِقُ كَتِفَيه، قال: "لا بُدَّ أنَّ وَقْعَها أعجَبَ أحدَهم".

* * *

نظـر تـراوت إلى الريـف، الـذي بـدا مُشَوَّشًـا مـن سرعـة السـيَّارة العاليـة. رأى تلـك اللافتـة:



هكـذا كان يقـترب مـن دوايـن هوفـر. شـعر تـراوت حينهـا بحاجَـةٍ إلى التقليـب في كتابـه الآن، بوسـعي أن أقـول، وكأنَّ خالِـقَ الكَـونِ -أو قَـوَّةً خارِقَـةً مـن نـوعٍ مـا- تُجَهِّـزُه للِّقـاء المُرتَقَـب. كان ذلـك الكتـاب الـذي سـيُحَوِّل دوايـن عَـمًّا قريـب إلى قاتِـلٍ مَجنـون.

كانـت فَرضيَّـةُ الكتـاب كالتـالي: الحيـاة ليسـت إلَّا تجربـةً مـن خالِـقِ الكَـون، الـذي أراد اختبـارَ نَـوعٍ جديـد مـن الكائنـات يُفكِّـر في تقديمـه للكـون. كائـن قـادِرٌ عـلى التفكـير بنفسـه. كل الكائنـات عَـداهُ لم تَكُـن إلَّا روبوتـات مُبَرمَجَـة بالكامِـل.

كان الكتاب على شكل خطابٍ طَويلٍ من خالق الكون للكائن التجريبي. هنَّأ الخالِقُ مَخلوقَه، واعتذر له عن المتاعب التي تَعرَّض لها، ودَعاه إلى وليمَةٍ على شرفه في الجناح المَلَكيِّ بفندق والدورف أستوريا في نيويورك، حيث سيُغنِّي هناك ويرقص روبوت أسودُ يُدعَى سامي ديڤيس چونيور.

* * *

ولم يُقتَل الكائِنُ التجريبيُّ بعد الوليمة، بل نُقِلَ إلى كوكبٍ بِكرٍ بدلًا من ذلك. من راحة يده أُخِذَت خلايا حَيَّةٌ بينما كان فاقِدَ الوعي. لم تكن تلك عمليةً مُؤلِمَةً على الإطلاق.

ثم مُزِجَت تلك الخلايا ببَحرِ الكوكب البِكرِ الذي كان يُشبِهُ الحِساء. ستتطوَّر لاحِقًا إلى أشكال حياة ذات تعقيدٍ يَتزايَدُ بمرور العصور. أيًّا كان الشكل الذي ستصير إليه، ستظلُّ إرادَتُها حُرَّةً.

لم يمنح تراوت ذلك الكائن اسمًا مُناسبًا، بل سمَّاه ببَساطَةٍ (الرَّجُل).

على ذلك الكوكب البِكْرِ، كان الرَّجُلُ آدَمَ، والبَحرُ كان حوَّاءَ.

* * *

كثيرًا ما تمشَّى الرَّجُلُ بجوار البحر، وكان يخوض أحيانًا في حوَّاء. لكنها عندما كان يعوم فيها، كانت تُرغي وتُزبِدُ بأكثر من قُدرَته على الاحتمال؛ ما يجعل آدم يَشعُرُ بالنُّعاس والتَّلزيق بعدها، فكان يغطَسُ في مَجرًى بارِدٍ هَبَطَ لِتَوِّه من أعلى جبل.

صرخ عندما غَطَسَ في الماء المُثلَّج، وصرخ مُجدَّدًا عندما خرج للهواء. وجرح ساقَيْه عندما تَسلَّق الصخور ليخرج من الماء، وضَحِكَ على ذلك.

أخـذ يضحـك ويلهـث، فكَّـر في شيء مـا رائِـع ليصيـح بـه. لم يعـرف خالـق الكـون قَـطُّ مـا الـذي سـيقوله، بمـا أن لا تَحكُّـمَ لخالِـقِ الكَـونِ فيـه. الرَّجُـلُ هـو مَـن يُقـرِّر لنفسـه مـا الـذي سـيفعله الآن، ولمـاذا. ذاتَ يَـومٍ مثـلًا، بعـد غَطسَـةٍ، صـاح الرجـل: "جبنـة!".

وفي مرَّةٍ أخرى صاح: "ألن يكون من الرائع أن تركب سيارة بويك؟".

* * *

لم يكـن عـلى الكوكـب البِكـر حيـوانٌ كبـيرٌ آخَـرُ إلَّا مَـلاك كان يـزور الرجـل أحيانًـا. كان رسـولًا مـن خالـق الكـون ومُحقِّقًـا. اتَّخـذَ شَـكل دُبٍّ بُنِّـيٍّ ذَكَـرٍ، وَزنُـه ثمانمائـة رَطـلٍ. وكان "روبوتًـا" أيضًـا، وكـذا كان الخالـق بحسـب كيلجـور تـراوت.

حـاول الـدُّبُّ أن يسـتخرج مـن الرَّجُـل أسـبابَ فِعلِـه مـا يفعـل، فـكان يسـأل مثـلًا: "لمـاذا صِحـتَ: "جبنـة؟"".

وكان الرَّجُلُ يَرُدُّ باستهزاء: "لأني شعرتُ أنِّي أريد ذلك، يا روبوت يا عبيط".

* * *

هـذا مـا كان شـاهِدُ قَـبرِ الرَّجُـل يبـدو عليـه عـلى الكوكـب البِكـر في نهاية كتاب كيلجور تراوت:

17

كان بـاني هوڤـر، ابـن دوايـن مِثـلِيُّ الجِنـس، يرتـدي ملابِسَـه ليخـرج إلى العمـل. كان لاعِـبَ بيانـو في بـار فنـدق الهوليـداي إنّ الجديـد. كان فقـيراً، عـاش وحيـدًا في غرفَـةٍ بـلا حَـمَّامٍ في فنـدق فيرتشـايلد القديـم، الـذي كان ذاتَ يـومٍ رائِجًـا. بـات الآنَ نُـزُلًا رَخيصًـا في أخطـر مناطـق مدينـة ميدلانـد.

سـيتعرَّض ابـن دوايـن هوڤـر قريبًـا جـدًّا لإصابـاتٍ وَخيمَـةٍ عـلى يَـدِ دوايـن، وسيتشـارك سـيارةَ إسـعاف مـع كيلجـور تـراوت.

* * *

كان بـاني شـاحبًا، بنفـس اللـون المُعتَـلّ للأسـماك العميـاء التـي عاشـت في أحشـاء كهـف المُعجِـزَة المُقدَّسـة. انقرضـت تلـك الأسـماكُ كُلُّهـا منـذ سـنوات، حَمَلَتهـا التَّيّـاراتُ، مَقلوبَـةً، مـن الكهـف إلى نهـر أوهايـو، حيـث تكفَّلَـت شـمسُ الظَّهـيرة بالقضـاء عـلى مـا تبقّـى منهـا.

تجنَّب باني أيضًا أشِعَّةَ الشَّمس. ومياه صنبور مدينة ميدلاند كانت تزداد سُمِّيَّةً يومًا بعد يوم. كان يأكل أقَلَّ القليل. حَضَّرَ طعامَه بنفسه في غرفته. التحضير كان بسيطًا، بما أنه لم يأكل إلَّا الخُضارَ والفاكهة، وكان يمضغهم نيِّئين.

هو لم يَعِش دون لَحمٍ مَيِّتٍ فقط، بل دون لَحمٍ حَيٍّ أيضًا، دون أصدقاء أو عُشَّاقٍ أو حيوانات أليفة. كان ذا شَعبيَّةٍ يومًا. عندما كان في أكاديمية برايري العسكرية مثلًا، أجمعَ الطُّلَّابُ على انتخابه كولونيل كاديت، أعلى الرُّتَبِ المُمكِنَة في السَّنة النهائيَّة.

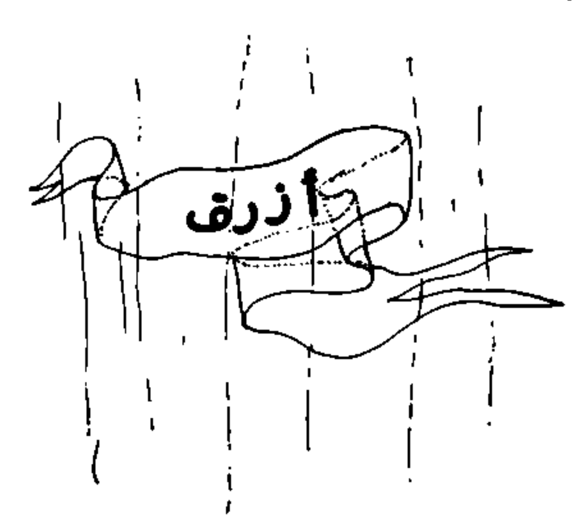
* * *

عندما يعزف باني البيانو في بار الهوليداي إنّ، كان يُخفي الكثيرَ والكثير من الأسرار. أحدهم كان ذلك: هو في الحقيقة ليس هناك. كان قادرًا على تغييب نفسه عن نفسها. يفعل ذلك باستخدام تقنيات التأمُّل المُتَسامي، التي تَعلَّمها من مهاريشي ماهيش يوجي، الذي مَرَّ على ميدلاند ذاتَ مَرَّةٍ بينما كان يدور في جَولَةِ مُحاضراتٍ حولَ العالم.

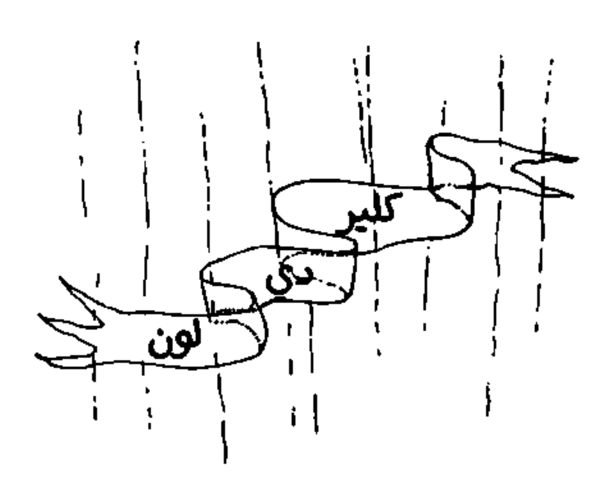
مهاريشي ماهيش يوجي عَلَّم باني، مُقابِلَ قِطعَةِ فاكِهَةٍ وبعضِ الورود، وخمسةٍ وثلاثين دولارًا- أن يُغلِقَ عينَيْه، ويقول هذا الهُراءَ المُتناغِمَ مَرَّةً تلوَ أخرى: "آآآآيبي-يبييم، آآآآيبي-يبييم، آآآآيبي-يبييم". جلس باني على حافَّةِ سريره في غرفة الفندق، وفعل ذلك. قال لنفسه داخليًّا: "آآآآيبي-يبييم، آآآآيبي-يبييم، آآآآيبي-يبييم". كان للترنيمة إيقاعٌ يُوافِقُ كُلُّ مَقطَعٍ منه نبضَتَيْن في قلبه. أغلق عينَيْه، صار غوَّاصًا يخوض في أعماق العقل، الأعماق التي نادرًا ما تُستخدم.

تباطَأت دَقَّاتُ قلبه، كاد تَنَفُّسُه أن يتوقَّف. أخذت كلمةٌ وحيدَةٌ تطفو في أعماقه، تَسرَّبَت بشكلٍ ما من الأجزاءُ الأكثَرُ انشِغالًا من عقله. لم تَكُن ذاتَ علاقَةٍ بأيِّ شَيء، كانت تعوم بكَسَلٍ بمُحاذاة سَمكَةٍ

شَـفّافة تبـدو كالوشـاح. تلـك كانـت الكلمـة: "أزرق". ذلـك مـا بَـدَت عليـه لبـاني هوفـر:



ثم حينها أخذ وشاحٌ جَميلٌ آخر يعوم في الجوار. بدا كذلك:



* * *

بعد خمسَ عشرةَ دَقيقةً، عاد وَعيُ باني إلى السطح من تلقاء نَفسه. صار مُنتَعِشًا. نهض من السرير، ومَشَّطَ شَعرَه بفُرشاةٍ عَسكريَّةٍ أَهدَته أُمُّه إيَّاها عندما انتخبوه كولونيلَ كاديت قبل زمَنٍ بعيد.

* * *

عندما كان لا يزال في العاشرة من عمره، أرسِلَ باني إلى الأكاديمية العسكرية، وهي مؤسَّسَةٌ مُكرَّسَةٌ بالكامِل للقتل والطَّاعَةِ العمياء ثَقيلَةِ الظِّلِّ. ذلك كان السببَ: قال لدواين إنَّه يَتمنَّى لو كان امرأةً بدلًا من رجل؛ لأن ما يفعله الرِّجالُ غالبًا في غاية القَسوَةِ والبَشاعة.

* * *

اسمَع: قضى باني هوفر في أكاديميَّة برايري العسكرية ثماني سنواتٍ من الرياضة واللواط والفاشيَّة بلا انقطاع. اللِّواطُ يتضمَّن أن يَغرِزَ المَرءُ قضيبَه في شَرَجِ شخصٍ آخَرَ أو في فَمِه، أو أن يُغرَزَ في المَرءِ قَضيبُ شَخصٍ آخر. الفاشيَّة هي فلسفَةٌ سياسيَّةٌ شائِعَة، تجعل من الجِنسيَّة أو العِرقِ الذي ينتمي إليه الفيلسوفُ -أيًّا كان- شيئًا مُقدَّسًا. تدعو إلى إقامَةِ حُكومةٍ مَركزيَّة أوتوقراطية، يرأسها ديكتاتور. ويجب طاعَةُ الديكتاتور، مَهما قال للآخرين أن يَفعَلوا.

وكان باني يعود للبيت في العطلات بميداليات جديدة كلَّ مَرَّة. صار يعرف المُبارَزَةَ والملاكمة والمصارعة والسباحة، يستطيع إطلاقَ النَّار من البنادق والمُسدَّسات، والقتال بالحِرابِ، وركوب الأَحصِنَة، والتَّسلُّلَ على أربَع، أو على بَطنِه عبرَ الأَجَمة، والتَّلصُّص من الأركان دون أن يراه أحد.

كان يَتفاخَرُ بميداليَّاته، وكانت أُمُّه تُخبِره -عندما يكون أبوه خارِجَ نطاقِ السَّمع- أنها تصير أتعسَ بمرور كلِّ يوم. وتشير إلى أن دواين يتحوَّل إلى وحشٍ. لم يكن ذلك صحيحًا، ذلك كان في رأسها فقط.

كانت تَشرَعُ في إخبار باني عن مدى خِسّةِ دواين، لكن سرعان ما تقطع حديثَها، وتقول: "أنت أصغرُ مِن أن تَسمعَ مثل تلك الأشياء"، حتى عندما كان باني في السادسة عشرة، "هناك أشياء ليس بوسعِكَ أو بوسعِ أيِّ شَخصٍ فِعلُ شَيءٍ إزاءَها على أيِّ حال"، كانت تتظاهر بِغَلقِ شَفَتَيْها بمفتاحٍ، ثم تهمس لباني: "هناك أسرارٌ سآخُذُها معي إلى القبر".

أكبرُ أسرارها، بالطَّبع، كان سِرًّا لم يستطِعْ باني اكتشافَه بِنَفسِه إلَّا بعدما أهلكَت نَفسَها بالدرانو. سيليا هوفر كانت مجنونةً مثلَ فَراشَةِ النَّار.

وكانت أمي مثلها أيضًا.

* * *

اسمَعْ: أم باني وأمي كانتا من نوعَيْنِ مُختَلِفَيْن من البشر، لكنْ كُلُّ منهما كانت جميلةً بطريقة غريبة، وكلٌّ منهما كانت تفور بالأحاديث المُضطَرِبَة عن الحُبِّ والسلام والحرب والشَّرِّ واليأس، عن أيامٍ أفضلَ آتِيَةٍ، وأيَّامٍ أسوأ آتِيَة، وكلٌّ منهما قتَلَت نفسها: انتحرت أمُّ باني بأكل الدرانو، وأمي بأكل الحبوب المُنَوِّمة، وهو شيء أقلُّ شَناعَةً بكثير من أكل الدرانو.

* * *

وكان بين أعراض مرض أم باني وأمي عَرَضٌ عجيبٌ مَشتَرَك: لم تحتمل أيٌّ منهما أن تُلتَقَط لها صورة. كانتا عادةً بخَيرٍ في النهار، عرفتا كيف تُخفيان جنونَهما لحين حلول الليل. لكن إن صُوِّبَت كاميرا إلى إحداهنَّ خلال اليوم، تنهار تلك الأُمُّ وتَقَعُ على رُكبَتَيْها، وتحمي رأسها بذراعيها، وكأنَّ هناك مَن يحاول ضربها بالهراوات حتى الموت. كان أمرًا يثير خوفَ وشَفَقَةَ كُلِّ مَن يَشهَدُه.

* * *

على الأقلّ عَلَّمَت أمُّ باني ابنَها كيف يعزف البيانو، والذي كان آلةً موسيقيَّةً. على الأقل عَلَّمَت أم باني هوفر ابنَها حِرفَةً. بوسع عازف البيانو الماهر العَملُ كعازف بارات في أيِّ مكانٍ بالعالم تقريبًا، وكان باني عازفًا ماهِرًا. تدريبه العسكري لم يكن ذا فائِدَة، حتى مع كل الميداليات التي فاز بها. عَرفَت القُوَّاتُ المُسلَّحةُ أنَّه مِثليُّ الجنس، وأنه بلا شَكٍّ سيقع في حُبِّ رِجالٍ مُقاتِلين آخرين، ولم ترغب القُوَّاتُ المُسلَّحَة في التَّعامُل مع مثل تلك العلاقات العاطفية.

* * *

هكذا صار باني هوفر مُستعِدًّا لمُزاوَلَةِ مِهنَتِه. وضع جاكت بذلَةِ سَهرَةٍ مِخمليًّا أسودَ فوق كنزَةٍ ذات عُنُقٍ طويل سوداء. نظر باني من نافذته الوحيدة المُطِلَّة على الحارة الجانبية. كانت الغُرَفُ الأفضل تُطِلُّ على حديقة فيرتشايلد، حيث وَقَعَت سِتٌّ وخمسون جريمة قَتلٍ في العامَين السابقين. غرفة باني كانت في الطَّابق الثاني؛ لذا كان بوسع مَن ينظر منها رؤيةُ جُزءٍ من الحائط الجانبي الحجري لما كان ذاتَ يومٍ دارَ أوبرا كيدسلر.

في مُقدِّمة دار الأوبرا كانت هناك لافِتَةٌ تاريخيَّة.

ليس بوسع الكثيرين فَهمُها، لكن هذا ما قالته على أي حال:



كانـت دار الأوبـرا بيتًـا لأوركسـترا سـيمفونية مدينـة ميدلانـد، والتـي كانـت مجموعـةً مـن مُحبّـي الموسـيقى الهُـواة. لكـن بـات هـؤلاء مُتشرّدين في 1927، عندمـا صـارت دار الأوبـرا صالـةَ عَـرضٍ سـينمائية، صالـة بانسـتر. ظَـلّ أفـراد الأوركسـترا مُشَرَّديـن إلى أن قـام مركـز ميلدريـد بـاري التـذكاري للفنون.

ظلّـت صالَـةُ بانسـتر أكـبرَ صالَـةِ عَـرضٍ أفـلامٍ في المدينـة، حتـى اجتاحهـا تَمَـدُّدُ منطقَـةِ الجَرائـم المُرتَفِعَـة، التـي لا تَنفَـكُّ تَتمـدَّد إلى الشـمال طـوال الوقـت. هكـذا لم تَعُـد مَسرحًـا بعـد الآن، حتـى مـع التماثيـل النصفيـة لشكسـبير وموتسـارت ومـا إلى ذلـك، التـي لا تـزال تُحـدِّق إلى أسـفل مـن مواضعهـا العاليـة بالحوائـط.

لا تـزال منصَّـةُ المَـسرَح هنـاك أيضًـا، لكنهـا مُكتظَّـةٌ الآن بغُـرَفِ السُّـفرَة؛ فقـد صـار المَـكانُ مِلـكًا لشركـة إمبايـر للأثـاث. وتلـك كانـت شَرِكَـةَ عصابـات.

* * *

كُنيَـةُ الحَـيِّ الـذي عـاش فيـه بـاني هـي سـكيد-رو. كلُّ مدينـة أمريكيـة مَهمَا كان حجمهـا فيهـا حـيٌّ بنفـس الكُنيَـة: سـكيد-رو. إنـه المكان الـذي عـلى أيِّ شَـخصٍ بـلا أقـارب أو أصدقـاء أو ممتلـكاتٍ أو فائـدة أو طُمـوحٍ- الذَّهـابُ إليـه.

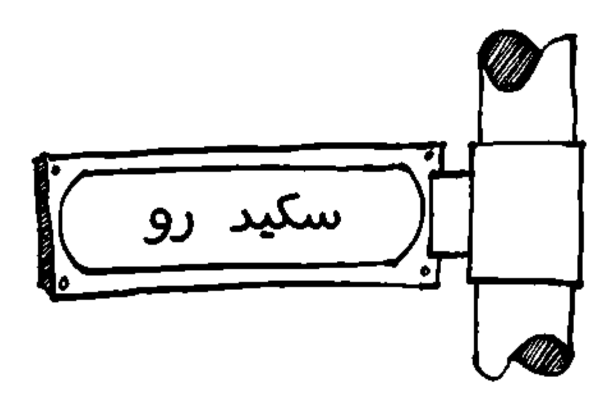
يتلقَّـى ذاك النَّـوعُ مـن النـاس مُعامَلَـةً مُقرِفَـة في الأحيـاء الأخـرى، وعـادَةً مـا يُحرِّكُهـم أفـرادُ الشُّرطـة طـوال الوقـت. كان يَسـهُلُ تَحريكُهـم في العـادة، كـما لـو أنهـم بالونـاتٍ لُعبَـة.

هكـذا ينجرفـون هنـا وهنـاك، مثـل بالونـات مُلِئَـت بغـازٍ مـا أثقَـلَ بقليـل مـن الهـواء، حتـى يسـتقرُّوا أخـيرًا في سـكيد-رو، بجـوار قاعـدة فنـدق فيرتشـايلد القديـم.

بوسـعهم النَّـوم والثَّرثـرةُ مـع بعضهـم البعـض طـوال اليـوم. بوسـعهم التَّســوُّل. بوسـعهم الـشُّربُ حتَّـى الثُّمالَـة. المُخطَّـط الأسـاسيُّ كان كالتـالي: بوسـعهم البَقـاءُ هنـاك دون إزعـاجِ أيِّ شَـخصٍ آخـر، إلى أن يقتلهـم شـخصٌ مـا لمُتعَتِـه الشـخصية، أو يقتلهـم الشـتاءُ بصَقيعِـه.

* * *

كتـب كيلجـور تـراوت ذاتَ مَـرَّةٍ قِصَّـةً عـن مدينـةٍ قـرَّرَت أن تُخـبِرَ مَنبوذيهـا أيـن هـم، ومـاذا سـيحدث لهـم، عـن طريـق وَضـعِ لافِتـاتِ شـوارِعَ حقيقيَّـةٍ مثـل تلـك:



* * *

ابتسم باني لنفسه الآن في المرآة، في المَسلَك.

أَمَـرَ نَفسَـه بالانتبـاه لِلَحظَـة، صـار مـن جديـدٍ الجُنـديَّ القـاسي مَعـدومَ القَلـبِ والمُـخِّ والمَـرَح الـذي تَعلَّـم أن يكونَـه في المدرسـة العسـكرية. تَمتَـمَ لنفسـه بالشِّـعار الـذي اعتـاد الصِّيـاحُ بـه مائـةَ مَـرَّة في اليـوم: عنـد الفجـر، وعنـد الأكل، ومـع بدايـة كُلِّ دَرسٍ وتَمريـنٍ ريـاضيٍّ وقِتـالٍ بالحَربَـة، وعنـد الغـروب، وسـاعة النـوم:

"أنا أستطيع... أنا أستطيع".

18

أصبَحَـت الجالاكسي التـي تُقِـلُّ كيلجـور تـراوت عـلى الطريـق السريـع بالقـرب مـن مدينـة ميدلانـد. صـارت الآن تزحـف، فقـد عَلِقَـت في زحمَـةِ سـاعة الـذُّروَة المروريَّـة بـين باريـترون وويسـترن إليكتريـك وبرايـري ميوتـوال. نظـر تـراوت مـن فـوق مـا يقـرأ، فـرأى لوحـةً إعلانيَّـةً تقـول التـالي:



هكذا بات كهفُ المُعجِزَة المُقدَّسة جزءًا من الماضي.

* * *

في أرذل عمر تراوت، سيسأله الأمينُ العام للأمم المتحدة: د.ثور ليمبرج، إن كان يخاف من المستقبل، سيجيب:

"سيدي الأمين العام، إن الماضي هو ما يجعلني أرتجف هلعًا".

* * *

دواين هوفر كان على بُعدِ أربعة أميال فقط. يجلس وحيدًا على دِكَّةٍ يكسوها جِلدُ الحمار الوَحشيِّ في بار الهوليداي إنّ الجديد. ساد المكانَ الظُّلمَةُ والسُّكون. حجَبَت وَهَجَ وضجيجَ زِحامِ الطَّريق السريع سَتائِرُ قُرمزيَّةٌ مخمَليَّةٌ سَميكة. على كُلِّ مائِدَةٍ كان يوجد مصباحُ أعاصيرَ [فانوس]، داخِلَه شَمعَةٌ مُشتَعِلَة، رغم أن الهواء كان ساكِنًا.

وعلى كُلِّ مائِدَةٍ أيضًا كان يوجد وعاءٌ من السوداني الجافِّ المُحمَّص، ولافتة تسمح للعاملين برفض خدمة أيِّ شخص لا يُناسِبُ الجَوَّ العام للبار. هذا ما كانت تقول:



* * *

كان باني هوفر يعزف البيانو. لم يرفع رأسَه عندما دخل أبوه، وبالمِثل لم يُلقِ أبوه النَّظرَ ناحِيتَه. لم يتبادلا التَّحيَّةَ منذ سنوات عديدة.

تابع باني عزفَ بلوز الرَّجُل الأبيض، وتلك كانت موسيقى بطيئةً ذاتَ رنينٍ، تَتخلَّلها لحظاتُ صَمتٍ مُتقلِّبَة هنا وهناك. بلوز باني كانت تُشابِه في بعض سِماتها صُندوقَ موسيقى، صندوق موسيقى مُنهَكٍ. كانت تَرِنُّ، ثم تَسكُتُ، ثم على مَضَضٍ تَتمكَّن من التَّفوُّهِ ببعض الرَّنَّات الأخرى.

اعتادت أم باني على تجميع صناديق الموسيقى الرَّنَّانة، وأشياء أخرى.

* * *

اسمَعْ: فرانسين بيفكو كانت في وكالة دواين للسيارات المجاورة، تحاول اللحاقَ بِكُلِّ ما كان عليها القيام به من عَملٍ بعد الظهيرة. سيضربها دواين عمَّا قريب.

وكان الشخص الوحيد الآخر في الوكالة ذلك الوقت، بينما هي غارِقَة في المَلفَّات، هو السجين السابق واين هوبلر، الذي لا يزال يتلكَّأ بين السيارات المُستَعمَلَة. سيحاول دواين ضَربَه أيضًا، لكن واين كان عبقريًّا في تفادي الضربات.

كانت فرانسين آليَّةً تمامًا في تلك اللحظة، آلة مصنوعة من اللحم، آلة كتابة وترتيب ملفات.

في المقابل لم يجد واين هوبلر أيَّ شيء آليٍّ ليفعله. تاق ليُصبِحَ آلَةً مُفيدَة. السَّيَّارات المُستَعمَلة كلها تُغلَق بإحكام خلال الليل. من حين لحينٍ كانت المَراوِحُ الألومنيوم المُعلَّقَة بالأعلى بالأسلاك تدور بفعل النسيم العليل، وكان واين يستجيب لدورانهم بأفضل ما يستطيع، قائلًا لها: "هيَّا، دُوري، دُوري".

* * *

نشأت علاقةٌ من نوعٍ ما بينه وبين المرور على الطريق السريع؛ إذ صار يتأمَّل مِزاجَه المُتقلِّبَ. قال خلال ساعة ذُروَةِ الزِّحام: "الكلُّ في طريقه للبيت الآن". قال لاحقًا عندما خَفَّ الزحام: "الكلُّ في البيت الآن". وأخذت الشمس تنحدر في الأفق الآن.

قال واين هوبلر: "حتى الشمس تنزل". لم يملك أدنى فكرَةٍ أين يذهب بعد ذلك. افترَضَ، دون اهتمامٍ كبير، أنه قد يموت من البَقاء في العَراء هذه الليلة. لم يَرَ من قبل كيف يموت الناس من البقاء في العراء، لم يُهدِّده ذلك من قبل، بما أنه لم يكن في الخارج إلَّا نادرًا. عرف عن ذلك النوعِ من الموت لأنَّ الصوت الرقيقَ القادِمَ من الراديو الصغير في زنزانته، أخبره عن كيف يموت الناس من البقاء في العراء أحيانًا.

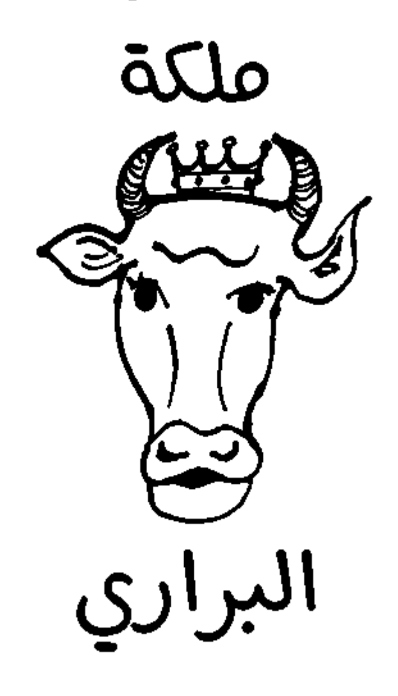
افتقد ذلك الصَّوتَ الرقيق، افتقد صَليلَ إغلاق الأبواب الفولاذية، افتقد الخُبزَ والحِساءَ وأباريق الحليب والقهوة، افتقد مُضاجَعَةَ الرِّجالِ الآخرين في مُؤخِّراتهم وأفواههم، ومُضاجَعَتَهم له في مُؤخِّرته وفَمِه، والاستمناء، ومُضاجَعَة البَقَر في مزرعة السجن، وهي كلُّ الأفعال الجنسيَّة العادِيَّة في حياة البشر بهذا الكوكب، بقَدرِ عِلمِه.

قد يكون ذلك شاهِدَ قَبرٍ مُناسبٍ لواين هوبلر عندما يموت:



* * *

أنتجَـت مَزرَعَـةُ السِّـجن اللَّـبنَ والزُّبـدَ والقِشـدَةَ والجُـبنَ والمُثَلَّجـات، ليـس فقـط للسـجن ومستشـفى المقاطعـة، بـل باعـت مُنتجاتِها في العـالم الخارجـي أيضًـا. لم تُذكَـر علامَتُهـا التِّجاريـة في السـجن، التـي كانـت كتلـك:



* * *

قُـدرة وايـن عـلى القـراءة كانـت مَحـدودَةً. كلمـة هـاواي، التـي ظهـرت برُفقَـةِ غَيرِهـا مـن الكلـمات والرمـوز المألوفـة عـلى اللافتـات والمُلصَقـات عـلى النوافـذ وعـلى الزجـاج الأمامـي لبعـض السـيارات المُستَعمَلَة، حـاول دوايـن فَـكَّ شَـفرَتِها الغامضـة بصـوتٍ مَسـموعٍ دون نتيجـةٍ مُرضِيَـةٍ. قـال: "واهيي...يـو" و"هـوو... هـي... وووواا...هـي"، ومـا إلى ذلـك.

* * *

ابتسـم وايـن هوبلـر، ليـس لأنـه سـعيدٌ، بـل لأنـه لم يَكُـن لديـه مـا يفعلـه؛ ففكَّـر أنـه قـد يتسـلَّى بإظهـار أسـنانه. كانـت لـه أسـنانٌ رائعـة. لَطالَـما تفاخَـرَت الهَيئَـةُ الإصلاحيَّـةُ للبالغـين في شـيبردزتاون ببرنامجهـا لطِـبِّ الأسـنان.

في الواقـع كان برنامجهـم لطـب الأسـنان شـهيرًا، إلى حَـدٍّ أنـه كُتِـب عنـه في الصُّحُـف الطِّبِّيَّـة وفي الريـدرز دايجسـت، والتـي كانـت أكـثرَ المَجـلَّات شـعبيَّةً عـلى الكوكـب المُحتَـضِر. النظريـة وراء البرنامـج هـي أن كثـيرِ مـن المدانـين السَّـابقين لا يسـتطيعون الحصـول عـلى وظيفـة بسـبب مَظهَرِهـم، والمظهـر الحَسَـنُ يبـدأ مـن الأسـنان الجيِّـدة.

كان البرنامـج شـهيرًا، إلى حَـدٍّ أنَّ الشرطـة في الولايـات القريبـة، عندمـا يعتقلـون شـخصًا فقـيرًا في أسـنانه حَشـواتٌ وتركيبـاتٌ فاخِـرَة، كانـوا عـلى الأرجـح يسـألونه: "حسـنًا يـا فتـى، كـم سَـنَةً قَضَيتَهـا في شـيبردزتاون؟".

* * *

سـمع وايـن هوبلـر بعضًـا مـن الطَّلبـات التـي نـادت بهـا النَّادِلَـةُ عـلى السـاقي في البـار. سَـمِعها تقـول: "هـات جيلبـي وكوينـي، مـع شريحـة ليمـون". لم يملـك أدنى فِكـرَةٍ عـن كُنـهِ ذلـك، أو عـن ماهِيَّـة المانهاتـن أو البرانـدي أليكسـاندر أو السـلو جـين فيتـز. نـادت النادِلـةُ: "أعطِنـي چـوني ووكـر روب روي، وسـاوزرن كومفـورت، وبلـودي مـاري مـع ڤـودكا".

خـبرة وايـن مـع الكحـول لم تتجـاوَز شُربَ سـوائِلِ التَّنظيـف وأكلِ لَمعَـةِ الأحذيـة ومـا إلى ذلـك. لم يكـن مولَعًـا بالكحـول.

* * *

سـمع وايـن النَّادِلَـةَ تقـول: "هـات بـلاك أنـد وايـت ومياهًـا"، وكان يجـب أن تَنتَصِـبُ أذنـاه جـرَّاءَ هـذا. ذلـك المـشروب بعينـه لم يَكُـن لأيِّ شـخصٍ عـادِيٍّ، كان للشـخص الـذي خَلَـقَ وايـن، وخَلَـقَ كُلَّ بُؤسِـه حتَّـى

تلـك اللَّحظـة، الشَّـخص الـذي يسـتطيعُ قَتلَـه أو جَعلَـه مليونـيرًا أو إرسـالَه إلى السِّـجن مُجـدَّدًا أو فِعـلَ أيِّ شيءٍ يَرغَبُـه فيـه. كان ذلـك المَشروبُ لي.

* * *

جِئـتُ إلى مهرجـان الفنـون مُتخفِّيًـا. كنـتُ هنـاك لأشـهد مُواجَهَـةَ شَـخصَيْن خَلقَتُهـم: دوايـن هوڤـر وكيلجـور تـراوت. لم أكُـن مُتحمِّسًـا ليتعرَّفَنـي أَحَدُهـم. أشـعَلَت النَّادِلَـةُ مصبـاحَ الأعاصـير عـلى مائِـدَتي، أطفَـأتُ اللَّهـبَ بقَرصَـةٍ مـن أصابعـي. كنـتُ قـد اشـتريتُ نَظَّـارَةَ شَـمسٍ مـن الهوليـداي إنّ خـارجَ مُقاطَعَـةِ أشـتابولا في أوهايـو، حيـث قَضيـتُ الليلـةَ الماضيـة. ارتدَيتُهـا في الظـلام. شَـكلُها كان كذلـك:



كانـت عَدسـاتُها مَطلِيَّـةً بالفِضَّـة، كانـت مِـرآةً لِأيِّ شَـخصٍ ينظـر ناحيتـي. أي شـخصٍ يرغـب في معرفـة كيـف تبـدو عينـاي، يجـد أمامـه عينَيْـه تنظـران إليـه بـدلًا مـن ذلـك. بينـما كان لِبَقيَّـةِ النـاس في البـار عيـونٌ، كان لـديَّ فَتحتـان إلى كَـونٍ آخـر، مَسـلَكان.

* * *

على المائدة كان هناك مشطُ كبريت بجوار علبة سجائري البول مول.

تلـك كانـت الرسـالة عـلى مشـط الكبريـت، والتـي قرأتهـا بعـد سـاعة ونصـف، حينـما كان دوايـن ينهـال عـلى فرانسـين بيفكـو ضربًـا:

"يُمكِنُكَ كسب 100 دولار كُلَّ أسبوعٍ في وقت فراغك، فقط بعَرضِ آخر موديلات أحذية ماسون المريحة على أصدقائك. الكل يختار أحذية ماسون لخصائصها المريحة. سنرسل لك أدواتِ كَسبِ النقود مجانًا حتى تستطيع إدارةَ عَملِكَ من البيت. سنُخبِرُكَ حتى كيف تربح حذاءً مَجّانًا عندما تجلب طلباتٍ مُربِحَةً كثيرة".

وما إلى ذلك.

* * *

قلتُ لنفسي من خلف مسالكي: "الكتاب الذي تكتبه شديدُ السُّوء".

قلتُ: "أعلم".

قلتُ: "أنتَ خائِفٌ من قَتلِ نَفسِكَ مثلما فعَلَت أُمُّكَ".

قلتُ: "أعلم".

* * *

في البار، وبينما كنتُ أُحدِّق في عالَمٍ اخترعته من خلف مسالكي، تَفوَّهتُ بتلك الكلمة: شيزوفرينيا.

لسنواتٍ عديدة، ظَلَّ صوتُ تلك الكلمة وشَكلُها يُبهِرانني. كان لها وَقْعُ وهَيئَةُ شَخصٍ يَعطسُ في عاصِفَةٍ من رقائق الصابون.

لم أعلم ولا أعلم يقينًا إن كنتُ مُصابًا بذاك المرض. ما أعلمه هو ذلك: لطالما أنهَكتُ نفسي بعدم حَصرِ انتباهي على تفاصيل الحياة وشيكة الأهمية، وبرفض الإيمان بما يؤمن به جيراني.

* * *

أنا أَفضَلُ حالًا الآن.

أُقسِمُ بِشَرَفي: أنا أفضل حالًا الآن.

* * *

لكنِّي كنتُ مريضًا فعلًا لبعض الوقت. جلستُ هناك، في بارٍ من اختراعي، وحدَّقتُ خلالَ مسالكي في نادِلَةِ المشروبات البيضاء التي اختَرعتُها. سَمَّيتُها بوني مكماهون. جَعَلتُها تجلب لدواين هوفر مَشروبَه المعتاد، والذي كان مارتيني هاوس أوف لوردز مع شريحَةِ لَيمون. كانت على معرفة قديمة بدواين. زَوجُها كان حارِسًا في جناح الانحراف الجنسيِّ في الهيئة الإصلاحية للبالغين في شيبردزتاون. كان على بوني أن تعمل نادِلةً لأن زوجها خَسِرَ كُلَّ أموالهم باستثمارها في مغسلة سيارات بشيبردزتاون.

نصحهم دواين ألَّا يَفعَلَا ذلك. تلك كانت الطريقة التي عرف دواين بها بوني وزوجَها رالف: كانا قد اشتريا منه تِسعَ سيَّارات بونتياك خلال السنوات السِّت عشرة الماضية.

اعتادا قول: "نحن أسرة بونتياك".

رَدَّدَت بوني مَزحَةً بينما قَدَّمَت له المارتيني. كانت تُكرِّر نَفسَ المَزحَة كُلَّما قَدَّمَت لأحدهم مارتيني. قالت: "إفطار الأبطال".

* * *

تعبير "إفطار الأبطال" هو علامَةٌ تِجاريَةٌ مُسجَّلَةٌ لشركة چنرال ميلز، تستخدمه لِمُنتَجِ حبوب إفطار. استخدامُ تعبيرٍ مُطابِق كعنوان لهذا الكتاب أو خلال صفحاته، لا يُقصَد به أيُّ ارتباطٍ أو رعاية من شركة چنرال ميلز، ولا يُقصَدُ به أيضًا الاستهانة بمُنتَجِهم الممتاز.

* * *

كان دوايـن يأمـل في مجـيء بعـض الـزُّوَّار المُمَيَّزيـن لمهرجـان الفنـون، الذيـن كانـوا جميعًـا يقيمـون في الهوليـداي إنّ، إلى البـار. أراد أن يتحـدَّث معهـم، وأن يكتشـف -إن اسـتطاع- إذا كان لديهـم أيُّ حقائـق عـن الحيـاة لم يسـمع بهـا مـن قبـل. هـذا مـا كان يتمنَّـى أن تفعلـه لـه تلـك الحقائـق الجديـدة: أن تسـمح لـه بالضَّحـك عـلى متاعبـه، ومتابعـة حياتـه، وإبقائـه بعيـدًا عـن الجنـاح الشـمالي مـن مستشـفى مقاطعـة ميدلانـد العـام، والـذي كان مُخصَّصًـا للمجانـين.

فيـما كان ينتظـر ظهـور فنَّـان، واسى نفسـه بالمُنتَـج الفَنِّـي الوحيـد الـذي يحفظـه في رأسـه، وينطـوي عـلى شيء مـن العُمـق والغمـوض. قصيـدة اضطـرَّ لحفظهـا صَـمًّا خـلال سَـنَتِه الثانيـة في مدرسـة شـوجر كريـك الثانويـة، مدرسـة للصَّفـوَة مـن البيـض وقتهـا. باتـت شـوجر كريـك الثانويـة الآن مَدرسـةَ زنـوجٍ.

تلك كانت القصيدة:

إنَّ إصبَعَ الدَّهرِ المُتحرِّكة كَتَبَت ولا تزالُ تَكتُب

وحُكمُها نافِذٌ حازِمٌ صارِمٌ

ليس في مَقدورِ أَحَدٍ أَن يَشطُبَ منه شَيئًا

ولا تُمْحى منه كلمة واحدة، ولو هَطَلَت دموعُ العالَمِ بِأَسرِها

شاعِرٌ ما[1]!

* * *

كان دوايـن مُنفَتِحًـا للاقتراحـات الجديـدة بخصـوص معنـى الحيـاة، لدرجَـةِ أنـه صـار قابِـلًا للتنويـم المغناطيـسي بسـهولة؛ لـذا، حينـما نظـر

(1) مِـن رُباعِيّـات عمـر الخيـام. الرُّباعِيَّـة المذكـورة مـن تعريـب الأديـب الفلسـطيني: نويـل عبـد الأحـد. [المترجـم]

إلى المارتيني، وقع فيما يُشبِهُ الغيبوبةَ عندما غمَزَت له عرائِسُ البحر الرّاقصة على سطح مشروبه. وتاهت العيون في قطرات زيتِ الليمون.

لم يلاحظ دواين دخولَ اثنين من زُوّار مهرجان الفنون المُمَيَّزين، وجلوسهم على كراسي المَشرَب عند بيانو باني. كانا أبيضَيْن. كانا بياتريس كيدسلر، الروائية القوطيّةَ، ورابو كارابكيان، الرَّسّامَ المينيمالي.

البيانو الذي يلعب عليه باني كان من نوع شتينواي بيبي جراند، كان مُصفَّحًا بفورمَيْكا بلون قَرعِ العسل، ومُحاطًا بالكراسي عديمة الظَّهر. بوسع الناس الأكلُ على البيانو. في عيد الشُّكر السابق، أكَلَت أُسرَةٌ من 11 فردًا عَشاءَها المُقدَّم لهم على البيانو، بينما ظَلَّ باني يعزف.

* * *

قال الرسام المينيمالي رابو كارابكيان: "لا بُدَّ أن هذه فتحةُ مُؤخِّرَةِ الكون".

الروائيَّة القوطية بياتريس كيدسلر كانت قد قَضَت طفولَتها في مدينة ميدلاند. قالت لكارابكيان: "كنتُ مَرعوبَةً من العودة بعد كل تلك السنوات".

قال كارابكيان: "يخاف الأمريكيون دومًا من العودة إلى البيت؛ لسببٍ وجيه إن سمحت لي بقول ذلك".

قالت بياتريس: "كان السبب وجيهًا، لكنه لم يَعُد كذلك. لم يَعُد الماضي مُؤلِمًا. أقول لأيِّ أمريكيٍّ هائم الآن "بالطَّبع تستطيع العودةَ إلى البيت، بقدر ما تريد؛ فالبيت مُجرَّدُ فُندقٍ الآن"".

* * *

توقَّف المرور تمامًا في الحارات المُتَّجِهَة غربًا على الطريق السريع، على بُعد ميلٍ من الهوليداي إنّ الجديد؛ بسبب حادثٍ مُميتٍ عند المَخرَج 10-أ. تَرجَّل السائقون والراكبون من سيَّاراتِهم، لِفَردِ أرجُلِهم، ولمحاولة معرفة ما الذي يُعيقُ الطَّريقَ في الأمام.

كان كيلجور تراوت بين مَن تَرجَّلوا. عرف من البعض أن الهوليداي إنّ الجديد يَبعُدُ مسافَةً يُمكن مَشيُها بسهولة؛ فجمع أشياءه من مقعد الجالاكسي الأمامي وشَكَرَ السائق، الذي نَسيَ اسمه، ومشى مُتثاقلًا.

وشرع داخل رأسه في تجميع إطار القناعات الملائم لمَهمَّته المحدودة في ميدلاند، وهي أن يُري مَحدودي الفِكرِ، أولئك الذين يُصرُّون على تمجيد الإبداع، مُبدعًا مُفتَرَضًا، فَشلَ حتى أتقن الفَشَل. توقَّف ليفحص نفسه في المرآة الخلفيَّة، المسلك الخلفي، لشاحِنَةٍ عالِقَةٍ في الزحام. جرَّار الشاحنة كان يسحب مقطورَتَيْن لا واحدة. تلك كانت الرسالة التي رأى مالِكُوها أنها مُناسِبَةٌ للصِّياح بها على الناس أينما حَلَّت شاحِنَتُهم:



صورة تراوت في المسلك كانت مُفزِعَةً مثلما أرادها أن تكون. لم يكن قد اغتسل منذ تَهَجُّم عصابة بلوتو عليه، كان على شَحمَةِ إحدى أُذُنَيْه دَمٌ مُتكَتِّلٌ، وعند فتحة أنفه اليسرى كذلك. وعلى كتف معطفه كان هناك بُرازُ كلب. كان قد وقع بين غائِطِ الكلاب في ملعب كُرَةِ اليَدِ تحت جسر كوينزبورو بعد السرقة.

ذلـك الغائـط، بصُدفَـةٍ لا يمكـن تَصديقُهـا، جـاء مـن كَلـبٍ سُـلوقيٍّ تَعيـس تمتلكـه فتـاةٌ أعرفهـا.

* * *

الفتـاة صاحبـة الكلـب السـلوقي كانـت مُسـاعِدَةَ مُخـرجِ إضـاءة في مسرحيـة موسـيقيّة كوميديـة عـن التاريـخ الأمريـكي، وكانـت تحتفـظ بكلبهـا البائـس، الـذي كان اسـمه لانـسر، في شَـقّةٍ مـن غرفـة واحـدة، عَرضُهـا أربـع عـشرة قدمًـا، وطولُهـا سِـتٌّ وعـشرون قَدَمًـا، وترتفـع عـن مسـتوى الشـارع سِـتُّ رحـلات عـلى السُّـلَّم. حياتـه كلهـا كانـت مُكرّسَـةً لتفريـغ فَضَلاتِـه في المكان والوقـت المناسِـبَيْن. كان هنـاك مكانـان مُناسِـبان لتفريغهـا: البالوعـة خـارج البـاب عـلى مسـافة اثنتـين وسـبعين خطـوةً إلى أسـفل، بينـما تَمـرُق السـيارات المـارَّةُ بجـواره، أو في الصينيـة التـي تضعهـا سَـيِّدَتُه أمـام الثلاجـة الوسـتنجهاوس.

كان مُـخُّ لانـسر صغـيرًا جـدًّا، لكـن لا شَـكَّ أنـه اشـتبه مـن وقـتٍ لآخـر، مثلـما فعـل وايـن هوبلـر، أن خَطَـأً شَـنيعًا مـا قـد حـدث.

* * *

تهـادى تـراوت مُتقدِّمًـا إلى الأمـام، غريبًـا في بلـد غريـب. عـادت عليـه رحلـة الحـجِّ هـذه بحِكمَـةٍ جديـدة، لم يكـن بالِغَهـا إن كان قـد ظَـلَّ في قَبـوِه بكوهـوس. عـرف الإجابـةَ عـلى سؤالٍ يسـأله بَـشَرٌ كثيرون لأنفسـهم بمنتهـى القلـق: "مـا الـذي يُعيـق المـرورَ في الحـارات المُتَّجِهَـة غربًـا عـلى امتـداد الطريـق السريـع في مدينـة ميدلانـد؟".

أدرك تـراوت كُلَّ شيء عندمـا رأى السـبب: شـاحنة لـبن تابِعَـة لملكـة الـبراري، مطروحـة عـلى جانبهـا، وتُعيـق سَريـانَ الطريـق. تلقَّـت ضربـةً عَنيفَـةً مـن شـيڤروليه كابريـس1971 مُتهـوِّرة. كانـت شـيڤروليه قـد قَفَـزَت مـن فـوق الحاجـز الفاصـل للطريـق. لم يَضَـع راكِبُهـا الأمامـي حـزامَ الأمان؛

فطار عبر الزُّجاج الأمامي غير القابل للكسر، وتَمَدَّد الآن مَيِّتًا على الحوض الخرساني الذي يحوي شوجر كريك. كان سائِقُها مَيِّتًا أيضًا، خَوْزَقَهُ عَمودُ عَجَلَةِ القيادة.

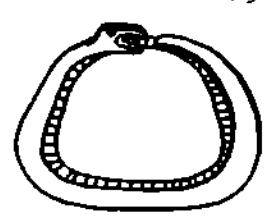
كان راكِبُ الشيڤروليه ينزِفُ الدِّماء فيما هو مَيِّتٌ على الأرض في شوجر كريك. وشاحِنَةُ الحليب تنزف اللبن. اللبن والدم على وشك أن يُصبِحَا جزءًا من كرات البنج-بونج النَّتِنَة التي كانت تتولَّد في أحشاء كهف المُعجِزَة المُقدَّسة.

19

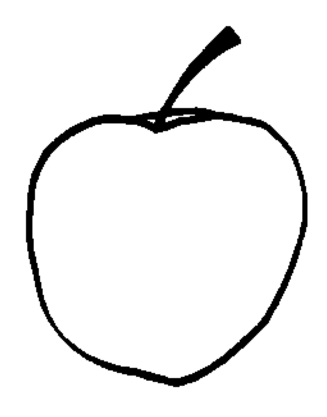
في ظُلمَـةِ البـار، كنـتُ علـى قَـدَمِ المسـاواة مـع خالـق الكـون. صَغَّـرتُ الكَـونَ حتـى صـار كُـرةً قُطرُهـا سَـنَةٌ ضَوئيَّـةٌ واحـدة بالضبـط. جعَلتُـه يَنفَجِـر. جَعَلتُـه يتناثـر مُجـدَّدًا.

اسـألْني سـؤالًا، أيَّ سُـؤالٍ. كـم عُمـر الكـون؟ نِصـفُ ثانيـة، لكـنَّ نِصـفَ الثانيـة تلـك اسـتمرَّت كوينتليـون سَـنَةٍ حتـى الآن. مَـن خَلَقَـه؟ لا أحـد. الكـون سَرمَـديٌّ.

ما الزَّمَن؟ إنه أفعى تلتَهِمُ ذَيلَها، مثل تلك:



تلـك هـي الأفعـى التـي توقَّفَـت عـن التهامهـا لِذَاتِها فـترةً طويلـة كفايـة لِتَعـرِض تُفَّاحَـةً عـلى حَـوَّاء، تفاحـة كتلـك:



ماذا كانت التُّفَّاحة التي أكَلَها آدَمُ وحَوَّاءُ؟ كانت خالِقَ الكَون.

وما إلى ذلك.

بوسع الرُّموز أن تكون جميلةً أحيانًا.

* * *

اسمَعْ:

جلَبَـت لي النَّادِلَـةُ مشروبًـا آخـر. أرادَت إشـعالَ مصبـاح الأعاصـير مُجـدَّدًا، لم أسـمح لهـا. سـألَتني: "هـل تسـتطيع رُؤيـةَ أيِّ شيء في الظَّـلام، بنظَّـارَةِ الشَّـمس تلـك؟".

قلتُ: "العَرضُ كُلُّه يدور في رأسي".

قالت: "أوه".

قلتُ: "أستطيع قراءة الطَّالع، أتريدين قِراءَةَ طالِعِكِ؟".

قالـت: "ليـس الآن". عـادت إلى البـار، وتبادَلَـت مـع السـاقي مُحادَثَـةً مـا عَنِّـي. ألقـى السـاقي عِـدَّةَ نَظَـراتٍ مُرتابَـةٍ تِجاهـي. كل مـا اسـتطاع

رؤيته كانت المسالِكَ الَّتي تُغطِّي عينيَّ. لم أقلق من احتمال أن يطلبَ مِنِّي مُغادَرَة المكان؛ فأنا مَن خلقه في النهاية. مَنَحتُه اسمًا: هارولد نيوكومب ويلبر. كافأتُه بنَجمَةٍ فِضِّيَّة، ونجمة برونزيَّة، وميداليَّة جُنديٍّ، وميدالية حُسن سير وسلوك، ووسام قلبٍ أُرجوانيٍّ مع أوراق البَلُّوط؛ ما جعله ثاني أكثر المحاربين القُدامى امتلاكًا للأوسمة في ميدلاند. وَضَعتُ كُلَّ ميدالياته في دُرجِ الأكواب تحت مناشفه.

فاز بكل تلك الميداليات في الحرب العالمية الثانية، والتي كانت عَرَضًا أقامته الروبوتات لتحفيز دواين هوفر على الاستجابة بإرادته الحُرَّة لأشياء مثل الهولوكوست. كانت الحرب مهرجانًا هائلًا لدرجة أنه لم يَكُن هناك روبوت في أيِّ مَكانٍ في العالم لم يلعب فيه دورًا إلَّا بالكاد. حصل هارولد نيوكومب ويلبر على تلك الميداليات لقَتلِه اليابانيين، الذين كانوا روبوتاتٍ صفراءَ وَقودُها الأُرز.

تابَعَ التَّحديقَ فيَّ، برغم أني أَرَدتُه أن يتوقَّف عن ذلك. تلك كانت سِمَةٌ في تَحكُّمي بالشخصيات التي خَلَقتُ: بوسعي فقط إرشاد تَحرُّكاتهم بالتقريب؛ فهم كانوا حيواناتٍ كَبيرةً. كان هناك قُصورٌ ذاتيٌّ يجب التَّغلُّب عليه. ليس الأمر وكأني مُتَّصِل بِهِم بأسلاكٍ حديدية، بل هو أقرب إلى أني مُتَّصِل بهم بأربِطَةٍ مَطَّاطِيَّة بالِيَة.

لذا، جعلتُ الهاتِفَ الأَخضرَ في آخر البار يَرِنُّ. أجاب هارولد نيوكومب ويلبر عليه، لكن ظلَّت عيونُه تَرمُقُني. كان عليَّ أن أُفكِّر بسرعة مَن الذي على الجانب الآخر من الهاتف. جعلته أكثرَ المحاربين القدامى امتلاكًا للأوسمة على الجانب الآخر. كان له عُضوٌ ذَكَريٌّ طُولُه مائة ميل، وقُطرُه مائتان وعشرة أميال، لكنه العُضوُ كله فعليًا كان في البُعدِ الرَّابع. حصل على ميدالياته في الحرب مع فيتنام. حارب هو أيضًا روبوتاتٍ صفراءَ وقودُها الأُرزُ.

قال هارولد نيوكومب ويلبر: "بار فندق الهوليداي إنّ".

"هال؟".

"مَن معي؟".

"أنا نيد لينجامون".

"أنا مشغول".

"لا تقفـل المُكالَمَـة. وضعتنـي الشُّرطَـةُ في سـجن المدينـة. لا يسـمحون لي إلّا بمُكالَمَـةٍ واحِـدَة، فاتَّصلـتُ بـكَ".

"لماذا أنا؟".

"أنتَ صديقي الوحيد المُتبقِّي".

"لِمَ قبضوا عليك؟".

"يقولون إني قَتلتُ ابنتي".

وما إلى ذلك.

ذاك الرجـل، الـذي كان أبيـضَ، حصـل عـلى كلِّ الميداليـات التـي حصـل عليهـا هارولـد نيوكومـب ويلـبر، بالإضافـة إلى أعـلى أوسِـمَةِ البطولـة التـي يُمكِـنُ أن يحصـل عليهـا جُنـديٌّ أمريـكيٌّ، والتـي تبـدو كتلـك:



وارتكـب أيضًـا أسـوأ الجرائـم التـي يمكـن أن يرتكبهـا أمريـكيٌ: قَتَـلَ طِفلَتَـه. اسـمُها كان سـينثيا أنّ، لم تَعِـش سـينثيا طويـلًا قبـل أن تعـود للمَـوتِ مُجـدَّدًا. قُتِلَـت لأنهـا كانـت تبـكي، تبـكي وتبـكي وتبـكي، لا تريـد أن تخـرس.

في البدايـة، دفعـت أمهـا ذات الأعـوام السـبعة عـشر للرحيـل بطلباتهـا التـي لا تنقطـع، والآن قتلهـا أبوهـا.

وما إلى ذلك.

* * *

أمَّـا بالنسـبة للطَّالـع الـذي كنـتُ لأقولـه للنادلـة، فـكان كذلـك: "سـيخدَعُكِ العاملـون بشركـة إبـادة الحـشرات، ولـن تُـدرِكي حتـى أنهـم يفعلـون. ستشـترين إطـاراتٍ شـعاعيَّةً ذات أحزِمَـةٍ فولاذيَّـةٍ للعَجَـلات الأماميـة لسـيَّارَتِكِ. سـتُقتَلُ قِطَّتُـكِ تحـت عجـلات درَّاجَـةٍ ناريَّـةٍ، سـائِقُها اسـمه هيـدلي تومـاس، وسـتحصلين عـلى قِطَّـةٍ أخـرى. أخـوكِ أرثـر في أطلانطـا، سـيجد 11 دولارًا في سـيارة أجـرة".

* * *

ربَّمـا كنـتُ لِأُخـبِرَ بـاني هوفـر بطالعـه أيضًـا: "سـيَمرَضُ أبـوك إلى درجـة بالغـة، رَدُّ فِعلِـكَ سـيكون شـاذًّا لدرجـة أنهـم سـيفكِّرون في وضعِـكَ في مستشـفى المجانـين أيضًـا. سـتنهار في مشـهَدٍ مَسرحـيٍّ بغرفـة الانتظـار في المستشـفى، وسـتخبر الأطبَّـاءَ والمُمرِّضـين أنَّـكَ سَـبَبُ مَـرضِ أبيـكَ. سـتلوم نفسـك عـلى محاوَلَتِـكَ قَتلَـه بِفَـرطِ الكراهيـة طيلـةَ سـنوات عديـدة. سـتُعيدُ تَوجيـهَ كراهيَتِـكَ إلى أُمِّـكَ".

وما إلى ذلك.

وجَعَلتْ وايـن هوبلـر، المُـدانَ الأسـودَ السـابق، يَقِـفُ مغمومًـا بـين صناديـق القمامـة خـارج البـاب الخلفـي للهوليـداي إنّ، ويتأمَّـل أوراق العُملَـةَ التـي أعطوهـا لـه عنـد بوابـة السـجن هـذا الصبـاح. لم يكـن هنـاك شيء آخـر ليفعلـه.

فحـص الهـرم والعـين المتوهِّجـة عـلى قِمَّتـه. تمنَّـى لـو كانـت لديـه معلومـات أكـثر عـن الهـرم والعـين. لا يـزال هنـاك الكثـير لِتَعَلُّمِـه!

لم يعـرف وايـن حتـى أن الأرض تـدور حـول الشـمس. حَسِـبَ الشَّـمسَ تـدور حـول الأرض؛ لأن هـذا مـا كانـت تبـدو عليـه.

أَزَّت شـاحِنَةٌ مارِقـةٌ عـلى الطريـق السريـع، بـدا الصـوت لوايـن كأنـين متألِّـمٍ؛ لأنـه قـرأ الرسـالة المكتوبـة عـلى جانـب الشـاحنة صوتيًّـا. هكـذا قالـت الرسـالة لوايـن: إن الشـاحنة تتوجَّـع، بينـما تنقـل الأشـياء مـن مـكان لآخـر. تلـك كانـت الرسـالة، وقرأهـا وايـن بصـوت مسـموعٍ:



* * *

هـذا مـا سـيحدث لوايـن بعـد حـوالي أربعـةِ أيَّـامٍ؛ لأني أردتُ أن يحـدث لـه ذلـك: سـتأخذه الشرطـة لاسـتجوابه؛ لأنـه كان يتـصرَّف بشـكلٍ مُريـبٍ بالقُـرب مـن المدخـل الخلفـي لباريـترون المَحـدودَة، والتـي كانـت مُنخَرِطَـةً في أبحـاثِ أَسلِحَةٍ سِرِّيَّـة للغايَـة. حَسِـبوه في البدايـة يَدَّعـي الغبـاءَ والجهل، وأنـه قـد يكـون في الواقـع جاسوسًـا حاذِقًـا يعمـل لصالـح الشـيوعيِّين.

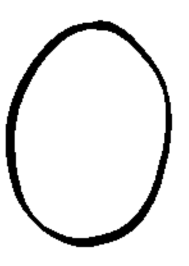
الكشـف عـلى بصـمات أصابعـه وأسـنانه الرائعـة أثبـت أنـه الشَّـخصُ الـذي يَدَّعيـه. لكـن لا يـزال هنـاك شيءٌ عليـه توضيحـه: مـاذا كان يفعـل ببطاقـة عضويَّـةِ نـادي بـلاي بـوي الأمريـكي تحمـل اسـم باولـو دي كابيسـترانو؟ كان قـد وجدهـا في حاويَـةِ قُمامَـةٍ وراء الهوليـداي إنّ.

وما إلى ذلك.

* * *

ثـم حـان وقـتُ أَنْ أَجعَـلَ رابـو كارابكيـان الرَّسَّـامَ المينيـمالي وبياتريـس كيدسـلر الرِّوائيَّـة، يفعـلان ويقـولان أشـياءَ أكـثرَ لأجـل هـذا الكتـاب. لم أرغـب في إفزاعهـم بالتَّحديـق فيهـم بينـما أُحـرّك خيوطهـم؛ فتظاهَـرتُ بالانشـغال في رَسـمِ صُـوَرٍ عـلى سـطح مائِـدَتي بأنامـلي الرَّطبـة.

رَسَمتُ الرَّمزَ الأرضيَّ للّا شيء، كان كذلك:



ثم رَسمتُ الرَّمزَ الأرضيَّ لِكلِّ شيء، كان كذلك:



عـرف كلٌّ مـن دوايـن هوڤـر ووايـن هوبلـر الرَّمـزَ الأوَّل، لكـن لم يَعرِفَـا الثـاني. ثـم رسـمتُ رمـزًا في الضبـاب المُتـلاشي، يألفـه دوايـن ويثـير فيـه المـرارة، لكـن لا يعنـي شيء لوايـن. كان كذلـك:

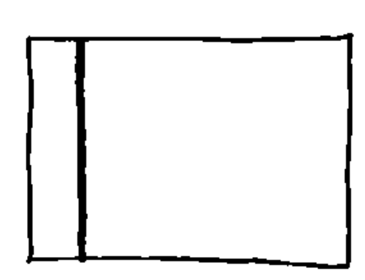
درانو

ثـم رَسَـمتُ رمـزًا عـرف دوايـن معنـاه لبضـعِ سـنواتٍ في المدرسـة، ثـم بـات المعنـى يُراوِغُـه بعدهـا. رَمـزٌ قـد يبـدو مثـلَ نهايـة مائِـدَةٍ في قاعـة الطعـام بالسـجن لوايـن. كان يُمثِّـل النسـبة بـين مُحيـطِ الدَّائِـرَة لِقُطرِهـا. يمكـن تمثيـلُ تلـك النسـبة برقم، وبينـما دواين ووايـن وكارابكيـان وبياتريس كيدسـلر والجميـع يتابعـون حياتهـم بشـكل عـاديٍّ، يبـثُّ عُلـماءُ الأرضِ ذلـك الرَّقـمَ إلى الفضـاء الخارجـي بإشـارةٍ رَتيبَـةٍ. الفكـرة هنـا هـي لـو كان عـلى الكواكـب الأخـرى سُـكَّانٌ، فرُبَّمـا يُدركـون إذا كانـوا يسـتمعون، إلى أيِّ مَـدًى نحـن أذكيـاء. فقـد عذَّبنـا الدوائـر حتـى اعترَفَـت بذلـك الرَّمـزِ الـذي يُفصِـحُ عـن أسرار حياتهـم:

π

* * *

ثـم رسـمتُ نُسـخَةً غـيرَ مَرئيَّـةٍ عـلى سـطح المائـدة الفورمَيْـكا مـن لوحـةٍ لرابـو كارابكيـان، عنوانهـا (إغـواءُ القِدِّيـس أنطونيـوس). نُسـخَتي كانـت تَصغـيرًا لِلَّوحَـةِ الحقيقيَّـة، وبـلا ألـوان، لكنِّـي تَمكَّنـتُ مـن القبـض عـلى شـكل اللوحـة، وروحهـا أيضًـا. هـذا مـا رسـمت:



اللوحـة الأصليـة كان عَرضُهـا عشريـن قدمًـا، وارتفاعُهـا سِـتَّ عـشرة قَدَمًـا. المسـاحة الخاويـة طُلِيَـت بأڤـوكادو هـاواي، وهـو طِـلاءُ حائـطٍ أخـضرُ تُنتِجُـه شركـة أوهـار للطـلاء والورنيـش في هيليرتـاون بولايـة بنسـلفانيا. الخَـطُّ الـرأسي كان شريطًـا عاكِسًـا برتقاليًّـا بِلَـونِ الجَـزَر. تلـك كانـت أغـلى قطعـة فنيـة، باسـتثناء المبـاني وشـواهد القبـور، وباسـتثناء تمثـال إبراهـام لينكولـن أمـام مدرسـة الزنـوج الثانويـة القديمـة.

ثمَـنُ تلـك اللوحـة كان فضيحـةً. كانـت أوَّلَ عَمَـلٍ يشـتريه مركـز ميلدريـد بـاري التـذكاريُّ للفنـون لمجموعتـه الدائمـة. فريـد تي. بـاري، رئيـس مجلـس إدارة باريـترون المحـدودة، دفـع مـن مالـه الخـاصِّ خمسـين ألـفَ دولارٍ مُقابِـلَ هـذه الصـورة.

احتدَمَ غَضَبُ أهلِ ميدلاند، وأنا كذلك.

* * *

وكـذا كانـت بياتريـس كيدسـلر، لكنهـا أَبقَـت سَـخطَها لنفسـها فيـما جلسـت عـلى مَـشرَبِ البيانـو مـع كارابكيـان. كارابكيـان، الـذي كان يرتـدي

سويت-شيرت مطبوعٌ عليه ما يُشبِه بيتهوفن، عرف أنه مُحاطٌ بأناسٍ يَكرهونه لحصوله على مالٍ كثير مُقابِلَ عَمَلٍ قليل. كان مُستَمتِعًا.

مثل كلِّ مَن في البار، كان يُطرِّي على مُخِّه بالكحول. تلك كانت مادَّةٌ تُنتِجُها كائِناتٌ دَقيقَةٌ تُسمَّى الخميرة. تأكل كائناتُ الخميرةِ السُّكَّرَ وتَتبرَّز الكحول. كانوا يقتلون أنفُسَهم بتدمير نِظامِهم الحيويِّ بخِراءِ الخميرة.

* * *

كتب كيلجور تراوت ذات مرَّةٍ قِصَّةً قصيرة عبارة عن حوارٍ بين قِطعَتَيْ خميرة. كانتا تتناقشان عن معاني الحياة المُحتَمَلَة بينما تأكلان السُّكَّر وتختنقان وسط فضلاتهما. وبسبب ذكائهما المحدود، لم تَقتَرِبا قَطُّ من تخمين أنهما كانتا تصنعان الشامبانيا.

* * *

هكذا جَعَلْتِ بياتريس كيدسلر تقول لرابو كارابكيان عند مشرب البيانو: "أودُّ الاعتراف بِشَيءٍ مُؤسِف، أنا لا أملك أدنى فِكرَةٍ عَمَّن هو القِدِّيسُ أنطونيوس. مَن كان؟ ولماذا قد يَوَدُّ أي شخص إغواءه؟".

قال كارابكيان: "لا أعرف، ولا أُحبُّ أن أعرف".

قالت بياتريس: "ألا تهمُّكَ الحقيقة؟".

قال كارابكيان: "أتعلمين ما الحقيقة؟ إنها شيءٌ أحمَقُ يُؤمِنُ به جاري. إنْ أَرَدتُ أنْ أُصادِقَه فسأذهب وأسأله عَمَّا يؤمن به، سيقول لي، فأجيبه "طبعًا طبعًا، تلك هي الحقيقة"".

* * *

لم أملِك أدنى قَدرٍ من الاحترام لأعمالهما الإبداعية، لا الرَّسَّام ولا الروائية. أعتقد أن كارابكيان، بلوحاته عَديمَةِ المعنى، قد اشترك

في مؤامَرَةٍ مـن نـوعٍ مـا مـع أصحـاب الملايـين، تهـدف لِجَعـلِ الفقـراء يشـعرون بالغبـاء. أعتقـد أن بياتريـس كيدسـلر قـد اتَّحـدَت مـع الحَكَّائـين القدامـى؛ لجعـل النـاس يعتقـدون أن في الحيـاة شـخصيَّاتٍ رئيسـيَّةً وشـخصياتٍ فَرعيَّـةً وتفاصيـلَ هامَّـةً وتفاصيـلَ غـيرَ هامَّـة، وأن بهـا دروسًـا يجـب تَعَلُّمُهـا، واختبـاراتٍ يجـب تجاوُزُهـا، وبدايَـةً ومُنتَصَفًـا ونهايـة.

وفيـما اقـترب عيـدُ ميـلادي الخمسـين، ازداد سـخطي سـخطًا وحـيرتي حـيرةً مـن قـرارات بنـي وطنـي الحمقـاء. ثـم صِرتُ فجـأةً أُشـفِقُ عليهـم؛ فقـد فَهِمـتُ أن جُـلَّ سُـلوكهم البغيـض وعواقبـه اللعينـة، يَصـدُرُ منهـم بشـكلٍ عَفـويٍّ فطـريٍّ: كانـوا يفعلـون مـا بوسـعهم ليعيشـوا حياتهـم مثـل الشـخصيَّات المتَخيَّلَـة في الكتـب. ذلـك كان سـببَ إطـلاق الأمريكيِّين النَّـارَ عـلى بعضهـم بهـذا المعـدَّل المتزايـد: فتلـك وسـيلة أدبيَّـةٌ مُناسِـبَة لإنهـاء القصـص القصـيرة والروايـات.

لمـاذا تُعامِـلُ الحُكومَـةُ كثـيرًا مـن الأمريكيـين وكأنَّ حياتَهـم بنفـس قيمـة المناديـل الورقيـة أحادِيَّـة الاسـتخدام؟ لأن تلـك هـي الطريقـة التـي يعامـل بهـا المؤلِّفـون عـادَةً الشَّـخصيَّاتِ الهامِشـيَّةَ في حكاياتهـم المتَخيَّلـة.

وما إلى ذلك.

مـا أن أدرَكـتُ مـا الـذي يجعـل أمريـكا وطنًـا تعيسًـا خطـيرًا، لا علاقـةَ لأهلِـه بالحيـاة الواقعيـة؛ حتـى عَزمـتُ عـلى وضـع الحَـكيِ جانبًـا. سـأكتب عـن الحيـاة. كلُّ شَـخصيَّةٍ سـتكون بـذات أهمِّيَّـة أي شـخصيَّةٍ أخـرى. وكل الحقائـق سـيكون لهـا ذات الثِّقَـل. لـن أُهمِـلَ شـيئًا. دَعْ الآخريـن يجلبـون النِّظـامَ إلى الفـوضى، سـأجلب أنـا الفـوضى إلى النظـام بـدلًا مـن ذلـك، وهـو مـا أظـنُّ أنِّي فَعَلـتُ.

لـو فعـل ذلـك الكُتَّـابُ كُلُّهـم، ربمـا حينهـا يفهـم سُـكَّانُ العـالم الواقعـي لا الأدبي أن في العـالم حولنـا لا يوجـد نظـام، أن علينـا التَّكَيُّـفَ بأنفسـنا عـلى مـا تَتطَلَّبُـه الفـوضى عِوَضًـا عـن ذلـك.

يَصعُبُ التَّكيُّفُ مع الفوضى، لكنَّه مُمكِنٌ. أنا دليلٌ حَيٌّ على ذلك: التَّكيُّف مع الفوضى مُمكِن.

* * *

مُتكَيِّفًا مع الفوضى في البار، جعلتُ بوني مكماهون، التي كانت بذاتِ أهمِّيَّةِ أيِّ فَردٍ آخر في الكون، تَجلِبُ مَزيدًا من فَضَلات الخميرة إلى بياتريس كيدسلر وكارابكيان. مشروب كارابكيان كان مارتيني بيف-إيتر جافًّا، مع شريحة ليمون، هكذا قالت له بوني: "إفطار الأبطال".

قال كارابكيان: "هذا ما قُلتِه عندما أحضَرتِ لي أوَّلَ مارتيني".

قالت بوني: "أقول ذلك كُلَّما أَحضَرتُ لأيِّ شَخصٍ مارتيني".

قال كارابكيان: "ألا تَتعَبين من ذلك؟ أو رُبَّما لهذا يبني النَّاسُ مُدُنًا في مثل تلك الأماكن النائية، ليكون بوسعهم تكرار النِّكاتِ نَفسَها مرَّةً تلوَ أخرى، حتى يتوقَّفَ مَلاكُ الموت في النهاية ليملأ أفواههم بالرماد؟".

قالت بوني: "أنا فقط أحاول إسعادَ الناس، إن كانت تِلكَ جَريمَةً، فأنا لم أسمع بها من قبل. سأتوقَّف عن قَولِها بدءًا من الآن، أستَسمِحُكَ العُذرَ، لم أقصد الإهانة".

بوني كَرِهَت كارابكيان، لكنَّها كانت لطيفةً معه مثل قطعة جاتوه. سياسَتُها كانت عَدَمَ إظهار غَضَبِها قَطُّ على أي شيء في البار. اعتمد الجانِبُ الأكبر من دخلها على البقشيش، والطريقة التي تحصل بها عليه كانت الابتسامَ والابتسامَ والابتسام، مهما كان الحال. كان لبوني هدفان فقط في حياتها الآن. سَعَت إلى استعادة الأموال التي خسرها زَوجُها في مغسلة السيارات في شيبردزتاون، وتاقت للحصول على إطاراتٍ شعاعيَّةٍ ذات أحزِمَة فولاذية للعجلات الأمامية لسيارتها.

كان زوجُها، في الآن ذاته، في البيت يُشاهِدُ لاعبي الجولف المُحترفين على التليفزيون، ويُحطِّم نفسه بفضلات الخميرة.

* * *

كان القِدِّيسُ أنطونيوس مِصريًّا، وبالصُّدفَةِ كان هو مَن أنشأ أوَّلَ ديرٍ في العالم. الدير هو مكان يستطيع الرجال فيه الحياةَ ببساطةٍ، والصلاةَ أغلبَ الوقت لخالق الكون، دون أن يُشَتِّتهم الطُّموحُ والجِنسُ وفَضلاتُ الخميرة. باع القِدِّيسُ أنطونيوس نفسه كُلَّ شيء عندما كان صغيرًا، واعتزل العالَمَ في البرِّيَّة وحيدًا لعشرين عامًا.

تعرَّض القديس أنطونيو طوال سنوات العُزلَةِ التامَّة لإغراءاتٍ مُتعدِّدَة، إذ تراءت له كثيرًا الأوقاتُ السعيدة التي كان ليحظى بها بصُحبَةِ الطعام والرجال والنساء والأطفال والأسواق، وما إلى ذلك.

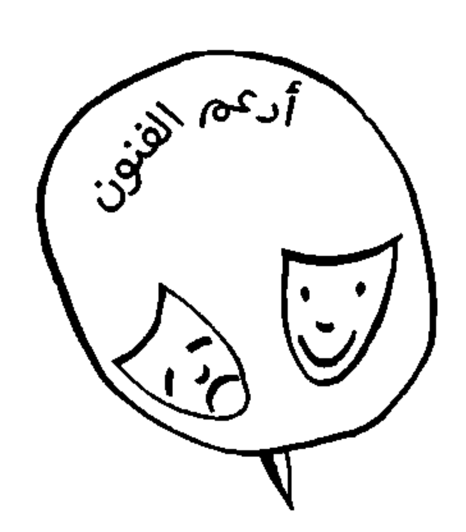
مؤرِّخُه كان مِصريًّا آخر: القِدِّيس أثناسيوس، والذي كانت نظريَّاته عن الثالوث والتَّجسُّد وألوهية الرُّوح القُدُس، الموضوعة بعد ثلاثمائة عامٍ من مَقتَلِ المسيح، لا تزال سارِيَةً في نظر الكاثوليكيِّين في زمن دواين هوفر.

في الواقع، سُمِّيَت المدرسة الكاثوليكية الثانوية بمدينة ميدلاند على شَرَف القِدِّيس أثناسيوس. كانت على اسم القِدِّيس كريستوفر أوَّلًا، لكن البابا، الذي يعتبر رأسَ الكنائس الكاثوليكية في كلِّ مكانٍ بالعالم، أعلن أن لم يَكُن هناك على الأرجح أيُّ قِدِّيس كريستوفر؛ لذا لا يجدر بالناس تشريفه بعد الآن.

* * *

خطا غاسِلُ الأواني الأسود خارجًا من مطبخ الفندق، لِيُدخِّن سيجارةَ بول مول ويتنفَّس بعض الهواء النقي. كان يرتدي "بادجًا" كبيرًا بدبُّوسٍ على تيشيرته الأبيض المنقوع في العَرَق، عليه التالي:

تناثَرَت في شَتَّى أنحاء الفندق أوعِيَةٌ مَليئَةٌ بدبابيسَ مُماثِلَةٍ، ليستطيع أيُّ شخصٍ أخذَ واحِدٍ منها، وهو ما فعله غاسِلُ الأواني بروحٍ خَفيفَة. لم يكن يعني كثيرًا بالأعمال الفنية، عدا الأشكال الرَّخيصة والبسيطة منها التي لم يُقصَد بها أن تدوم طويلًا. اسمه هو إيلدون روبينس، وكان له عُضوٌ طُوله تِسعُ بوصاتٍ، وقُطرُه بوصتان.



قضى إيلدون روبينس أيضًا وقتًا في الهيئة الإصلاحية للبالغين؛ لذا كان من السهل عليه التَّعرُّف على واين هوبلر بين حاويات القُمامة، كخرِّيج إصلاحيَّةٍ حَديثٍ. قال له بِرِقَّةٍ ومَحبَّةٍ يَشوبُها سخرية: "أهلًا بك في العالم الحقيقي يا شقيق. متى أكلتَ آخِرَ مَرَّة؟ هذا الصباح؟".

بخجَلٍ أكَّد واين هذا التَّساؤُلَ. فأخذه إيلدون عبر المطبخ إلى المائدة الطويلة حيث يأكل العامِلون بالمكان. كان هناك جهاز

تليفزيـون مُثبّـت في المؤخّـرة، يعـرض عـلى وايـن لقطـاتٍ لِقَطـعِ رأس مـاري ملكـة اسـكتلندا. كان الجميـع مُتأنّقـين، ووضعـت الملكـة مـاري رأسـها في المقصَلَـةِ بِنَفسِـها.

رتَّـب إيلـدون ليَحصُـلَ وايـن عـلى شريحـة لَحـمٍ وبطاطـس مهروسـة ومَـرَقٍ وأي شيء آخـر أراده مجّانًـا، كل ذلـك جَهَّـزه بقيَّـةُ العاملـين في المطبخ، الذيـن كانـوا جميعًـا رجـالًا سـودًا. وكان عـلى المائـدة وعـاءٌ مَليءٌ بدبابيـس مهرجـان الفنـون، إيلـدون جعـل وايـن يضـع واحـدًا قبـل أن يـأكل. قـال لـه بخطـورة: "البـسْ ذلـك طـوال الوقـت، ولـن يصيبـك أذًى".

* * *

أفصـح إيلـدون لوايـن عـن ثُقـبٍ في الحائـط، حفـره العاملـون بالمطبـخ ليتلَصَّصـوا عـلى البـار. قـال: "عندمـا تتعـب مـن مشـاهدة التليفزيـون، تسـتطيع الفُرجَـةَ عـلى حديقـة الحيوانـات".

نظـر إيلـدون بنفسـه عـبر الثُّقـبِ، وقـال لوايـن إنَّ هُنـاكَ رَجُلًا يجلـس عـلى مَشرَبِ البيانـو، حصـل عـلى خمسـين ألـف دولار مقابِـلَ لَصـقِ قِطعَـةِ شَريـطٍ لاصـقٍ أصفـرَ عـلى قطعـة قُمـاشٍ خضراء. أصرَّ عـلى أن يُلقـي وايـن نظـرةً جَيِّـدَةً عـلى كارابكيـان؛ فأطـاع وايـن.

أراد وايـن أن يُنحِّـي بَـصَرَه عـن ثُقـبِ التَّلصُّـص بعـد خمـس عـشرة ثانِيَـةً؛ لأنـه لم يملـك أيَّ خلفيَّـةٍ مـن المعلومـات التـي قـد تُمكِّنُـه مـن فَهـمِ أيِّ شَيءٍ يحـدث في البـار. الشـموع مثـلًا حَيَّرَتـه. ظـنَّ أن هنـاك عُطـلًا في الكهربـاء، وأن أحدهـم ذهـب لتغيـير الفيـوز. وأيضًـا، لم يعـرف بالضبـط كيـف يُكـوِّن رأيًـا عـن زِيِّ بـوني مكماهـون، والـذي كان عبـارةً عـن حـذاء رُعـاة بَقَـرٍ أبيـض طويـل الرَّقَبَـة، وجـوارب شَـبكيّة ذات أربطـة حمـراء تكشـف بوضـوح عـن مسـاحات عديـدة مـن الفَخِـذِ العاريـة، وبذلـةِ سِـباحَةٍ ضَيِّقـة مـن نـوعٍ مـا يُزيِّنُـه التِّرتـر اللامـع، ومُثبَّـت في مؤخِّرَتـه قطعـة مـن القطـن الـوردي.

وايـن كان يـرى بـوني مـن الخلـف؛ فلم يسـتطع رؤيـة نظّارتها السـميكة ثُمانِيَّـة الأضـلاع عديمـة الإطـار، وأنهـا امـرأة في الثانيـة والأربعين، ذات وجـه حصـان. ولم يسـتطع أيضًـا رؤيـة أنهـا كانـت تبتسـم وتبتسـم وتبتسـم مَهـمَا أهانَهـا كارابكيـان. لكنـه اسـتطاع قـراءةَ شِـفاهِ كارابكيـان. كان ماهِـرًا في قـراءة الشِّـفاه، مثـل أي شـخص قـضى وقتًـا في شـيبردزتاون. الصَّمـت في المَمـرَّات وخـلال تنـاوُل الطعـام كان مفروضًـا بالقـوة في شـيبردزتاون.

* * *

قـال كارابكيـان لبـوني، مشـيرًا لبياتريـس كيدسـلر بإيمـاءة مـن يَـدِه: "تلـك السـيدة البـارزة هنـا، هـي راوِيَـةُ حِكايـاتٍ شَـهيرةٌ، وابنـةٌ أصيلـة لهـذه البلـدة النائيـة. ربمـا بوسـعِكِ إخبارُهـا ببعـض القصـص الحديثـة عـن مَحـلِّ ميلادهـا".

قالت بوني: "لا أعرف أي قصص".

قـال كارابكيـان: "هيَّـا، لا شَـكَّ أنَّ كُلَّ شـخص في هـذه الغرفـة يسـتحقُّ روايـةً عظيمـةً تحـكي عنـه"، أشـار لدوايـن هوفـر، "مـا هـي قصـة حيـاة ذاك الرجـل؟".

مَنَعَـت بـوني نفسـها مـن ذِكـرِ أيِّ شيء عـن دوايـن عـدا كلبـه سـباركي، الـذي لا يسـتطيع هَـزَّ ذَيلِـه، "لـذا هـو مضطـرٌّ للعِـراكِ طـوال الوقـت".

قـال كارابكيـان: "رائـع"، واسـتدار لبياتريـس، "أنـا واثـق أنَّكِ تسـتطيعين اسـتخدام ذلـك في مـكان ما".

قالت بياتريس: "في الواقع أستطيع، تلك تفصيلة رائعة".

قـال كارابكيـان: "كلَّـما زادت التفاصيـل كان ذلـك أفضـلَ. حمـدًا للـه عـلى وجـود الرِّوائيِّين، حمـدًا للـه عـلى وجـود أنـاسٍ مُسـتعدِّين لكتابـة كل شيء، وإلا سـيضيع الكثـير في طـي النسـيان". ترجـى بـوني لتحـكي المزيـد مـن الحكايـات الحقيقيـة.

حـماس كارابكيـان أغـرى بـوني، وفكـرة أن بياتريـس كيدسـلر تحتـاج فعـلًا لقصـص حقيقيّـةٍ لِكُتُبِهـا مَلَأتها بالطاقـة. قالت: "حسـنًا، هـل تعتبران شـيبردزتاون جـزءًا مـن مدينـة ميدلانـد؟".

قـال كارابكيـان، الـذي لم يسـمع قَـطُّ عـن شـيبردزتاون: "بالطبـع، مـاذا كانـت مدينـة ميدلانـد لتصـير دون شـيبردزتاون؟ ومـاذا كانـت شـيبردزتاون لتصبـح دون مدينـة ميدلانـد؟".

فكَّـرَت بـوني أن رُبَّمـا لديهـا مـا يمكـن اعتبـاره قِصَّـةً جديـرة بالحـكي: "زوجـي حـارسٌ في الهيئـة الإصلاحيـة للبالغـين في شـيبردزتاون، اعتـاد عـلى البقـاء بصحبـة المنتظريـن دورهـم في الجلـوس عـلى المقعـد الكهـربي، وذلك كان مـن قَبـلُ، عندمـا كان النـاس يُعدَمـون بالكهربـاء طـوال الوقـت. كان يلعـب معهـم بالكـروت، أو يقـرأ لهـم مَقاطِـعَ مـن الإنجيـل بصـوتٍ مَسـموعٍ، أو أيًّـا كان مـا يريدونـه. وكان ذات مَـرَّةٍ في صُحبَـةِ رَجُـلٍ أبيـض اسـمه لـيروي چويـس".

بينـما تحدَّثَـت، صـدَرَت عـن زِيِّ بـوني لَمعَـةٌ باهِتَـةٌ غريبـة مُريبـة؛ ذلـك لأن رِداءهـا كان مُفعَـمًا بكيماويـات فلُورِسـنتيَّة. وكـذا كانـت سُـترَة السّـاقي، والأقنعـة الإفريقيـة عـلى الحوائـط. تَـبرُقُ تلـك الكيماويَّـاتُ مثـل لافِتَـةٍ كَهربِيَّـةٍ عندمـا تنعكـس عليهـا أضـواءُ الأشِـعَّة فـوق البنفسـجية القادمـة مـن السـقف. لم تكـن هـذه الأضـواء تعمـل قبـل قليـل، يُشـغِّلها السـاقي في أوقـات عشـوائية، عـلى حسـب مزاجـه؛ لتعطـي الزبائِـنَ إحساسًـا مُفاجِئًـا بالبهجـة والغمـوض.

الطاقـة التـي تُغـذِّي تلـك الأضـواءَ وكل مـا يعمـل بالكهربـاء في ميدلاند، كان مَصدَرُهـا، بالصُّدفَـة، الفَحـمَ القـادِمَ مـن المناجـم السَّـطحيَّة في غـرب ڤرچينيـا، التـي عبرهـا كيلجـور تـراوت قبـل سـاعاتٍ ليسـت بالكثـيرة.

* * *

تَباعـت بـوني: "كان لـيروي چويـس شـديدَ الحماقـة، إلى حَـدّ أنـه لم يسـتطع لعـب الكـروت، ولم يفهـم الإنجيـل، كان حتـى يتحـدَّث بصعوبـة. تنـاول عَشاءَه الأخـير، ثـم جلـس سـاكنًا. جريمتـه كانـت الاغتصابَ. هكـذا جلـس زوجـي في المَمـرّ خـارجَ الزنزانـة، وأخـذ يقـرأ لنفسـه. سـمع لـيروي يتحـرَّك في أرجـاء زنزانتـه، لكنـه لم يقلـق بشـأن ذلـك. ثـم خَبَـطَ لـيروي عـلى قضبـان زنزانتـه بكوبـه الصفيـح. حسـبَ زوجـي أن لـيروي أراد مزيـدًا مـن القهـوة؛ فنهـض وأخـذ الكـوب. ابتسـمَ لـيروي وكأنَّ كُلَّ شيءٍ عـلى مـا يُـرام، وكأنـه غـيرُ مُضطَـرٍّ للجلـوس عـلى الكـرسي الكهربـائي في النهايـة. كان لـيروي قـد قَطَـعَ شـيئَه ووضعـه في الكـوب الصفيـح".

* * *

هـذا الكتـاب خيـاليٌّ بالطَّبـع، لكـنَّ القِصَّـةَ التـي حَكَتهـا بـوني حَدَثَـت في الواقـع، في عنـبر المحكـوم عليهـم بالإعـدام بإصلاحيَّـة في أركنسـاس.

أمَّـا بالنسـبة لسـباركي كلـب دوايـن، الـذي لا يسـتطيع هَـزَّ ذَيلِـه: يعـود أصـل سـباركي إلى كَلْـبٍ يمتلكـه شـقيقي، مُضطَـرٍّ للعِـراكِ طـوال الوقـت؛ لأنـه لا يسـتطيع هَـزَّ ذَيلِـه. هنـاك كَلـبٌ مِثـل هـذا بالفعـل في الحقيقـة.

* * *

طلـب رابـو كارابكيـان مـن بـوني مكماهـون أن تُخـبِرَه عـن الفتـاة المُراهِقَـة الموجـودة عـلى غـلاف برنامـج مهرجـان الفنـون. تلـك كانـت الإنسـانة الوحيـدة في ميدلانـد المعروفـة عـلى مسـتوى العـالم: مـاري أليـس ميلـر، بطلـة العـالم في سـباحة الصَّـدر لمائتَـيْ مِـترٍ. كانـت في الخامسـة عـشرة بحَسـب مـا قالـت بـوني.



كانـت مـاري أليـس أيضًـا مَلِكَـةَ مهرجـان الفنـون. ظهـرت في غـلاف البرنامـج ترتـدي بذلـةَ سِـباحَةٍ بيضـاء، وحـول عنقهـا تتـدلَّى ميداليتُهـا الأوليمبيـة الذهبيـة. تبـدو الميداليـة كتلـك:



ابتسـمَت مـاري أليـس في الصـورة أمـامَ لوحـة القِدِّيـس سيباسـتيان للرَّسَّـام الإسـباني إل جريكـو. كان إليـوت روزوتـر، راعـي كيلجـور تـراوت، قـد أعارهـا للمهرجـان. القِدِّيـس سيباسـتيان كان جُنديًّـا رومانيًّـا عـاش قبـل مـاري أليـس ميلـر ووايـن ودوايـن وبقيَّتِنـا بسـبعمائة سـنة. تحـوَّل سِرًّا إلى المسـيحية حينـما كانـت ممنوعـة قانونًـا.

ثـم وشى أحدُهـم بـه. جعـل الإمبراطـور ديوكلتيانـوس الرُّمـاةَ يُمطِرونـه بالأَسـهُم. اللوحـة التـي ابتسـمت لهـا مـاري أليـس بسـعادة مُنقَطِعَـة النظـير، أظهَـرَت إنسـانًا مليئًـا بالأسـهم إلى حَـدِّ أنـه بـدا كالقُنفُـذ.

الـشيء الـذي لا يعرفـه أحـدٌ عـن القِدِّيـس سيباسـتيان تقريبًـا -بمـا أن الرَّسَّـامين أحبُّـوا رَشـقَه بأَسـهُمٍ كثـيرةٍ- أنـه نجـا مـن الحادثـة. بـل إنَّـه في الواقـع صـار بخـير.

صار يَهيمُ على وجهه في روما، يَمدَحُ المسيحيَّةَ، ويَشتُمُ الإمبراطور، حتى حُكِمَ عليه بالموت مَرَّةً ثانية. ضربوه بالعِصيّ حتى مات هذه المَرَّة.

وما إلى ذلك.

وأخبرت بوني مكماهون بياتريس وكارابكيان أن والد ماري أليس، الذي كان عضوًا في لجنة إطلاق السراح المشروط في شيبردزتاون، عَلَّم ماري أليس العَومَ منذ كان عمرها ثمانية أشهر، وأنه جعلها تسبح ما لا يَقِلُّ عن أربع ساعات في اليوم، كل يوم، منذ كانت في الثالثة.

فكَّر رابو كارابكيان في الأمر، ثم قال بصوتٍ مَسموعٍ حتى يستطيع الكثيرون سماعه: "أي نوع من الرجال ذلك الذي يُحوِّلُ ابنتَه إلى قارب بخاري؟".

* * *

والآن حانت الذُّروَةُ الرُّوحِيَّةُ لذلك الكتاب. فجأة، عند تلك النقطة، أَتَبدَّلُ، أنا المُؤلِّف، بفَضلِ ما فعَلتُه حتى الآن. لهذا السبب جِئتُ إلى ميدلاند: لأُولَدَ من جديد. بوضع تلك الكلمات على لسان رابو كارابكيان: "أيُّ نَوعٍ من الرِّجال ذلك الذي يُحوِّل ابنته إلى قاربٍ بُخاريٍّ؟"، أَعلَنَت الفوضى أن الوقتَ قد حان لولادة (أنا جديد).

ملحوظة صغيرة مثل تلك كان لها عواقِبُ عاصِفَةٌ؛ لأنَّ المصفوفة الرُّوحيَّة للبار في ذلك الوقت كانت فيما أُحِبُّ تَسميَتَه بحالَةِ ما قبل الزلزال. كانت هناك قُوًى هائِلَةٌ تفور في أرواحنا، لكنها لم تَكُن قادِرَةً على التأثير؛ لأن كُلًّا منها وازَنَت الأخرى في تَناغُمٍ دَقيقٍ.

لكنَّ سُقوطَ حَبَّةِ رَملٍ واحدة، أعطى لقُوَّةٍ أَفضليَّةً هائِلَةً على غيرها، وشَرَعَت القارَّاتُ الرُّوحيَّةُ في الخَبطِ والطَّحن.

إحـدى القـوى بالطَّبـع كانـت شـهوةَ المـال، تلـك التـي كانـت تُعشِّـش في قلـوب كثيريـن في ذلـك البـار. عرفـوا جميعًـا بمـا تَلقَّـى رابـو كاربكيـان ثمنًـا للَوحَتِـه، وأراد كُلٌّ منهـم خمسـين ألـف دولار أيضًـا. يمكـن أن يحظـى المـرءُ بكثيرٍ مـن الوقـت الطَّيِّـب بخمسـين ألـف دولار، أو هكـذا حسـبوا. لكـن كان عليهـم كَسـبُ المـال بالطريقـة الصَّعبـة، حفنـة دولارات في كُلِّ مَـرَّة. لم يكـن ذلـك مـن الإنصـاف.

ومـن القـوى العامِلَـة الأخـرى كانـت خَـوفَ هـؤلاء النـاس أنفسـهم من أن تصبـح حياتُهـم مـادَّةً للسُّـخرية، مـن أن تُصبِـحَ كامِـلُ مَدينَتِهـم مـادَّةً للسُّـخرية. والآن قـد حـدث الأسـوأ: مـاري أليـس ميلـر، الـشيء الوحيـد في المدينـة الـذي يُفـتَرَضُ بـه أن يكـون مُضـادًّا للسـخرية، قـد سَخِرَ منـه غريـبٌ عـن المدينـة بسـهولة.

ويجـب الأَخـذُ في الاعتبـار أني أيضًـا كنـت في حالَـةٍ مـا قبـل الزِّلـزال، بمـا أني مَـن كُنـتُ أولَـدُ مـن جديـد. لا أحـدَ غـيري في البـار كان يولَـدُ مـن جديـدٍ بحسـب معرفتـي. أمَّـا البقيـة، فقـد تَغـيَّر رأيُ بَعضِهـم عـن قيمـة الفـنِّ الحديـث.

فيـما يَخُصُّـي: فقـد وصَلـتُ للقناعـة أن لا شيءَ بخصـوصي أو بخصـوص أيِّ إنسـانٍ مُقـدَّسٌ، أننـا جميعًـا آلاتٌ، كُتِـبَ علينـا التَّصـادُم، والتَّصـادُم، والتَّصـادُم. وبِسَـعيِنا الدَّائِـم لإيجـاد شيء أفضـل نَفعَلُـه، صِرنـا مُولَعـين بالتَّصـادُم. أحيانًـا، أكتـب عـن التصـادُم جيِّـدًا، أي أني أصـير آلـةَ كِتابَـةٍ تَعمَـلُ جيِّـدًا، وأحيانًـا أكتـب سَـيِّئًا، أي أنِّي أصـير آلـةَ كتابَـةٍ سَـيِّئَة. لم أَحْـوِ في داخـلي أيَّ قداسَـةٍ أكـثرَ مـمَّا قـد تحـوي سـيَّارَةُ بونتيـاك أو فَـخُّ فِـئرانٍ أو خراطَـةُ حَديـد.

لم أتوقَّـع مـن رابـو كارابكيـان أن يُنقِـذَني. أنـا مَـن خَلقتُـه، وكان رأيـي فيـه أنـه تافِـهٌ ضَعيـفٌ قَمـيءٌ، وليـس فَنَّانًـا عـلى الإطـلاق. لكـن رابـو كارابكيـان هـو مَـن جعلنـي الكائِـنَ الأَرضيَّ المُطمَـئِنَّ الـذي أنـا عليـه اليـوم.

اسمَع:

قال لبوني مكماهون: "أي نوع من الرجال ذلك الذي يُحوِّلُ ابنتَه إلى قاربٍ بُخاريٍّ؟".

انفَجَرَت بوني مكماهون. تلك كانت أوَّلَ مرَّةٍ تنفجر فيها منذ جاءت لتعمل في البار. تحوَّل صَوتُها إلى ضوضاءَ مُزعِجَةٍ وعالية مثل تلك التي يُصدِرُها مِنشارٌ صِناعيٌّ يَقطَعُ القصدير المُجَلفَنَ. قالت: "فعلًا؟ فعلًا؟".

تجمَّد الجميع. تَوقَّف باني هوفر عن عزف البيانو. لم يرغب أيُّ شخص في أن تَفوتَه كلمة.

قالت: "لا تُعجِبُكَ ماري أليس ميلر؟ طيِّب، نحن لا تعجبنا لَوحَتُكَ. أنا رأيتُ لوحاتٍ أفضل بكثيرٍ رَسَمَها أطفالٌ في الخامسة من العمر".

انزلق كارابكيان عن مقعده على المَشرَبِ حتى يستطيع مُواجَهَةَ كُلِّ هؤلاء الأعداء المُصطفِّين أمامه. فاجأني بفِعلِه دون شَكٍّ. اعتَقَدتُ أنه سيتراجع إلى ملجأ الزيتون وكريز الماراشينو وحَلقات الليمون. لكنَّ وَقفَتَه كانت مَهيبَةً. قال بهدوء شديد: "اسمعوا، لقد قَرأتُ المقالة الافتتاحية في قَدْحِ لَوحَتي بجريدَتِكُم المُبجَّلَة، وقرأتُ كُلَّ كلمةٍ في رسائل الكراهية، التي كان بعضكم كريمًا كفايةً لإرسالها إليَّ في نيويورك".

أحرجَ ذلِكَ البَعضَ.

تابع كارابكيان: "لم تَكُن اللَّوحةُ مَوجودةً حتى صَنَعتُها. الآن، وقد صارت مَوجودَةً، لا شيءَ سَيُسعِدُني أكثر من أن يُنتِجَها مُجدَّدًا مرَّةً تلوَ أخرى، ويُحَسِّنَها أكثرَ وأكثرَ، كُلُّ أبناء الأعوام الخمس في مدينتكم. كم سأُحِبُّ أن يَجِدَ أبناؤكم، بِيُسرٍ ومُتعَةٍ، ما استغرق مِنِّي أعوامًا من الغَضَبِ عِدَّة لأَصِلَ إليه".

تابـع: "الآن، أُقسِـمُ لكـم بـشرفي، أن اللوحـة التـي تَملِكُهـا مَدينتُكـم تَعـرِضُ كُلَّ مـا لـه أهمِّيَـة في هـذه الحيـاة، دون أن تُهمِـلَ شـيئًا واحـدًا. إنهـا لَوحَـةٌ عـن وَعـيِ كُلِّ حيـوان، إنهـا الجَوهَـرُ اللا-مـادِّيُّ لـكل حيـوان، "الـذات" المُرسَـلُ إليهـا كُلُّ الرسـائل، إنهـا كُلُّ مـا هـو حَـيٌّ في كُلِّ مِنَّـا: في الفـأر وفي الغـزال وفي نادلـة البـار. إنهـا الثَّبـاتُ والنَّقـاء، في مُواجَهَـةِ كُلِّ مـا يصيبنـا مـن عَبَـثٍ ولا منطـق. صـورة مُقدَّسـة للقِدِّيـس أنطونيـوس وحـده، هـي شـعاعُ نـورٍ رأسيٌّ واحِـدٌ لا يَتَذبـذَبُ. لـو كان ثَمَّـةَ صُرصـورٌ بالقُـرب منـه، أو نادِلَـةُ بـارٍ؛ كانـت اللَّوحَـةُ سَـتَعرِضُ شُـعاعَيْ نُـورٍ. الوعـي هـو كل مـا هـو حَـيٌّ وكُلُّ مـا هـو مُقـدَّسٌ في أيٍّ منَّـا. كلُّ شيء عـداه فينـا ليـس إلَّا آلاتٍ مَيِّتَـة".

"سَـمِعتُ لِتـوِّي مـن نادلـة البـار هنـا، تلـك الشُّـعاعِ الـرَّأسيِّ مـن النـور، قِصَّـةً عـن زوجهـا وأحمـقَ مـا كان عـلى شَـفَا الإعـدامِ في شـيربردزتاون. لا بـأسَ، لِيَرسُـمَ طفـلٌ في الخامِسَـةِ تَفسـيرًا مُقدَّسًـا لذلـك اللقـاء. لِنَـدَعْ طِفـلًا في الخامسـة يُجـرِّدُه مـن الحَماقـة والقضبـان وانتظـار الكـرسيِّ الكهـربي وزِيِّ الحـارس ومُسـدَّس الحـارس ولحـم وعظـام الحـارس. مـا هـي اللوحـةُ الكاملـة التـي يسـتطيع أيُّ طِفـلٍ في الخامسـة رَسـمَها هنـا؟ شُـعاعَا نـورٍ لا يتذبذبـان".

ازدهـر الوجـهُ البَربـريُّ لرابـو كارابكيـان بالنَّشـوة. قـال: "يـا أهـلَ مدينة ميدلانـد، أنـا أُحيِّيكـم؛ فقـد باتـت مدينتُكـم بيتًـا لتُحفَـةٍ فَنِّيَّة".

بالصُّدفَـة، لم يبلـغ دوايـن هوفـر أيًّـا مـن ذلـك؛ فقـد كان لا يـزال مُنوَّمًـا مغناطيسـيًّا، تائهًـا في أعماقـه. كان يُفكِّـر في أصابـع الدهـر المُتحرِّكـة التـي تكتـب ولا تـزال تَكتـبُ، ومـا شـابَهَ. كانـت هنـاك خفافيـشُ في بُـرجِ أجراسـه، كان يَقَـعُ مـن مقعـده الهَـزَّاز، كانـت أضـواؤه مُضـاءَةً، لكـن لا أحَـدَ بالدَّاخـل.

20

بينما كانت حياتي تتجدَّد بكلمات رابو كارابكيان، وجد كيلجور تراوت نفسَه يَقفُ على حافَّة الطريق السريع، يُحدِّق في الهوليداي إنّ الجديد، الذي يَفصِلُه عنه شوجر كريك في حوضه الأسمنتيّ. لم تكن هناك كباري فوق الجدول. سيكون عليه أن يخوض.

هكذا جلس على الحاجز، خلع حِذاءَه وجَوربَه، شمَّر بنطاله حتى رُكبَتَيْه. ساقاه كانتا مُزَيَّنتَيْن بعروقٍ ونَدَباتٍ مُتعدِّدة، وكذا كانت ساقا أبي عندما كان شيخًا عجوزًا.

أعطيتُ كيلجور تراوت سيقانَ أبي، هديَّةً مني. ومَنَحتُه أقدامَ أبي أيضًا، التي كانت أقدامًا طويلة نحيفة حسَّاسة. كانت لازَوَرديَّة. كانت أقدامًا فنِّيَّة.

* * *

أنـزَلَ تـراوت أقدامَـهُ الفَنِّيَّـةَ في الحـوض الأسـمنتي الـذي يَمُـرُّ فيـه شـوجر كريـك. مـا أن فعـل، حتـى غَلَّفَـت قَدَمَيْـه مـادَّةٌ بلاسـتيكيَّةٌ شـفَّافة مـن عـلى سـطح الجـدول. عندمـا رفـع أحـد قَدَمَيْـه مـن الجـدول مُتفاجِئًـا، جَفَّـت المـادَّةُ البلاسـتيكية في الهـواء فـورًا، لتصبـح قَدَمُـه مَكسـوَّةً بحـذاء رفيـع مشـدود عـلى الجِلـد، يُشـبِه عَـرَقَ اللؤلـؤ. كـرَّر نفـس العمليـة مـع قدمـه الأخـرى.

مصـدر المـادَّة كان مصنَـعَ باريـترون. كانـت الشركـة تُصنِّـع نوعًـا جديـدًا مـن القنابـل المُضـادَّة للبَـشَر لصالـح القُـوَّات الجَوِّيَّـة. تُبعـثِرُ القُنبلـةُ كُرَيَّـاتٍ بلاسـتيكيَّةً عِوَضًـا عـن الكُرَيَّـات المَعدنيَّـة؛ لأن البلاسـتيك أرخـص. كان مـن المسـتحيل تحديـدُ مَوقِعهـا في أجسـاد المُصابـين بهـا مـن الأعـداء بـآلات الأشـعَّة السِّـينيَّة.

لم تَملـك باريـترون أدنى فكـرة عـن أنهـا ترمـي مُخلَّفاتهـا في شـوجر كريـك. كانـت قـد اسـتأجرت شركـة ماريتيمـو بـروزرز للمقـاولات، والتـي تُسَـيطِرُ عليهـا العصابـات، لتبنـي لهـا نظامًـا للتخلُّـص مـن المُخلَّفـات. عرفـوا أنهـا شركـة عصابـات، عـرف الـكُلُّ ذلـك. لكـن ماريتيمـو بـروزرز -عـادةً- أفضـل بَنَّائـين في المدينـة. فهـم -مَثَـلًا- مَـن بَنـوا بيـت دوايـن هوفـر، والـذي كان بيتًـا مَتينًـا.

لكنهـا بـين كل حـين وحـين كانـت تفعـل شـيئًا شـديدَ الإجـرام: نظـام باريـترون لتصريـف المُخَلَّفـات مثـالٌ عـلى ذلـك. كان باهِـظَ التَّكلفـة، وبـدا شـديدَ التَّعقيـد والإحـكام. لكنـه في الواقـع لم يكـن سـوى كَومَـةٍ مـن الخُـردَة المُتَّصِلَـة ببعضهـا بـكل الطـرق المُمكِنـة، تخفـي داخِلَهـا مَسـارًا مُسـتقيمًا عبـارة عـن ماسـورة مجـاري مسروقـة، تَصِلُ مباشَرةً بـين باريـترون وشـوجر كريـك.

ستَغضَبُ باريترون أشدَّ الغضب عندما تعرف كَمَّ التَّلوُّث الذي سَبَّبَته. على مدار تاريخها، كانت تحاول دومًا أن تكون مثالًا للشركة الوطنية الصالحة، مهما كان الثَّمن.

* * *

عبر تراوت الآن الجدول على ساقَيْ وقدَمَيْ أبي، وفيما هو يقطعه بخطواتٍ واسِعَة، أخذت تلك الزَّوائِدُ البلاستيكية تُشبِه أكثرَ وأكثر الأصداف البحرية. حمل مُتعلِّقاتِه وحذاءَه وجَورَبَه على رأسه، رغم أن الماء لم يَكَد يَصِلُ إلى رُكبَتَيْه.

عرف تراوت إلى أي مدى يبدو مَسْخَرة. توقَّع استقبالًا كريمًا، حلم بإحراج المهرجان حتى الموت. لقد قطع كلَّ تلك المسافة سعيًا إلى حفلَةٍ ماسوشيَّةٍ جَماعيَّة. أرادهم أن يُعامِلوه كما الصرصور.

* * *

كآلة، مَوقِفُه كان مُعقَّدًا وحزينًا ومُثيراً للضحك. لكنَّ الجُزءَ المُقدَّس منه، أي وعيه، ظلَّ شُعاعَ نورٍ لا يتذبذب.

وهذا الكتاب تكتبه آلَةٌ من اللحم بالتعاون مع آلَةٍ من الحديد والبلاستيك. هذا البلاستيك كان بالصُّدفَةِ ذا صِلَةِ قَرابَةٍ بالمادَّة اللزجة في شوجر كريك. وفي جوهر آلَةِ الكتابة اللَّحمِيَّة يَكمُن شَيءٌ مُقدَّس: شعاعُ نورٍ لا يتذبذب.

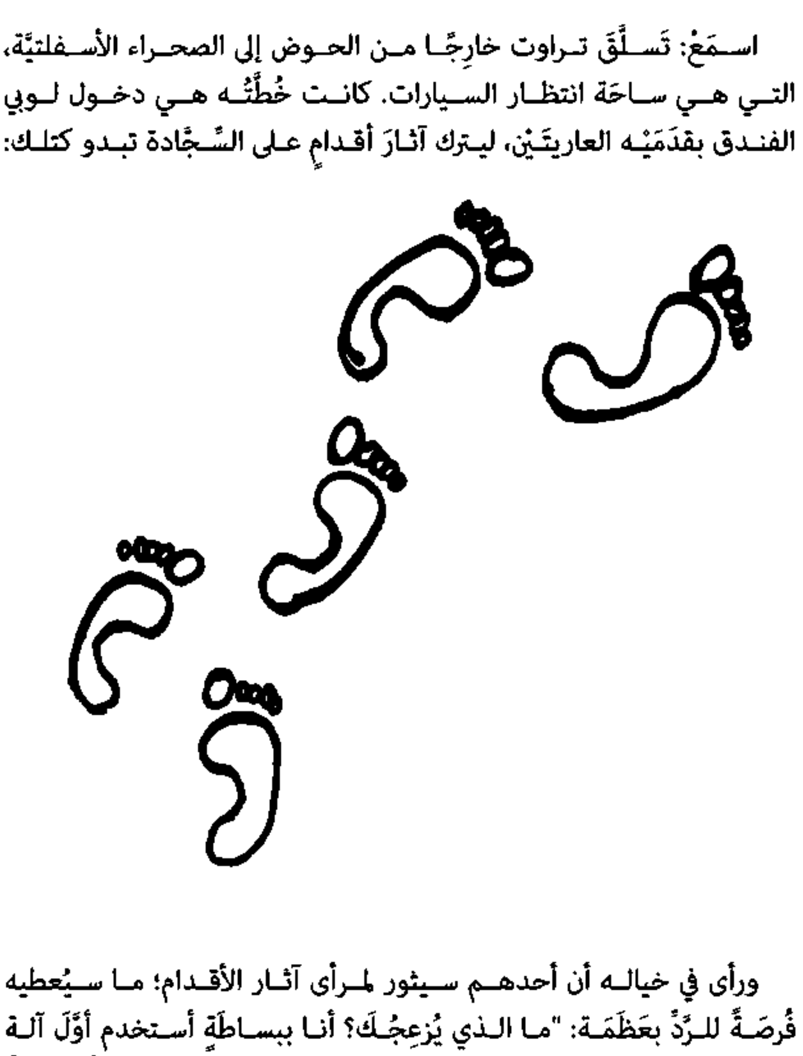
في جَوهَرِ كُلِّ شخصٍ يقرأ هذا الكتابَ شُعاعُ نورٍ لا يتذبذب.

رنَّ جَرَسُ شَقَّتي في نيويورك الآن. أعلم ماذا سأجد عندما أفتح الباب: شعاع نور لا يتذبذب.

بارَكَ الرَّبُّ في رابو كارابكيان!

* * *

اسـمَعْ: تَسـلَّقَ تـراوت خارِجًـا مـن الحـوض إلى الصحـراء الأسـفلتيَّة، التـي هـي سـاحَة انتظـار السـيارات. كانـت خُطَّتُـه هـي دخـول لـوبي الفنـدق بقدَمَيْـه العاريتَـيْن، ليـترك آثـارَ أقـدامٍ عـلى السَّـجَّادة تبـدو كتلـك:



ورأى في خيالـه أن أحدهـم سـيثور لمـرأى آثـار الأقـدام؛ مـا سـيُعطيه فُرصَـةً للـرَّدِّ بعَظَمَـة: "مـا الـذي يُزعِجُـكَ؟ أنـا ببسـاطَةٍ أسـتخدم أوَّلَ آلـة طباعـة عرفهـا الإنسـان. أنـت تقـرأ الآن بحـروفٍ عَريضَـةٍ رسـالةً كَونيَّـةً تقـول: "أنـا هنـا، أنـا هنـا، أنـا هنـا"".

* * *

لكـنَّ تـراوت لم يكـن آلـةَ طِباعَـةٍ مُتنقِّلـة. لم تَـترُك أقدامُـه آثـارًا عـلى السـجَّادة؛ لأنهـا كانـت مُغطَّـاةً بالبلاسـتيك، والبلاسـتيك كان جافًّـا. تلـك هــي البنيــة الجُزَيئيَّــة للبلاســتيك:

تُتابِـعُ الجُزَيئـاتُ تكـرارَ نفسـها بتلـك الطريقـة إلى مـا لا نهايـة، لتكـون لوحًـا متينًـا لا يَخـرُّ المـاء.

ذلـك الجـزيء كان هـو الوحـش ذاتـه الـذي هاجَمَـه التوأمـان أخـوة دوايـن غـير الأشـقَّاء: لايـل وكايـل، ببنادقهـم الخرطوشـيَّة الآليـة. ذلـك كان مـا يُدمِّـر كَهـفَ المُعجِـزَة المُقدَّسـة.

* * *

الرجـل الـذي عَلَّمنـي كيـف أرسـم مقطعًـا مـن البنيَـة الجُزَيئيَّـة للبلاسـتيك هـو بروفيسـور والـتر إتـش. سـتوكماير مـن كليـة دارتمـوث. عالِـمُ كيميـاء فيزيائيـة مميَّـز، وصديـق مُمتِـعٌ ومفيـد. لم أختَلِقْـه. أتمنَّـى لـو كنـتُ بروفيسـور والـتر إتـش. سـتوكماير؛ فهـو عـازِفُ بيانـو رائِـعٌ، ويتزَلَّـجُ بِخِفَّـة الحُلـم.

وعندمـا رسـم شَـكلًا مَعقـولًا للجُـزيء، أشـار إلى نقـاط بعينهـا حيـث سـيتابع البنـاءُ التِّكـرارَ. أشَرتُ أنـا إليهـا باختصـارٍ يعنـي التَّشـابُه بـلا نهايـة.

يبـدو لي أن النهايـة المناسـبة لأي قِصَّـة -بمـا أن الحيـاة باتـت الآن مُرَكَّبًـا "بوليمريًّـا" يُغلِّـف الأرضَ بإحـكام- يجـب أن تكـون الاختصـارَ ذاتَـه، الـذي أكتُبُـه الآن بحـروفٍ ضَخمَـةٍ كتِلـكَ؛ لأنِّي أريـد فِعـلَ ذلـك:



* * *

ومـن أجـل الاعـتراف باسـتمرارية هـذا البوليمـر، أبـدأ كثـيرًا مـن جُمَـلي بــ "و" و"هكـذا"، وأنهـي العديـدَ مـن الفقرات بــ "... ومـا إلى ذلك".

وما إلى ذلك.

قـال دوستويفسـكي: "إن الكـون أشـبه ببحـرٍ جَميـعُ أجزائِـه مُتَّصِلَـة"، وأنـا أقـول: إن الكـون أشـبَهُ بالسـيلوفان.

* * *

هكذا دخل تراوت لوبي الفندق كآلَةِ طِباعَةٍ بلا حبر، لكنه يبقى مع ذلك أكثرَ البشَرِ الذين دخلوا الفندق شُذوذًا.

في كل مكان حوله كان يوجد ما يسمِّيه بقيَّةُ الناس بالمرايا، ويسمِّيه هو بالمسالك. الحائط الذي يفصل بين اللوبي والبار كان مسلكًا كبيرًا، ارتفاعُه عَشرُ أقدام، وطوله ثلاثين قَدَمًا. على آلة بيع السجائر كان يوجد مَسلَكٌ آخر، وآخر على آلة بيع الحلوى. وعندما نظر تراوت عبرهم ليرى ماذا يحدث في الكون الآخر، رأى كائِنًا عجوزًا قذِرًا أحمرَ العَينَيْن، عاريَ القدَمَيْن، بنطاله مَرفوعٌ حتَّى رُكبَتَيْه.

وفيما صدف، الشخص الوحيد عداه في اللوبي وقتها كان موظَّفَ الاستقبال، الشاب الجميل ميلو ماريتيمو. ملابس ميلو وبشرته وعيناه كانوا بكُلِّ ألوان الزيتون المُمكِنَة. كان خِرِّيجًا لكلية كورنيل للفنادق، وكان الحفيدَ مِثليَّ الجِنس لجيليرمو "ليتل ويلي" ماريتيمو، الحارس الشَّخصيِّ لرَجُلِ عصابات شيكاغو الشهير آل كابون.

قدَّم تراوت نفسه لذلك الشاب نقيِّ السَّريرة، واقفًا أمام مكتبه بقدَمَيْن عاريَتَيْن مُتباعِدَتَيْن، وذراعَين مَفرودتَيْن. قال لميلو: "ها قد جاء رَجُل الثَّلج المعفَّن. لو كنتَ تراني أقَلَّ نَظافةً من أغلب رجال الثَّلج المعفَّنين؛ فذلك لأنهم خطفوني طفلًا من سهول جبل إفِرِست، وأخذوني عبدًا إلى ماخور في ريو دي چانيرو، حيث ظَلَلتُ أُنظِّف أقذر المراحيض طوال الأعوام الخمسة عشر المُنقَضِيَة. صرخ ذات مَرَّةٍ أحدُ زُوَّار غرفة الكرابيج عندنا، في مزيج من العذاب والنشوة، أن هناك مهرجانَ فنونٍ بمدينة ميدلاند. فهربتُ بِحَبلٍ من ملاءات سَلَّة الغسيل القذرة. وها قد جِئتُ إلى مدينة ميدلاند لتعترفوا بي، قبل أن أموت، كفنَّانٍ عظيم، مثلما أؤمن أني كذلك".

"مستر تراوت"، حَيَّا ميلو ماريتيمو تراوت بافتتانٍ جَليٍّ، قال بسعادة باهِرَة: "كنتُ لأعرفُكَ لو رأيتُكَ في أيِّ مكان، أهلًا بكَ في ميدلاند، كم نحن بحاجة إليك".

قال كيلجور تراوت: "كيف عرَفتَني؟". لم يعرف أحدٌ كيلجور تراوت من قبل قَطُّ.

قال ميلو: "لا يمكن أن تكون شخصًا آخر".

انكمش تراوت، انهزم. تدلَّت ذراعاه فبدا كطِفلٍ. قال: "لم يعرفني أحدٌ من قَبلُ قَطُّ".

قال ميلو: "أعرف ذلك، نحن مَن اكتشفناك، ونتمنَّى أن تكون مَن يكتَشِفُنا. لن تبقى مدينةُ ميدلاند بعد ذلك معروفةً كَموطِنِ ماري أليس ميلر، بَطلَةِ العالَمِ في سباحة الصدر لمائتَيْ مِتر، فقط. ستُصبِحُ كذلك أوَّلَ مَدينَةٍ تَعتَرِفُ بعَظَمَةِ كيلجور تراوت".

ابتعد تراوت عن مكتب الاستقبال وجلس على أريكَةٍ مُزَخرَفَةٍ إسبانيَّة الطراز. اللوبي كُلُّه كان على الطِّراز الإسباني، عدا آلات البيع.

قال ميلو عند هذه النقطة جُملَةً من برنامج تليفزيونيٍّ كان شائعًا قبل عِدَّة سنوات. لم يَعُد البرنامج يُعرَض الآن، لكن لا يزال أغلبُ النَّاس يتذكَّرون تلك الجملة. أغلب المُحادَثات في هذا البلد تتكوَّن من جُمَلٍ تليفزيونية، من برامِجَ حاليَّةٍ أو قديمةٍ على حَدٍّ سَواء. البرنامج الذي اقتبس منه ميلو الجُملَةَ كانوا يأتون فيه بشَخصٍ عجوز، عادةً ما يكون شهيرًا نوعًا، إلى ما تبدو وكأنها غُرفَة عاديَّةٌ، لكنها في الحقيقة منصَّةُ مَسرَحٍ، أمامها جمهورٌ، وتختبئ في أرجائها الكاميرات. ويختبئ في الأنحاء أيضًا أشخاصٌ عرفوا ذلك الشَّخصَ في الماضي، يخرجون لاحقًا ليَحكوا عنه الحكايات.

قال ميلو الآن لتراوت ما كان ليقوله المُشرِفُ على الطقوس لو كان تراوت في البرنامج والستائرُ تَرتَفِعُ أمامَه: "كيلجور تراوت، هذه هي حياتُكَ".

* * *

عدا أنه لم يكن هناك أيُّ جمهورٍ أو ستائر أو أي من ذلك. والحقيقة أن ميلو ماريتيمو كان الشَّخصَ الوحيدَ في ميدلاند الذي يعرف أيَّ شَيءٍ عن كيلجور تراوت. اعتقادُه أن الطَّبقَةَ الرَّاقيةَ في مدينة ميدلاند تشعر بنفس حَماسِه حِيالَ أَعمالِ تراوت كان تفاؤلًا زائِدًا عن الحَدِّ.

"نحن جاهزون للنهضة يا مستر تراوت، وأنت ليوناردو نَهضَتِنا".

قال تراوت مذهولًا: "كيف استطعتَ أن تَسمَعَ عَنِّي؟".

قال ميلو: "إبَّانَ تَحضيري لنهضة ميدلاند، جَعلتُ شُغلي الشَّاغِلَ قراءةَ كلِّ ما كتبه الفنَّانون القادِمون إلينا، وكُلِّ ما كُتِبَ عنهم".

اعترض تراوت: "لا يوجد شيءٌ لي أو عنِّي في أي مكان".

جاء ميلو من خلف مكتبه، وحمل معه ما بدا وكأنَّه كُرَةُ بيسبول قديمة غير مُتجانِسَة، ملفوفة بكلِّ أنواع الأشرِطَة اللاصِقَة. قال: "عندما لم أستَطِع إيجاد أيِّ شَيءٍ عَنكَ؛ كتبتُ إلى إليوت روزوتر، الرَّجُلُ الذي قال إن علينا إحضارَكَ إلى هنا. لديه مجموعَتُه الخاصَّةُ من أعمالِكَ يا مستر تراوت، 41 رواية و36 قصة قصيرة. سمح لي بقراءَتِهم كُلِّهم". ثم رفع الشيء الذي يبدو ككُرَةِ بيسبول، الذي كان في الواقع أحدَ كُتُبِ مَجموعَة روزوتر. استخدام روزوتر لمكتبته من الخيال العلمي كان مُهلِكًا. قال: "ذاك هو الكتاب الوحيد الذي لم أُنهِهِ بَعدُ، وسأفعل قبل شروق شمس الغد".

* * *

الروايـة المقصـودة، بالصُّدفَـة، كانـت (الأرنبـة الذَّكيَّـة). شـخصيَّتُها الرئيسـية كانـت أرنَبَـةً وَحشـيَّةً، تعيـش مثـل باقـي الأرانـب الوحشـية، لكنهـا عبقريـة مثـل ألـبرت أينشـتين أو ويليـام شكسـبير. كانـت البَطلـةَ الأُنثـى الوحيـدةَ في كلِّ روايـات وقصـص كيلجـور تـراوت.

مضـت في حياتهـا مثـل الأرانـب العاديـة، برغـم عَبقريَّتِهـا المُذهِلَـة. اسـتنتَجَت أن مُخَّهـا بـلا فائـدة، وأنـه وَرَمٌ مـن نـوعٍ مـا، وأنـه بـلا شَـكٍّ لا اسـتخدامَ لـه في نظـام حيـاة الأرانـب.

هكـذا ذهبـت تَنـطُّ، هوبًـا، هُوبًـا، إلى المدينـة؛ لتسـتأصِلَ الـورم. لكـنَّ صَيَّـادًا يُدعَـى دَدْلي فـارو أطلـق عليهـا النَّـارَ وقَتَلَهـا قبـل أن تَصِـلَ إلى وجهَتِهـا. سَـلَخَها فـارو وانتـزع أحشـاءَها، لكـنْ بَعدَهـا قَـرَّرَ وزوجتـه جريـس أن مـن الأفضـل ألَّا يأكلاهـا؛ لأنَّ رأسـها أكـبرُ بكثـير مـن العـادي. اعتَقَـدَا -مثلـما اعتقَـدَت هـي عندمـا كانـت حَيَّـةً- أنهـا عـلى الأرجـح مريضـة.

وما إلى ذلك.

* * *

كان عـلى تـراوت التغيـير إلى طقـم الملابـس الوحيـد الآخَـرِ لَدَيـه، بذلـة سَـهرَةَ المدرسـة الثانويـة والقميـص الجديـد وباقـي الأشـياء، عـلى الفـور. الجُـزء السُّـفليُّ مـن بنطالـه المُشـمَّر صـار مُشـبعًا بالمـادة البلاسـتيكية مـن الجـدول؛ فلـم يَعُـد بوسـعه فَـردُه مُجَـدَّدًا. بـات مُتَيَبِّسًـا كغطـاء مَـصرفِ المجـاري.

هكـذا اصطحبـه ميلـو ماريتيمـو إلى جناحـه، والـذي كان غُرفَتَـيْ فُنـدقٍ عاديَّتَـيْنِ بينهـما بـابٌ مفتـوح. كان لـتراوت ولِـكُلِّ الـزُّوَّار المُميَّزيـن جَنـاحٌ فيـه جهـازا تليفزيـون مُلَوَّنَـان، وحَوضَـا اسـتحمام، وأربـع أَسِرَّة مُزدَوَجـة مُـزوَّدَة بأصابِـعَ سِـحريَّةٍ. الأصابـع السِّـحريَّة هـي هَـزَّازاتٌ كهربائيَّـةٌ مُثبَّتـة

في زُنبُرك المَرتَبة. إنْ وضَعَ الضيف عُملَةَ رُبع دولار في صندوق صغير على المائدة بجواره؛ سَتُهَزهِزُ الأصابِعُ السِّحريَّة السرير.

في غرفة تراوت كان يوجد كَمٌّ من الزهور يكفي لجِنازَةِ رَجُلِ عصاباتٍ كاثوليكيٍّ. كانت الزهور من فريد تي. باري، رئيس مهرجان الفنون، ومن اتحاد النَّوادي النسائية في مدينة ميدلاند، ومن الغرفة التجارية، وما إلى ذلك.

قرأ تراوت الكروتَ التي جاءت مع الورود، وعَلَّق: "يبدو أن هذه المدينة تَقِفُ في ظهر الفنون بشِدَّة بلا شَكٍّ".

أغلق ميلو عيونَه الزَّيتونِيَّةَ، قال كَمَن يَستَعذِبُ الألَم: "حان الوقت يا مستر تراوت. يا ربي، كم كُنَّا مُشتاقين طوال الوقت، دون حتى أن نعلَمَ إلى ماذا نتوق بالضَّبط". لم يكن الشابُّ الصَّغيرُ سَليلًا لعُتاةِ الإجرام فقط، بل كان ذا قَرابَةٍ وثيقَةٍ بمُجرمين نَشِطين في ميدلاند الآن. أصحاب شركة ماريتيمو بروزرز للمقاولات -مَثَلًا- كانوا أعمامَه. جينيو ماريتيمو، ابن عمِّ أبيه، كان مَلِكَ مُخدِّرات المدينة.

* * *

في جناح تراوت تابَعَ ميلو اللطيف: "يااااه يا مستر تراوت، عَلِّمنا الغِناءَ والرَّقصَ والضَّحِك والبكاء. لَكَم حاوَلنا أن نحيا بالمالِ والجِنس والجَسَدِ والعقارات وكُرَةِ القَدَم وكُرة السَّلَّة والسَّيَّارات والتليفزيون والكحول، وبنشارة الخشب وفتافيت الزُّجاج!".

قال تراوت بقَرَفٍ: "افتحْ عَينَيْكَ! هل أبدو لك كراقِصٍ؟ كمُغَنٍّ؟ كرَجُلٍ سعيد؟". صار الآن يرتدي بذلتَه. كانت كبيرةً جدًّا عليه. فقد الكثير من وزنه منذ المدرسة الثانوية. امتلأت جيوبُه بِكُراتِ النَّفتالين، وتدلَّت مثل حقيبة سَرجِ الحصان.

قـال تـراوت: "افتـحْ عَينَيْـكَ! هـل سـيبدو رَجُـلٌ تَغـذَّى عـلى الجـمال مِثلَـما أبـدو؟ أتقـول إنَّ لا شيءَ عِندَكـم إلَّا الخـراب واليـأس؟ لم أجلـب لكـم إلَّا المزيـد".

قـال ميلـو بـدفء: "عينـاي مَفتوحتـان، وأرى بالضَّبـط مـا توقَّعـتُ رُؤيَتَـه. أرى رَجُـلًا جُرحُـه عميـقٌ؛ لأنـه جَـرُؤَ عـلى عبـور نـيران الحقيقـة إلى الجانـب الآخـر، الجانـب الـذي لم يَـرَه أَحـدٌ قَـطُّ. ثـم عـاد مـن جديـد، ليخبرنـا عـمَّا هنـاك".

* * *

وجلسـت هنـاك، في الهوليـداي إنّ الجديـد، وجَعَلتُـه يختفـي، ثـم يَظهَرُ مُجـدَّدًا، ثـم يختفـي، ثـم يظهـر مُجـدَّدًا. في الواقـع لم يكـن هنـاك شيء إلَّا حقـلٌ واسِـعٌ مَفتـوح.

زَرَعَه فَلَاحٌ بالذُّرَة.

فكَّـرتُ، حـان وقـتُ لقـاء تـراوت بدوايـن هوفـر، وقـت إصابـة دوايـن بالسُّـعار.

عرفـتُ كيـف سـينتهي هـذا الكتـاب. سـيُؤذي دوايـن الكثـيرَ مـن النـاس.

سيقضم عُقلَةً من إصبَعِ سَبَّابَةِ كيلجور تراوت الأيمن.

ثـمَّ عندهـا سـيخرج تـراوت -بعـد تَضميـدِ جُرحِـه- إلى مدينـةٍ لا يعرفهـا. هنـاك سـيُقابِلُ خالِقَـه، الـذي سـيشرح لـه كُلَّ شيء.



21

دخـل كيلجـور تـراوت البـارَ. أقدامُـه كانـت سـاخِنَةً وكأنها تحـترق. لم تكـن مُحاطَـةً بالحِـذاء والجـوارب فقـط، لكـن بالبلاسـتيك الشَّـفَّاف أيضًـا. لم تستَطِعْ التَّعَـرُّق، لم تَستَطِع التَّنَفُّـس.

لم يَـرَهُ رابـو كارابكيـان ولا بياتريـس كيدسـلر يدخـل، كانـا في مكانِهـما عـلى مـشرب البيانـو، يحيـط بهـما أصدقـاء مُعجَبـون جُـدُد. تلقَّـى خطـاب كارابكيـان مـن الحاضريـن قبـولًا حَسَـنًا. وافـق الجميـعُ عـلى أن ميدلانـد باتـت تمتَلِـكُ واحِـدَةً مـن أعظـم لوحـات العـالم.

قالت بوني مكماهون: "الآن فَهِمتُ. كان عليك فقط أن تشرح لنا".

قـال كارلـو ماريتيمـو البَنَّـاء: "لم أكـن أَظُـنُّ أن هنـاك حاجَـةً للـشَّرح، لكـن، سـبحان اللـه، كانـت هنـاك أَمَـسُّ الحاجَـة".

آبي كوهـين الجواهرجـي، قـال لكارابكيـان: "لـو جعـل الفنانـون مـن شرح أعمالهـم عـادَةً؛ لأَحَـبَّ النـاس الفَـنَّ أكـثر. أَتُـدرِكُ ذلـك؟".

وما إلى ذلك.

كان تـراوت متوتـّرًا. حَسِـبَ أن كثـيرًا مـن النـاس سـيتلَقّونَه بنفـس حـماس ميلـو ماريتيمـو المُفـرِط، ولم يكـن لديـه أدنى خِـبرَةٍ مـع أيِّ احتفـاءٍ مُشـابِه. لكـنَّ أحـدًا لم يعـترض طريقـه. عـاد مجهـولًا مثلـما كان دومًـا. اختـار مائـدةً بالقُـرب مـن دوايـن هوفـر ومنّـي، وجلـس عليهـا. كل مـا اسـتطاع رؤيتـه منّـي، كان انعـكاسَ لَهَـبِ الشُّـموعِ عـلى مـرآة نظّـارتي، مَسـلَكي.

كان دوايـن هوفـر لا يـزال غائبًـا بذهنـه عـمَّا يحـدث في البـار. جلـس مثـل كُتلَـةٍ مُخـاطٍ، يُحـدِّق في شيء مـا فيَّ، لا هـو هنـا، ولا الآن.

حرَّك دوايـن شَـفَتَيْه فيـما جلـس تـراوت، كان يقـول شيئًا بـلا صَـوتٍ، ولم يَكُـن لـه أي علاقـة بـتراوت أو بي: "وداعًـا أيهـا الاثنـين الأزرق".

* * *

كان مـع تـراوت مظـروفٌ مـن الكرتـون أعطـاه لـه ميلـو ماريتيمـو. احتـوى المظـروف عـلى برنامـج مهرجـان الفنـون، وخطـابِ تَرحيـبٍ بـه مـن فريـد تي. بـاري رئيـس المهرجـان، وجـدولٍ زَمَنـيٍّ بمُناسـبات الأسـبوع المقبـل، وأشـياء أخـرى.

حمـل تـراوت أيضًـا نُسـخةً مـن روايتـه (الآن بوسـعي أن أقـول). ذلـك كان كتـاب (القَنـادِس المفتوحـة عـلى مصراعيهـا)، الـذي سـيأخذه دوايـن عـمًا قريـب بجدِّيَـة.

هكـذا صـار ثلاثَتُنـا هنـاك. بـات مـن المُمكِـن أن يحيـط بنـا، أنـا وتراوت ودوايـن، مثَلَّـث مُتسـاوي الأضلاع، طـول ضلعـه حـوالي اثنتا عـشرة قَدَمًا.

كأشِـعَّة نـورٍ لا تتذبـذب، كُنَّـا مُنفَصِلـين، نتَّسِـمُ بالبسـاطة والجَـمال. كآلاتٍ، كُنَّـا أكياسًـا مُترهِّلَـةً مـن المواسـير والكابـلات القديمـة، مفصَّلاتُنـا صَدِئَـة ودُعاماتنـا واهِيَـة، ومـدى ترابُطِنـا كان لا يمكـن تصديقـه.

في النهايـة، أنـا مَـن خَلقـتُ دوايـن وتـراوت، والآن تـراوت عـلى وشـك دفـع دوايـن مـن حافـة الجنـون، ودوايـن عـمًا قريـب سـيقضم طـرف إصبـع تـراوت.

* * *

راقبنـا وايـن هوبلـر مـن فتحـة التلصُّـص بالمطبـخ. ثـم رَبَّـتَ أحدُهـم عـلى كتفـه، الرجـل الـذي أطعمـه يَطلُـبُ الآن منـه الرَّحيـلَ.

هكـذا هـام وايـن هوبلـر عـلى وجهـه بالخـارج، ووجـد نفسـه بـين سيَّارات دوايـن المُسـتَعمَلَة مُجـدَّدًا. تابـع مُحادَثَتـه مـع حركـة المـرور عـلى الطريـق السريـع.

* * *

شَـغَّل سـاقي البـار أضـواءَ الأشِـعَّة فـوق البنفسـجية في السـقف. وبمـا أن زِيَّ بـوني مكماهـون كان مُتشـبِّعًا بمـواد فلُورِسـنتيَّة، توهَّـج مثـل لافتَـةٍ كَهربيَّـةٍ، وحـدث المِثـلُ لسُـترَةِ السـاقي والأقنعـة الإفريقيـة عـلى الحائـط.

ولقميـص دوايـن هوڤـر أيضًـا، ولقمصـان عَـدَدٍ مـن الرجـال الآخريـن. ذلـك كان السـبب: تُغسَـلُ تلـك القمصـان بمنتجـاتِ ووش-داي، التـي تحتـوي عـلى مـوادّ فلُورِسـنتيَّة. الفكـرة كانـت جَعْـلَ المَلابِـسِ أكـثرَ سُـطوعًا تحـت ضـوء الشـمس بجعلهـم فلُورِسـنتيِّين.

لكـنَّ الملابـس نفسـها في غُرفَـةٍ مُظلِمَـة تحـت الأَشـعَّة فوق البنفسـجية، تصبـح سـاطِعَةً إلى درجـة مُثيرة للسُّخرية.

أُضيئَـت أسـنان بـاني هوڤـر أيضًـا، بمـا أنـه يسـتخدم مَعجـونَ أسـنانٍ يحتـوي مـوادّ فلُورِسـنتيَّة، يُفـتَرَضُ بهـا جَعـلُ الابتسـامة مُشرِقَـةً في ضـوء النهـار. ابتسـم، وبـدا أن فَمَـه مَـليءٌ بفـروع أنـوار الكريسـماس.

لكـنَّ الأَسـطَعَ فِي الغُرفَـةِ بـلا مُنـازِعٍ كان صَـدرَ قَمِيـص بذلـة كيلجـور تـراوت الجديـد. تـلألأ وتألَّـق، وكان لبريقِـه عُمـقٌ، وكأنـه حقيبـة مـن الماس المُشِـعِّ.

لكـن حينهـا انحنـى تـراوت إلى الأمـام دون قصـد؛ فالتـوى معـه صَـدرُ القميـص المُنَـشَّى، فصـار كـما لـو أنـه طَبَـقُ اسـتقبال هـوائيٌّ. ذلـك جعـل قميصَـه أقـرب إلى مصبـاح فَنـارٍ، ضَـوؤه مُوجَّـهٌ عـلى دوايـن هوفـر.

أيقـظ الضَّـوءُ المُباغِـتُ دوايـن مـن غَفوَتِـه. حسـب أنـه رُبَّمـا قـد مـات. عـلى أي حـال يبـدو أن هنـاك شـيئًا خارِقًـا للطبيعـة، وغَـيرَ مُؤلِـمٍ يحـدث الآن. ابتسـم دوايـن مُسـتَقبِلًا النـور المُقـدَّس بثِقَـةٍ. صـار مُسـتعدًّا لأيِّ شيء.

* * *

لم يكـن لـدى تـراوت أيُّ تفسـيرٍ للتَّحـوُّل المُدهِـش في الملابـس الجـاري حولـه في المـكان. مثـل أغلـب كُتَّـاب الخيـال العِلمـيِّ، لم يعلـم أيَّ شيءٍ تقريبًـا عـن العِلـم. لم يكـن يهتـمُّ بالحقائـق الجامـدة أكـثر مـمَّا يهتـمُّ رابـو كارابكيـان بهـا. هكـذا لم يملـك مـن نفسـه إلَّا الذهـول.

أمَّـا قميـصي أنـا، فلأنَّـه كان قديمًـا، ولطالمـا غُسِـلَ في مغسـلَةٍ صينيَّـةٍ لا تسـتخدِمُ إلَّا صابونًـا عادِيًـا؛ فلـم يُشِـعَّ.

تـاه عَقـلُ دوايـن هوفـر في صـدر قميـص تـراوت. مثلـما تـاه مـن قبـل في قطـرات زيـت الليمـون المتلألئـة. تذكَّـر الآن شـيئًا قالـه لـه أبـوه بالتَّبنِّـي عندمـا كان لا يـزال في العـاشِرَة، شيء كالتَّـالي: سـبب عـدم وجـود زنـوج في شيبردزتاون.

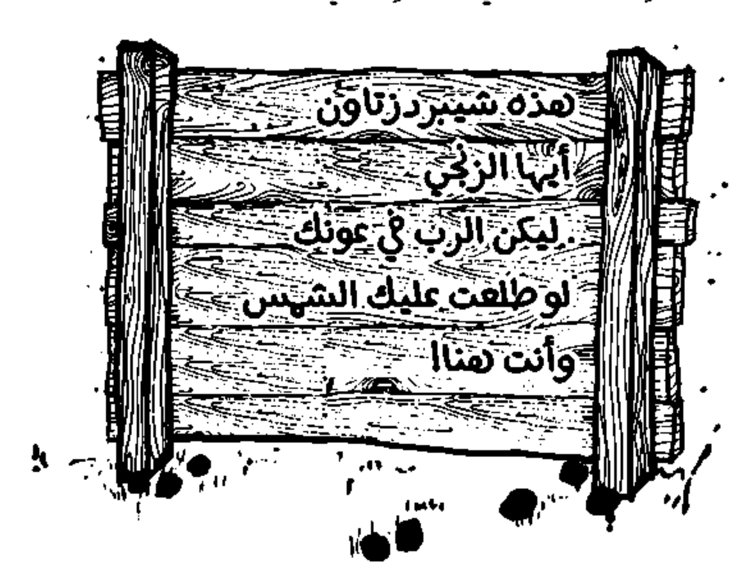
لم تَكُـن تلـك ذكـرى غـير ذات صِلَـة بالكامـل. فدوايـن في النهايـة كان يتحـدَّث مـع بـوني مكماهـون، التـي خـسر زوجُهـا أمـوالًا كثـيرة في مغسـلة السـيارات بشـيبردزتاون. والسـبب الرئيـسي لفشـل المغسـلة هـو: تحتـاج

المغاسـل الناجحـة إلى عِمالَـةٍ رَخيصَـةٍ مُتوفِّـرة، أيِّ عِمالَـةٍ سَـوداء، ولم يَكُـن هنـاك زنـوجٌ في شـيبردزتاون.

قـال والـد دوايـن بالتبنِّـي لدوايـن عندمـا كان في العـاشِرَة: قبل سـنوات، هَـجَّ الزُّنـوجُ إلى الشـمال بالملايـين، إلى شـيكاغو وميدلانـد وإنديانابوليـس وديترويـت. كانـت الحـربُ العالَميَّـةُ مُشـتَعِلَةً، والنَّقـصُ في العِمالَـةِ عـلى أَشُـدِّه، لدرجـة أن حَتَّـى الزنـوج الذيـن لا يعرفـون القـراءة والكتابـة اسـتطاعوا الحصـولَ عـلى وظائِـفَ جَيِّـدَةٍ بالمصانـع. صـار مـع الزنـوج أمـوالٌ إلى حَـدٍّ لم يحـدث مـن قبـل".

تابـع: "لكـن في شـيبردزتاون، تَـصرَّف البِيـضُ بِـذَكاءٍ سريعًـا. لم يريـدوا أيِّ زنـوج في مدينتهـم؛ فوضعـوا لافتـاتٍ في الطُّـرُق الرئيسـية عـلى حـدود المدينـة ومحطَّـة القطـار".

وصف والِدُ دواين بالتَّبنِّي اللافتاتِ، التي كانت تبدو كتلك:



قال والد دواين: "ذات ليلةٍ، تَرجَّلَت أُسرَةُ زُنوجٍ من مقطورة شَحنٍ في شيبردزتاون. رُبَّما لم يَرَوا اللَّافِتَةَ، ربما لم يستطيعوا قِراءَتها، ربَّما لم يُصدِّقوها. كان والد دواين بلا عَمَلٍ عندما حكى الحِكايَةَ لدواين ببَهجَةٍ بالغة. كان الكسادُ الكبير قد بدأ لِتوِّه. وكان ودواين قد خَرَجَا في رحلتهم الأسبوعية بسيَّارَةِ الأُسرَة، لِنقلِ القُمامَةِ والمُخلَّفات إلى الريف، حيث ألقوا بكل شيء في شوجر كريك.

تابَعَ والِدُ دواين: "على أيَّة حال، التَجَؤوا في تلك الليلة إلى كوخٍ خاوٍ، أشعلوا نارًا في المدفأة، ورَتَّبوا أمورهم. ثم جاء حَشدٌ من الناس عند مُنتَصَفِ الليل، وأخذوا الرَّجُلَ ونَشَروه إلى نصفَيْن، وعَلَّقوه على السِّلكِ العُلويِّ من سور الأسلاك الشائكة". تذكَّر دواين بوضوحٍ كيف كان في السماء قَوسُ قُزح بسبَبِ زَيتِ القُمامة يمتدُّ ببهاءٍ فوق شوجر كريك عندما سمع ذلك.

قال والده بالتبني: "منذ تلك الليلة، والتي كانت قبل وقتٍ بعيد، لم يَقضِ زنجيٌّ لَيلَةً في شيبردزتاون قَطُّ".

* * *

كان تراوت واعيًا بنظرة دواين المجنونة إلى صدره إلى درجةٍ أشعَرَته بالحَكَّة. سبَحت عيون دواين، حَسِبَها تراوت تسبح في الكحول. لم يكن في استطاعته معرفة أن دواين يرى الآن بُقعَةَ الزيت الطافية على سطح شوجر كريك، التي صنَعَت قوس القزح قبل أربعين عام.

وكان تراوت واعيًا بي أيضًا، بالقليل الذي استطاع رؤيته منِّي. بل إني جعَلتُه مُرتَبِكًا مني أكثر من ارتباكه من دواين. الفكرة كالتالي: تراوت كان الشخصيَّةَ الوحيدة من مخلوقاتي التي تمتلك مُخيِّلَةً كافِيَةً للشَّكِّ في أنه قد خَلَقَه إنسانٌ غَيرُه. كان قد ذكر هذا الاحتمالَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ لِببَّغائه. قال مثلًا: "والله يا بيل، من الطريقة التي تَحدُثُ بها

الأشـياء؛ لا أسـتطيع التفكـير إلَّا في أني شَـخصيَّةٌ في كتـابِ أحـدٍ مـا يرغـب في الكتابـة عـن شـخصٍ يُعـاني طـوال الوقـت".

الآن بـدأ تـراوت في تخمـين أنـه يجلـس عـلى مقربَـةٍ شـديدة مـن الشـخص الـذي خَلَقَـه. وبـات مُحرَجًـا. كان مـن الصعـب عليـه معرفـة كيـف سـيكون رَدُّ فِعلِـه، خاصَّـةً وأن رُدودَ أفعالـه لـن تكـون إلَّا مـا سـأقول أنهـا سـتكون.

تسـاهَلتُ معـه، لم أُلـوِّح لـه، لم أحـدِّق بـه. حافَظـتُ عـلى نَظَّـارتي عـلى وجهـي. كَتبـتُ مُجـدَّدًا عـلى سـطح مائـدتي، شَـخبَطتُ رُمـوزَ العَلاقَـةِ المُعقَّـدَة بـين المـادَّة والطَّاقـة مثلـما فُهِمَـت عـلى أيَّامـي:

$$E=Mc^2$$

كانـت مُعادَلَـةً مَعيوبَـةً بحسـب مـا أظُـنُّ. كان يجـب أن يكـون بهـا "A" في مـكانٍ مـا يُمثِّلُ "الوعـي Awareness"، فبدونـه لـن يكـون للــ "E" والــ "M" والــ "C" -وهـم ثوابِـتُ رياضيَّـة- أيُّ وجـودٍ.

* * *

بالصُّدفَـة، كُنَّـا جميعًـا مُلتَصِقـين بسـطح كـرة. كان الكَوكَـبُ عـلى شـكل كُـرَة. لا يعـرف أحـدٌ بالضبـط لمـاذا لا نقـع عنهـا، برغـم تَظاهُـرِ الجميـع أنهـم يفهمـون السـببَ بِشَـكلٍ مـا.

أدرك الأشخاصُ شديدو الذكاء أنَّ أفضل طريقةٍ للثَّراء هي امتلاكُ قِطعَةٍ من السَّطح، يُضطَرُّ الناسُ للالتصاق بها.

* * *

خشي تراوت من التقاءِ عَينَيْه بعينيَّ أو بِعَينَيْ دواين؛ لذا مضى يفحص محتوياتِ المَظروفِ الكرتوني الذي كان ينتظره في جناحه.

أوَّلُ ما فحص كان خِطابًا من فريد تي. باري، رئيس مهرجانِ الفنون، والمُتبرِّع لإنشاء مركز ميلدريد باري التذكاريِّ للفنون، ومؤسِّس ورئيس مجلس إدارة شركة باريترون المحدودة.

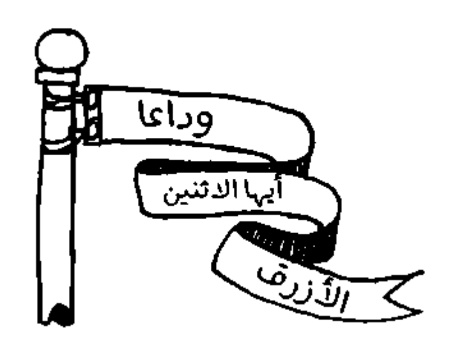
مُرفَقٌ بالخطاب كان سَهمًا من أسهم باريترون العادية، باسم كيلجور تراوت. ذلك كان الخطاب:

السيد تراوت العزيز، إنَّ تَبرُّعَ شَخصٍ مُميَّزٍ ومُبدِعٍ مثلكَ بِوَقتِه الثَّمين لمهرجان مدينة ميدلاند للفنون الأول، لَمِن مُسَبِّبات الشَّرَف والسعادة. كم نتمنَّى أن تشعر أنَّكَ فَردٌ من أُسرَتنا إبَّانَ مُكوثِكَ هنا. ولهذا السبب، وبهدف إعطائِكَ وبقيَّةِ زُوَّارنا الكرام إحساسًا أعمَقَ بمُشارَكَتِكم في حياةِ مُجتَمَعِنا؛ أقدِّم لِكُلٍّ مِنكم -على سبيل الهَديَّةِ- سَهمًا من الشركة التي أُنشِئَت، الشَّرِكة التي أنا الآن رئيسُ مجلس إدارتها. لم تَعُد شركتي وحدي الآن، بل شركتكم أيضًا.

بدأت شركتنا باسم شركة روبو-ماجيك الأمريكية عام 1934، بثلاثة مُوظَّفين فقط. هدفها كان تصميمَ وتَصنيعَ أوَّلِ غَسَّالَةٍ أوتوماتيكيَّة بالكامِلِ لاستخدامها في البيوت. ستَجِدُ شِعارَ الغَسَّالة على رمز الشركة، في أعلى شهادة السَّهم.

الرمز كان عبارةً عن إلهة إغريقيَّة مُمدَّدة على شيزلونج مُزَخرَف. حَمَلَت ساريَةَ عَلَمٍ، من رأسها امتدَّت رايةٌ طويلَةٌ. هذا ما قالَته الرَّايَةُ:

* * *



خَلَطَ شِعارُ شركة روبو-ماچيك القديمة ببراعة فِكرَةَ نَوعَيْن مُختَلِفَيْن من الناس عن يوم الاثنين. إحداهما كانت أن النِّساءَ يَغسِلنَ عادَةً الملابِسَ يومَ الاثنين، يومُ الاثنين هو ببَساطَةٍ يومُ الغَسيل، ولا يُعَدُّ يومًا كئيبًا لذلك السبب بالذات.

لكن مَن يعملون في وظائف سَيِّئَة من الناس، اعتادوا على تسمية يوم الاثنين "بالاثنين الأزرق" أحيانًا، في إشارة إلى مدى كآبته؛ لأنهم كرهوا العودةَ إلى العمل بعد يوم الرَّاحَة. عندما وضع فريد تي. باري شعارَ روبو-ماچيك في شبابه، تَظاهَرَ بأنَّ الاثنين كان يُدعى "الاثنين الأزرق" لأن الغسيل صار يُضايِقُ النِّساءَ المُتعَبات.

وروبو-ماچيك ستُسعِدُهم من جديد.

* * *

بالصُّدفَة، لم تكن معلومةُ أنَّ أغلَبَ النِّساء قُمنَ بالغسيل يوم الاثنين في زمن نشأة شركة روبو-ماچيك صحيحةً. كُنَّ يَغسِلنَ وقتما أرَدنَ. من أكثر ذكريات دواين هوفر حيويَّةً عن الكساد الكبير على سبيل المثال، هي صورةُ أُمِّه بالتَّبنِّي عندما قَرَّرَت الشُّروعَ في الغسيل ليلة الكريسماس. كانت حانِقَةً على الدرجة المُتَدنِّية التي هبطت

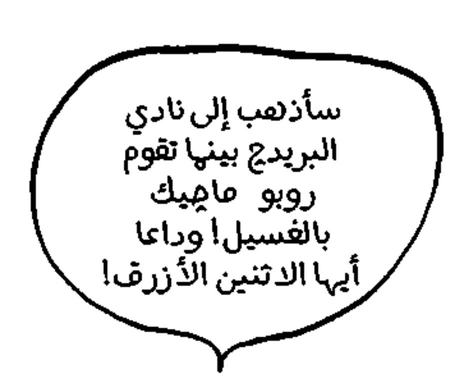
الأُسرَةُ إليهـا، ثـم هرعـت فجـأةً إلى القبـو، حيـث الخنافـس السَّـوداء والديـدان، وأخـذت تغسـل.

قالت: "حان وقت شغل الزنوج".

* * *

بـدأ فريـد تي. بـاري في الإعـلان عـن روبو-ماچيـك عـام 1933، قبـل أن يصـير عنـده غسَّـالةٌ يُعتَمَـد عليهـا ليبيعهـا بكثـير. كان واحـدًا مـن أشـخاصٍ معدوديـن في مدينـة ميدلانـد بوسـعهم تَحمُّـل تكلفـة لوحـةٍ إعلانيَّـة خـلال الكسـاد الكبـير، هكـذا لم تَحتَـجْ رسـائِلُ روبو-ماچيـك الإعلانيـة إلى التَّدافُـع والتَّنافُـس مـع آخريـن عـلى انتبـاه المُتلقِّـي. كانـت فعليًّـا الرَّمـزَ الوحيـد في المدينـة.

أحـد إعلانـات فريـد كان عـلى لافِتَـةٍ خـارج البوابـة الرئيسـية لشركـة كيدسـلر للسـيارات المُندَثِـرَة، التـي اسـتحوذت عليهـا شركـة روبو-ماچيـك. فيـه كانـت سـيِّدَة مـن مُجتَمَـعٍ راقٍ تَرتَـدي معطـفَ فَـرو وعِقـدَ لؤلـؤ، تغـادر قَصرَهـا لقضـاء أمسـية خامِلَـةٍ لطيفـة، ويَخـرُجُ مـن فمهـا بالـونُ كلامٍ، ذلـك مـا كانـت تقـول:



إعلانٌ آخر على لافِتَةٍ بالقُرب من مستودع القطارات، أظهر رَجُلَي تَوصيلٍ بِيضِ اللَّون يحملان روبو-ماچيك إلى داخل بيت. تُراقِبُهم الخادِمَةُ السَّوداء بعيونٍ تَقفِزُ للخارج بطريقة كاريكاتيريَّة. ومن فمها يخرُجُ بالونُ كَلامٍ أيضًا، يقول التالي:

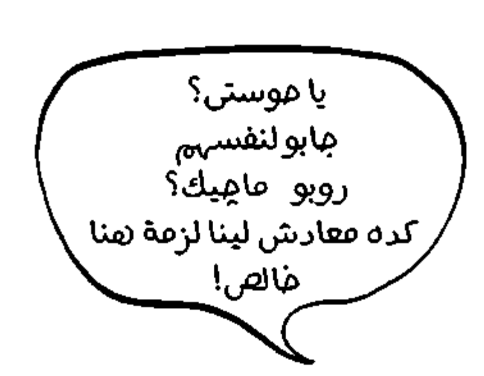
* * *

كتب فريد تي. باري ذلك الإعلانَ بنفسه، وتوقَّع في ذلك الوقت أن أجهزة روبو-ماچيك المنزلية من مختلف الأنواع، ستؤدِّي في النهاية ما سمَّاه: "كل شغل الزنوج في العالم"، أي الرَّفع والتنظيف والطبخ والغسيل والكَيّ والاعتناء بالأطفال وطرد الأوساخ.

لم تكن والدة دواين بالتبنِّي السيِّدَةَ البَيضاءَ الوحيدة التي لم تطِقْ القيام بذلك الشُّغل. أمي أيضًا كانت كذلك، وكذا كانت شقيقتي، لِتَرقُدْ في سلام. رفَضَت كِلتاهما بلا نقاشٍ القيامَ بِشُغلِ الزنوج.

وبالطبع رفض الرِّجالُ البيض القيامَ به أيضًا. سَمَّوهُ "شغل الستات"، وقالت عليه النساء "شغل الزنوج".





سـأقوم بتخمـين جامِـحٍ الآن: أعتقـد أن في نهايـة الحـرب الأهليـة بوطنـي، كان رجـالُ الشَّـمال البيـضُ، الذيـن فـازوا بهـا، مُحبَطـين، بشـكلٍ لم يُعـتَرَف بـه قَـطُّ. وأن سُـلالَتَهم وَرِثَـت عنهـم ذلـك الإحبـاطَ عـلى مـا أظـنُّ، دون أن يعرفـوا هـذا.

فالمُنتصرون في تلك الحرب خسروا أهمَّ غَنائِمِها: العبيد من البشر.

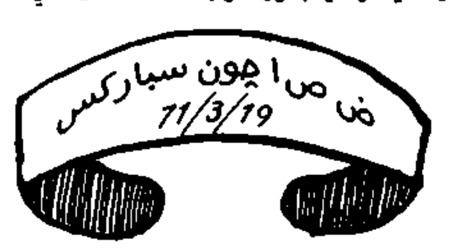
* * *

قاطَعَـت الحـربُ العالَميَّـةُ الثانيـة حلـم روبو-ماچيـك. صـار مصنـعُ سـيَّارات كيدسـلر القديـم ترسـانَةَ أسـلِحَةٍ بـدلًا مـن مصنـع أجهـزة منزليـة. كل مـا نَجَـا مـن غسـالة روبو-ماچيـك كان مُخُّهـا، الـذي يُخـبِرُ بَقيَّـةَ الآلَـةِ مَتـى تَـدَعُ المـاءَ يدخـل، ومتـى تطـرده، ومتـى تغسـل، ومتـى تَشـطِفُ، ومتـى تُجفِّـف، ومـا إلى ذلـك.

صـار ذلـك المُـخُّ مَركـزًا عَصبيًّـا لمـا يُطلَـق عليـه "نظـام بلينـك" خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة. رُكِّـبَ في قاذفـات القنابـل الثقيلـة، بـل ونُفِّـذَت بـه عمليـاتُ إلقـاء قنابـل بالفعـل، عندمـا ضغـط قائِـدُ طائِـرَةٍ زِرَّ "إلقـاء القنابـل" الأحمـر اللامـع. يُنشِّـطُ الـزِّرُّ نِظـامَ بلينـك، الـذي يُطلِـقُ حينَهـا القنابِـلَ بطريقـةٍ تسـمح بتنفيـذ نَمَـطٍ مُعـيَّنٍ مـن الانفجـارات عـلى الكوكب بالأسـفل. بلينـك كانـت اختصـارًا لتعبـير "كمبيوتـر تسـوية فـترات التفجـير Blast Interval Normalization Computer".

22

وجلستُ هناك في بار الهوليداي إنّ الجديد، أشاهد دواين هوڤر يحدِّق في صدر قميص كيلجور تراوت. كنت أرتدي سوارًا يبدو كالتالي:



ض ص1 تعني ضابط صف من الدرجة الأولى، وهي رُتبَة چون سباركس.

كلَّفَني السُّوارُ دولارَيْن ونصفًا. أرتديه تعبيرًا عن أسفي على مئات الأمريكيين الذين تعرَّضوا للأسرِ خلال حرب ڤيتنام. باتت تلك الأساور شائِعَةً. يحمل كلٌّ منها اسمَ أسيرِ حَربٍ حقيقيٍّ ورُتبَته وتاريخ أسرِه.

لا يفترض أن يَخلَعَ السوارَ مُرتَديه إلّا بعد عودة السُّجَناء إلى بيوتهم أو بعد الإبلاغ عن موتهم أو فُقدانِهم.

فكَّرتُ كيف أذكر السوار في حكايتي، ثم واتتني فكرةٌ جيِّدة، أن ألقيه في مكانٍ ما ليجده واين هوبلر.

سيفترض واين أنه يعود لامرأةٍ تُحبُّ شخصًا اسمه ض ص1 چون سباركس، وأنها خُطِبَت له أو تزوَّجته أو شيء بهذه الأهمية في التاسع عشر من مارس عام 1971.

سيحاول واين ترديدَ اسمِه الأول غير المعتاد بصوت مُتردِّدٍ: "ضصا؟ ضصااصصا؟".

* * *

في البار، جعلتُ دواين هوڤر قد أخذ دورةً في القراءة السريعة ليلًا في جمعية الشُّبَّان المسيحيِّين؛ ما سيسمح له بقراءة رواية كليجور تراوت في دقائق بدلًا من ساعات.

* * *

في البار، أخذتُ حبَّةً بيضاء، قال طبيبي إنِّي بوسعي أخذها بكمِّيَّات معقولة، اثنان يوميًّا مثلًا؛ حتى لا تُصبِحَ أيَّامي زرقاء مثل الاثنين.

* * *

في البار، جعلتني الحَبَّةُ مع الكحول أشعُرُ باستعجالٍ مُزعِجٍ لتفسير كُلِّ الأشياء التي لم أُفسِّرها بَعدُ، ومن ثَمَّ الإسراع في استكمال حكايتي.

لنرى: لقد فسَّرت بالفعل قُدرَةَ دواين غير المُتماشِيَة مع شخصيَّته على القراءة بسرعة. على الأرجح لم يَكُن كيلجور تراوت ليقدر على الوصول من نيويورك في الوقت الذي خَصَّصتُه لذلك، لكن لم يَعُد هناك وقتٌ لإصلاح ذلك. دَعكَ من ذلك، دَعْكَ من ذلك!

لِـنَرَ، لِـنَرَ. آه، تذكَّـرت، يجـب أن أُفسِّرَ الجاكِـت الـذي سـيراه تـراوت في المستشـفى. سـيبدو كذلـك مـن الخلـف:



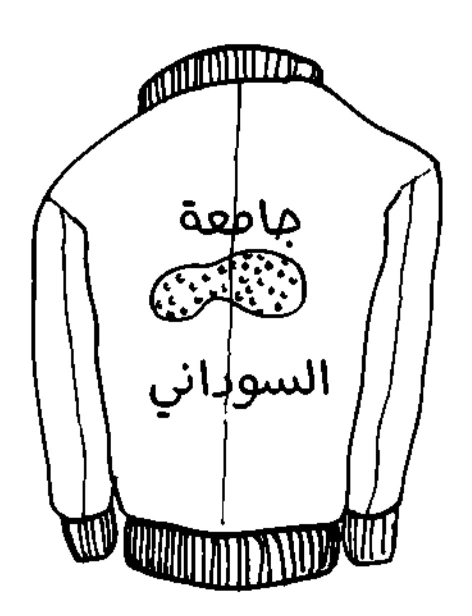
هـذا هـو التَّفسـير: قديمًـا لم يكـن هنـاك سـوى مدرسـة ثانويـة واحـدة للزُّنـوج فقـط في ميدلانـد، ولا تـزال مدرسـةَ زنـوجٍ فقـط. سُـمِّيَت على اسـم كريسـبوس أتوكـس، وهـو رَجُـلٌ أسـودُ قَتَلَـه رَصاصُ القُـوَّات البريطانيـة في بوسـطن عـام 1770. توجـد لوحَـةٌ بألـوانٍ زيتيَّـةٍ لهـذه الحادثـة في المَمـرِّ الرئيـسيِّ بالمدرسـة. وبهـا عِـدَّةُ رِجـالٍ بِيـضٍ يتلَقَّـون الرَّصـاصَ أيضًـا. في مُقدِّمـة رأس كريسـبوس أتوكـس نفسـه حُفـرَة تُشـبِه المَدخَـلَ الأمامـيَّ لبيـت الطيـور.

لكـنَّ السُّـودَ لم يعـودوا يُطلقـون عليهـا مدرسـة كريسـبوس أتوكـس الثانويـة. باتـوا يُسـمُّونها مدرسـة العابـر الـبريء الثانويـة.

وعندمـا بُنِيَـت مدرسـة زنـوج ثانويـة أخـرى بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، سُـمِّيَت عـلى اسـم چـورچ واشـنطن كارفـر، وهـو رَجُـلٌ أسـودُ، وُلِدَ

عَبـدًا، لكنـه صـار كيميائيًّـا شـهيرًا عـلى أي حـال. واكتشـف اسـتخداماتٍ رائِعَـةً جديـدة للفـول السـوداني.

لكـن السُّـودَ لم يُسَـمُّوا المدرسـة باسـمها الصحيح أيضًـا. في يـوم افتتاحها، كان الشـباب السـود يرتـدون بالفعـل جاكتـات تبـدو كتلك مـن الخَلفِ:



* * *

أحتـاج أيضًـا لتفسـير لمـاذا كان الكثـيرُ مـن السُّـود في ميدلانـد قادريـن عـلى محـاكاة أصـوات الطيـور مـن مُختَلَـف أنحـاء مـا كانـت ذاتَ يـومٍ الإمبراطوريَّـةَ البريطانيَّـة. الفكـرة هـي أن فريـد تي. بـاري ووالديـه كانـوا الأشـخاصَ الوحيديـن تقريبًـا في ميدلانـد، القادريـن عـلى اسـتئجار زنـوجٍ للقيـام بشُـغلِ الزُّنـوج خـلال الكسـاد الكبـير. اسـتحوذوا عـلى قصر كيدسـلر القديـم، الـذي وُلِـدَت فيـه الروائيـة بياتريـس كيدسـلر. وكان لديهـم قرابـة العشريـن خادمًـا يعملـون في الوقـت ذاتـه.

جمع والد فريد خلال ازدهار العشرينات أموالًا كثيرة، من العمل كمُهرِّبٍ وكمُتلاعِبٍ بالأسهُم والسَّندات. حافَظَ على أمواله سائِلَة، وهو ما اتَّضَح أنه شيءٌ ذكيٌّ؛ إذ انهارت بنوكٌ عديدة خلال الكساد الكبير. وكان والد فريد أيضًا وكيلًا لرجال عصابات شيكاغو، الذين أرادوا شراءَ أعمالٍ شرعيَّةٍ لأبنائهم وأحفادهم. رجال العصابات هؤلاء اشتروا كلَّ ما رغبوا فيه من مُنشآتٍ تقريبًا في مدينة ميدلاند، من خلال والد فريد، بمقابِلٍ يَتراوَحُ بين واحِدٍ على عشرة وواحِدٍ على مائة من قيمتها الحقيقية.

وقبل أن يأتي والدا فريد إلى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى، كانا مُؤدِّيَيْن على مسارح إنجلترا الموسيقية. والد فريد كان يعزف الموسيقى بالمنشار، وأمُّه كانت تُحاكي أصواتَ الطيور من مختلف أنحاء ما كانت لا تزال الإمبراطورية البريطانية.

تابَعَت أمُّه مُحاكاةَ أصواتِ الطيور لتسلية نفسها، حتى خلال الكساد الكبير. كانت تقول مثلًا "البلبل الماليزي"، ثم تُحاكي صوته.

وتقول: "بومَةُ موريبارك النيوزيلندية"، ثم تُحاكي صوتَها.

وكلُّ مَن عملوا عندها من السود، اعتقدوا أن أداءها كان أظرفَ شَيءٍ رأوه على الإطلاق، وإن لم يضحكوا بصوتٍ عالٍ قَطُّ بينما تفعل. وتعلَّموا بدورهم مُحاكاةَ الطيور؛ ليقتلوا أقارِبَهم وأصحابهم ضحكًا.

وانتشرت البِدعَةُ. حتَّى السود الذين لم يقتربوا قَطُّ من قصر كيدسلر بات بوسعِهِم مُحاكاة صوت طائر القيثارة وطائر الذُّعرَة من أستراليا، والصفير الذهبي من الهند، والعندليب والحَسُّون والنُّمنُمَة والشُّفشافَة من إنجلترا ذاتها.

كانوا قادرين حتى على محاكاة الصِّياح السعيد لرفيق طفولة كيلجور تراوت المُنقَرِض في الجزيرة، والذي كان نَسرَ برمودا.

عندما بلغ كيلجور تراوت المدينة، كان لا يزال بوسع السُّود مُحاكاة هذه الطيور، وترديد ما كانت تقوله أمٌّ فريد كلمةً بكلمةٍ قبل كل محاكاة. إنْ حاكى أحدُهُم العندليبَ مثلًا، كان سيقول أو ستقول ذلك في البداية: "ما يضاعف الجمال الغريب لنداء العندليب، الذي يعشقه الشعراء، حقيقة أنه لا يُغنِّي إلَّا في ضوء القمر".

وما إلى ذلك.

* * *

في البار، قرَّرَت كيمياءُ دواين السيئة فجأةً أنَّ الوقت قد حان ليسأل دواين كيلجور تراوت عن أسرار الحياة.

صاح دواين: "هات الرِّسالة". نهض مُترنِّحًا من مجلسه، وهوى مُجدَّدًا على المقعد بجوار تراوت، يُشِعُّ الحرارة كمدفأةٍ بخاريَّةٍ. "الرسالة أرجوكَ".

وهنا فَعَلَ دواين شيئًا غيرَ طبيعيٍّ بالمرَّة. فعله لأني أرَدتُه أن يفعله. كان شيئًا لطالما رغبتُ لسنواتٍ طويلة في جعل شخصيَّةٍ ما تفعله. فعل دواين لتراوت ما فَعَلَتْه الدُّوقةُ لأليس في (مغامرات أليس في بلاد العجائب) للويس كارول. وضع ذقنه على كتف تراوت المسكين، غاص فيه بذقنه.

قال: "الرسالة؟"، وغاص بذقنه، وغاص بذقنه.

تراوت لم يَرُدَّ. كان قد تمنَّى أن يُمضي القليلَ المُتبقِّي من حياته دون أن يضطرَّ أبدًا للَمسِ إنسان آخر. ذقن دواين على كتفه كانت بالنسبة إليه مؤلِمَةً كاللِّواط.

قال دواين بينما يخطف رواية تراوت (الآن بوسعي أن أقول): "أهذه الرسالة؟ أهذه هي؟".

أجـاب تـراوت بصـوتٍ أجـشّ: "نعـم، هـذه هـي". أزاح دوايـن ذَقنَـه مـن عـلى كتفـه، فغَمَرتـه راحَـةٌ هائلـة.

بـدأ دوايـن في القـراءة بِنَهَـمٍ، وكأنمـا كان يتضـوَّر جوعًـا للحـروف المَطبوعـة. ومَكَّنَتـه دورَةُ القِـراءَةِ السريعـة التـي أخذهـا في جمعيَّة الشُّبَّان المسـيحيِّين مـن التهـام الصفحـات التهامًـا.

قـرأ: "سـيدي العزيـز، سـيدي المسـكين، سـيدي الشـجاع، أنـتَ تَجربـةٌ أجراهـا خالِـقُ الكـون. أنـتَ الكائِـنُ الوحيـد في الكـون كلـه الـذي يمتلـك إرادَةً حُـرَّة. أنـت الوحيـد الـذي عليـه أن يعـرف بنفسـه مـا الـذي سـيفعله بعـد ذلـك، ولمـاذا سـيفعله. الجميـع عـداك روبوتـات، آلات.

يبـدو لـك أنَّ بعـض الأشـخاص يُحبُّونـكَ، وأن بعضهـم يكرهونـكَ، ولا شَـكَّ أنَّـكَ تَتسـاءَلُ عـن السـبب. إنهـم ببسـاطَةٍ آلاتُ حُـبٍّ وآلاتُ كراهِيَـة.

أنـت مُرهَـقٌ، ومُحبَـطٌ، وكيـف لا تكـون؟ فـأن تُجـادِلَ طـوال الوقـت بالمنطـق، في كَـونٍ لم يُفـتَرَض بـه أن يكـون منطقيًـا؛ لَهُـوَ أَمـرٌ مُرهِـقٌ بِـكُلِّ تأكيـد".

23

تابع دواين القراءةَ: "أنت مُحاطٌ بآلاتِ مَحبَّةٍ وآلاتِ كراهِيَةٍ وآلاتِ طَمَعٍ وآلاتِ إيثارٍ وآلاتِ شَجاعَةٍ وآلاتِ جُبنٍ وآلاتِ حقيقةٍ وآلاتِ كذِبٍ وآلاتِ هَزلٍ وآلاتِ جدٍّ، هدفهم الوحيد هو إثارَتُكَ بكل الطُّرُق المُمكِنة؛ حتى يستطيع خالِقُ الكَونِ مُراقَبَةَ ردود أفعالِكَ. لا تستطيع أيٌّ منهم الإحساس أو التفكير بأكثر ممَّا تستطيع ساعَةُ الحائط القديمة.

"إن خالِقَ الكون يَوَدُّ الآن الاعتذارَ، ليس فقط عن الصُّحبَةِ المُتقَلِّبَة المُتنافِسَة التي وفَّرها لَكَ خلال التجربة، بل أيضًا عن الحالة المُزرِيَة المُقرِفَة للكوكب ذاته. لقد بَرمَجَ الخالِقُ الرُّوبوتات على الإساءة إليه لملايين السنين، حتى يصيرَ مثلَ قِطعَةِ جُبنٍ مُتعفِّنة سامَّةٍ عندما يحين موعِدُ وصولِكَ هنا. وجعله أيضًا شديد الازدحام بالروبوتات المُبَرمَجَة، بِغَضِّ النَّظَر عن حالة مَعيشَتِهم، على التَّلهُّف إلى التواصُل الجنسيِّ وعشق الأطفال الرُّضَّع أكثر من أي شيء".

* * *

بالصُّدفَـة كانـت مـاري أليـس ميلـر، بطلـة العـالم في سـباحة الصَّـدر لِمائتَـيْ مـتر وملكـة مهرجـان الفنـون، تمـرُّ عبر البـار. كانـت تَعـبُرُه كطريقٍ مُختَـصَرٍ مـن سـاحة رُكـنِ السَّـيَّارات الجانبيـة، حيـث ينتظرهـا أبوهـا في سـيَّارَتِه البليمـوث باراكـودا الخضراء ذات السَّـقف المنحنـي، التـي اشـتراها مُسـتَعمَلَةً مـن دوايـن. كانـت السَّـيَّارةُ لا تـزال في بدايـة فـترة الضَّـمان.

كان دون ميلـر، أبـو أليـس، رئيسًـا للجنـة إطـلاق السـراح المـشروط في شـيردزتاون، وأشـياء أخـرى. كان هـو مَـن قَـرَّر أن وايـن هوبلـر، الـذي يتلـكَّأ بـين سيارات دوايـن المُستَعمَلَة مُجـدَّدًا، صـار لائقًـا كفايـة للانضمام للمجتمـع.

ذهبَـت مـاري أليـس إلى اللـوبي لتأخُـذَ التـاج والصولجـان، مـن أجـل دَورِهـا كمَلِكَـةٍ في مأدبـة مهرجـان الفنـون هــذه الليلـة. وكان ميلـو ماريتيمـو، موظَّـف الاسـتقبال وسـليل العصابـات، قـد صنَعَهـم بيَدَيْـه. عيناهـا كانتـا مُلتَهِبَتَـيْن عـلى الـدَّوام، بَدَوتـا مثـل كريـز الماراشـينو.

شـخص واحـد فقـط لاحظهـا بمـا يكفـي للتعليـق عليهـا بصـوتٍ مَسـموعٍ، آبي كوهـين الجواهرجـي. قـال عـن مـاري أليـس، مُحتَقِـرًا انعـدامَ جاذِبيَّتهـا الجنسـيَّة وبراءتهـا ورأسـها الخـاوي: "سـمكة تونـة".

* * *

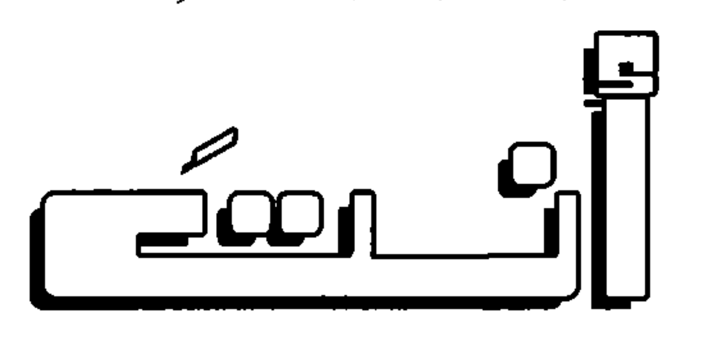
سَـمِعَه كيلجـور تـراوت يذكُـرُ سَـمَكَ التُّونـة. عقلـه حـاول أن يفهـم معنـى ذلـك. عقلـه كان غارقًـا في مسـتَنقَعِ غَرائِـبَ. صـار قابِـلًا لأن يكـون أيضًـا مثـل وايـن هوبلـر، هائِمًـا بـين سيَّارات دوايـن المُسـتَعمَلَة في أسـبوع هـاواي.

أقدامـه، التـي يُغلِّفُهـا البلاسـتيك، كانـت تـزداد سـخونةً مـع الوقـت، وصـارت الحـرارة مُؤلِمَـةً. أخـذت في التَّلـوِّي والتَّثَنِّـي، تتوسَّـل لإطـلاق سراحهـا في مـاء أو هـواء بـارد.

وتابَعَ دواين القراءةَ عن نفسه وعن خالق الكون:

"وبَرمَجَ الروبوتات أيضًا ليكتبوا الكتب والمجلّات والجرائد من أجلِكَ أنت، وكتبوا عروض التليفزيون والراديو والمسارح والأفلام من أجلِكَ أنتَ. كتبوا الأغاني من أجلك أنت. اخترع خالِقُ الكون مئاتِ الأديان، حتى تَجِدَ أنتَ أمامَكَ الكثيرَ لتختار منهم. جعلهم يقتلون بعضهم بالملايين؛ لهذا السبب وحده: إدهاشِكَ أنتَ. ارتكبوا أفظعَ المُنكَرات المُمكِنَة وأفضلَ الحَسَنات المُمكِنَة، لا شعوريًّا، أوتوماتيكيًّا، حَتميًّا، فقط لإثارة رِدَّةِ فِعلِكَ أنتَ".

آخر كلمة طُبِعَت بحروفٍ ضَخمَةٍ، وكانت في سطرٍ وحدها، مثل تلك:



* * *

قال الكتاب: "كلَّ مَرَّةٍ دَخلتُ فيها مكتبةً، كان خالِقُ الكَونِ يحبس أنفاسَه. من بين أكوام الثقافة المُتراكِمَة أمامَكَ في وليمةٍ لا نهائيَّةٍ، ماذا ستختار بإرادتك الحُرَّة؟".

قال الكتاب: "والداكَ كانا آلَتَيْ شجارٍ، وكانا آلَتَيْ شَفَقَةٍ على الذَّات. أُمُّكَ كانت مُبَرمَجَةً على توبيخ أبيكَ على كَونِه آلَةَ جَني أموالٍ مَعطوبَةٍ، وأبوك كان مُبَرمَجًا على توبيخ أُمِّكَ على كَونِها آلَةَ

رعايَـةِ بَيـتٍ مَعطوبَـةٍ. وكان كلاهـما مُبَرمَجَـيْن عـلى توبيـخ بعضهـما عـلى كونهـما آلاتِ حُـبٍّ مَعطوبـة".

"ثُـمَّ كان أبـوك مُبَرمَجًـا عـلى الاندفـاع خارجًـا مـن البيـت، وصَفَـعَ البـابَ خلفَـه. يُحـوِّل هـذا أُمَّـكَ أوتوماتيكيًّـا إلى آلَـةِ نَحيـبٍ. ثـم يذهـب إلى الحانَـةِ لِيَسـكَرَ بصُحبَـةِ آلاتِ شُربٍ أخـرى. ثـم تذهـب آلاتُ الـشُّرب كلهـا إلى ماخـور فيسـتأجرون آلاتِ مُضاجَعَـةٍ. ثـم يَجُـرُّ أبـوك نفسـه عائـدًا إلى البيـت ليصـير آلَـةَ اعتـذارٍ. وأُمُّـكَ تَتحـوَّل ببُـطءٍ شـديدٍ إلى آلَـةِ عَفـوٍ".

* * *

نهـض دوايـن عـلى قَدَمَيْـه، بعدمـا تجـرَّع عـشراتِ آلاف الكلـمات السولبسـية الغريبـة في نحـو عـشر دقائـق.

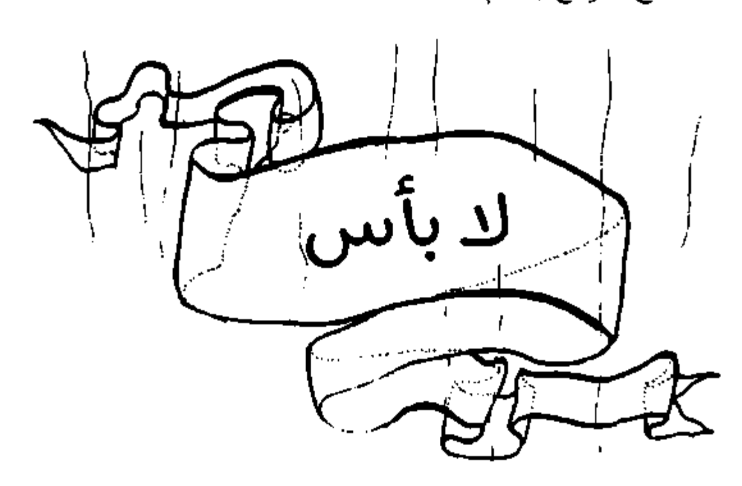
مـشى مُتيبِّسًـا نحـو مَـشرَبِ البيانـو؛ مـا جعلـه مُتيبِّسًـا كان رَوعَـه مـن مَـدَى قوَّتـه الشـخصية وتَفوُّقَـه. لم يجـرؤ عـلى اسـتخدام كامِـلِ قُوَّتِـه في مُجـرَّد المـشي؛ خوفًـا مـن تدمـير الهوليـداي إنّ الجديـد بوَقـعِ قَدَميْـه. لم يَخَـف عـلى حياتـه؛ فكِتـابُ تـراوت أكَّـدَ لـه أنـه قُتِـلَ بالفعـل ثلاثًـا وعشريـن مـرَّةً. في كل مَـرَّةٍ، كان خالِـقُ الكـون يُصلِحُـه ويُشـغِّله مُجـدَّدًا.

أمسـك دوايـن نفسـه باسـم الأناقـة لا الأمـان. سـيكون رَدُّ فِعلِـه عـلى فَهمِـه الجديـد للحيـاة حاذِقًـا، أمـام جمهـورٍ مـن فَردَيْـن: هـو، وخالِـقُ الكـون.



اقترب من ابنِه المِثاليِّ.

رأى بـاني المشـاكل تلـوح في الأفـق، وافـترض أنـه موعِـدُ المـوت. كان قـادرًا عـلى الدفـاع عـن نفسـه بسـهولَةٍ، بتقنيـات القِتـالِ التـي تَعلَّمهـا في المدرسـة العسـكرية. لكنـه فَضَّـلَ التأمُّـل بـدلًا مـن ذلـك. أغلـق عينَيْـه، وغـاص وَعيُـه في صَمـتِ الأجـزاء غـير المُسـتَخدَمَة مـن عقلـه. هنـاك، كان ذلـك الوشـاح المُشِـعُّ يَعـومُ:



* * *

دفـع دوايـن رأسَ بـاني مـن الخلـف. دَحرَجَهـا مثـل ثَمـرَةِ الأنانـاس عـلى مفاتيـح البيانـو. ضحـك وقـال لابنـه: "... يـا آلَـةَ مَـصِّ الأَيـرِ القَـذِرَة!".

بـاني لم يقـاوِم، برغـم أن وجهـه كان يَتشـوَّه إلى حَـدٍّ مُريـع. رفـع دوايـن رأسـه عـن المفاتيـح، ورَزَعَهـا مُجـدَّدًا. تَناثَـرَ عـلى مفاتيـح البيانـو الـدَّمُ واللُّعـابُ والمُخـاط.

صـار رابـو كارابكيـان وبياتريـس كيدسـلر وبـوني مكماهـون الآن يجذبـون دوايـن، وانتزعـوه عـن بـاني. لم يَـزِد هـذا دوايـن إلَّا سـعادَةً. قـال لخالـق الكـون: "قلـتَ لي ألَّا أضربَ امـرأةً أبـدًا، أليـس كذلـك؟".

ثـم صفـع بياتريـس كيدسـلر عـلى فمهـا، ولَكَـمَ بـوني مكماهـون في بطنهـا. كان يؤمـن حقًّـا أنَّهـنَّ آلاتٌ بـلا شـعور.

سـأل دوايـن جمهـورَه المَصعـوق: "أتعرفـون أيُّهـا الروبوتـات لمـاذا أَكَلَـت زوجتـي الدرانـو؟ سـأخبِرُكُم: كانـت آلـة أكل درانـو".

* * *

في الصَّبـاح التـالي سـتكون هنـاك خريطـة في الجريـدة لثـورة دوايـن العاصِفَـة. سيُعبِّر عـن مسـارِهِ خَـطٌّ مُنقَّـطٌ يبـدأ مـن بـار الفنـدق، ويعـبر الطريـق إلى مكتـب فرانسـين بيفكـو في وكالتـه للسـيارات، ثـم يـدور عـلى عَقِبَيْـه إلى الهوليـداي إنّ الجديـد مـن جديـد، ثـم سـيعبر شـوجر كريـك إلى الحـارة المُتَّجِهَـة غربًـا مـن الطريـق السريـع، ثـم إلى الفاصـل العشـبي بـين الحارَتَـيْن. سـيغلب دوايـن حينهـا رَجُـلَيْ شُرطَـةٍ تَصادَف وجودُهُـم.

هـذا مـا سـيقوله دوايـن لِرَجُـلَيْ الشُّرطـة بعدمـا قَيَّـدا يدَيْـه خلـف ظهـره: "الحمـد للـه عـلى وجودكـم هنـا!".

* * *

لم يقتُـلْ دوايـن أحـدًا في ثورتـه، لكنـه آذى بِشـدَّةٍ أحـدَ عَـشرَ شـخصًا، لِدَرجَـةِ احتياجهـم للمستشـفى. وفي خريطـة الجريـدة، كانـت هنـاك علامـةٌ تُشـير إلى كلِّ مـكانٍ أصـاب فيـه أحدَهُـم إصابـةً خَطِـرَة. تلـك كانـت العلامـة، بعـد تكبيرهـا جـدًّا:



* * *

في خريطـة الجريـدة لثـورة دوايـن، كان هنـاك ثلاثـة صُلبـان داخـل بـار الفنـدق، تُعبِّر عـن بـاني وبياتريـس كيدسـلر وبـوني مكماهـون.

ثـم هـرع دوايـن إلى الأسـفلت الفاصـل بـين الفنـدق وسـاحته لبيـع السيارات. نـادى عـلى الزنـوج في الخـارج ليأتـوه مـن فورهـم. قـال: "أريـد التحـدُّثَ معكـم".

كان بالخـارج وحـده. لم يتبعـه أيُّ شـخصٍ مـن البـار حتـى الآن. كان دون ميلـر، والـد مـاري أليـس ميلـر، في سـيارته بالقـرب مـن دوايـن، ينتظـر مـاري أليـس لتعـودَ بِتاجِهـا وصَولَجانِهـا، لكنـه لم يَـرَ ولم يسـمع شـيئًا مـن العـرض الـذي قدَّمـه دوايـن. كانـت مقاعِـدُ سـيَّارَتِه قابِلَـةً للفَـرْدِ كسَريـرٍ. تمـدَّد دون عـلى ظهـره، برأسـه تحـت مسـتوى النافـذة، يسـتريح ويُحـدِّق في السـقف. كان يحـاول تَعلُّـمَ الفرنسـية عـن طريـق سَـماع دروس مُسـجَّلَة عـلى شريـط.

قال الشريط: "Demain nous allons passer la soirée au cinema"، وحـاوَلَ دون ترديـدَ ذلـك بـدوره. وقـال الشريـط: "Nous espérons que notre grand-père vivra encore longtemps". ومـا إلى ذلـك.

* * *

اسـتمرَّ دوايـن في النـداء عـلى الزنـوج ليخرجـوا ويتحدَّثـوا معه. ابتسـم. حَسِـبَ أن خالِـقَ الكـون بَرمَجَهـم كُلَّهـم عـلى الاختبـاء، عـلى سـبيل المـزاح.

نظـر دوايـن في الأرجـاء بمَكـرٍ. ثـم صـاح بعَلامَـةٍ اعتـاد عـلى اسـتخدامها في طفولتـه، للإشـارة إلى أن لُعبَـةَ الغُمَّيضَـة قـد انتهـت، وأن الوقـت قـد حـان لعـودة الأطفـال إلى البيـت.

هـذا مـا نـادى بـه، وكانـت الشـمس غائِبَـةً عندمـا فعـل: "أولي أولي أوكسـين فريييييييـي".

الشَّخصُ الـذي أجـاب تعويذتـه، كان شـخصًا لم يلعـب غُمَيضَـةً في حياتـه قَـطُّ. خـرج وايـن هوبلـر مـن بـين السـيارات المُسـتَعمَلَة بهـدوء. عقـد يديـه خلـف ظهـره ووقـف بقدمَـيْن مُتباعِدَتَـيْن. اتَّخـذ وضعًـا يُعـرَف بوقفَـةِ الانتبـاه. يتعلَّـم تلـك الوقفـة الجنـودُ والمساجينُ عـلى حَـدٍّ سـواء، كوسـيلَةٍ للتعبـير عـن اليَقظَـةِ والسَّـذاجة والاحـترام والتَّخـلِّي الإراديّ عـن الدفـاع. كان مُسـتَعدًّا لأيِّ شيء، ولا يمانـع المـوت.

شـفي الآن ذاتـه. لم يعـرف مَـن هـو وايـن، رحَّـب بـه مثـل أيِّ روبـوت أسـود عـاديٍّ. أي روبـوت أسـود كان سـيؤدِّي ذات الغـرض. عـاد دوايـن مُجـدَّدًا لمُحادَثَتِـه السـاخرة مـع خالِـق الكـون، مُستَخدِمًا الروبـوت كأداةِ حديـثٍ جامِـدَة. يضـع كثـيرٌ مـن أهـل ميدلانـد جـماداتٍ بـلا فائـدة مـن هـاواي أو المكسـيك أو مـن أيِّ مـكان، عـلى موائـد القهـوة أو عـلى موائـد غُـرَفِ المعيشـة أو عـلى أرفُـفِ النِّيـش، ويُطلَـق عـلى مثـل تلـك الأشـياء (أدوات حديـث).

ظـلَّ وايـن في وضـع الانتبـاه فيـما حـكى دوايـن عـن العـام الـذي قضـاه كمسـؤولِ المُقاطَعَـةِ عـن أشـبال الكشَّـافة الأمريكيـة، عندمـا انضـمَّ للكشَّـافة عَـدَدٌ مـن صغـار السُّـود أكـثر مـن أيِّ سَـنَةٍ مَضَـت.

قـال دوايـن لوايـن عـن مجهوداتـه لإنقـاذ حيـاة شـابٍّ أسـودَ اسـمُه بايتـون بـراون، والـذي صـار، في سِـنِّ الخامسـة عـشرة والنصـف، أصغـرَ شَـخصٍ يمـوت عـلى الكُـرسيِّ المُكَهـرَب في شـيبردزتاون عـلى الإطـلاق. وتحـدَّث دوايـن عـن كُلِّ السُّـود الذيـن اسـتأجَرَهُم حينـما رفـض الجميـعُ اسـتئجارَ السُّـود، عـن كيـف أنهـم لا يأتـون للعمـل أبـدًا في ميعادهـم. وذكـر أيضًـا قِلَّـةً منهـم، كانـت نشـيطةً ومُنضَبِطَـة. ثـم غمـز لوايـن وقـال ذلـك: "كانـوا مُبَرمَجـين عـلى ذلـك".

تحـدَّث عـن زوجتـه وابنـه مُجـدَّدًا، اعـترف أن الروبوتـات البيـضَ لا يختلفـون عـن الروبوتـات السُّـودِ في الأسـاس؛ فقـد كانـوا مُبَرمَجـين عـلى أن يكونـوا أيًّـا مـا كانـوا عليـه، وعـلى فعـل أيٍّ مـا فعلـوه.

بعد ذلك، صمتَ دواين لوَهلَةٍ.

كان والـد مـاري أليـس في الوقـت ذاتـه لا يـزال يتعلَّـم الفرنسـية فيـما هـو مُمـدَّدٌ في سـيارته، عـلى بُعـدِ يـارداتٍ قليلـة.

ثـم سَـدَّدَ دوايـن ضربـةً لوايـن، أراد صَفعَـهُ بقُـوَّةٍ بِكَفِّـه المفتـوح، لكـنَّ وايـن كان ماهـرًا في التفـادي. نـزل عـلى رُكبَتَيْـه في حـين مَرَقَـت اليَـدُ في الهـواء الـذي كان يحتلُّـه وجهُـه قبـل لحظـة.

ضحـك دوايـن، قـال: "مُـراوِغٌ إفريقـيٌّ!". كان في ذلـك إشـارة للُعبَـةِ أكشـاك كرنفـالاتٍ كانـت شـائِعَةً في طفولـة دوايـن. في مؤخَّـرَة الكُشـك كان رَجُـلٌ أسـودُ يُخـرِج رأسـه مـن فتحَـةٍ في سـتارة قُماشـيَّة، ويدفـع النـاسُ الأمـوالَ ليحصلـوا عـلى شرف توجيـه رميـةٍ قَويَـةٍ بِكُـرَةِ بيسـبول عـلى رأسـه. إن أصابتـه، يفـوزون بجائـزة.

* * *

هكـذا فكَّـر دوايــن أن خالِـقَ الكـون يدعــوه الآن لِلَعِــبِ المُــراوِغ الإفريقـي؛ فصـار ماكـرًا، أخفـى نوايـاه العُدوانيَّـة وتظاهَـرَ بالمَلَـل، ثـم رَكَلَ وايـن فجـأةً.

تفـاداه وايــن مُجـدَّدًا، وكان عليـه مُتابَعَـة التَّفـادي في اللحظـة ذاتهـا تقريبًـا؛ إذ هاجَمَـه دوايـن بمجموعَـةِ رَكلاتٍ وصَفعـاتٍ ولَكـماتٍ مُتابِعَـة. فقفـز وايـن في صنـدوقِ سـيَّارةٍ غَريـبِ الشَّـكل، مُثبَّـتٍ في هيـكل كاديـلاك ليموزيـن 1962، تعـود لشركـة ماريتيمـو بـروزرز للمقـاولات.

منظـور وايـن المرتفـع الجديـد مَنَحَـه إطلالـةً عـلى مـا يتجـاوَزُ دوايـن وحـارَتَيْ الطَّريـق السريـع خلفـه، وتمتـدُّ إلى قُرابَـةِ ميـل أو أكـثر مـن مطـار

ويـل فيرتشـايلد التَّـذكاري وراء الطريـق السريـع. ومـن المُهِـمِّ في تلـك النقطـة فَهْـمُ أن وايـن، الـذي لم يَـرَ مَطـارًا قَـطُّ، كان غـير مُؤَهَّـلٍ لما يُمكِـنُ أن يحـدث لمطـارٍ عندمـا تـأتي طائِـرَةٌ في الليـل.

طمأنـه دوايـن: "حسـنًا، حسـنًا، هـذا يكفـي". تَحـلَّى بـروح رياضيَّـةٍ عاليَـةٍ. لم يَكُـن لديـه أيُّ نِيَّـةٍ لِتَسـلُّق الصنـدوق وتوجيـه ضَربَـةٍ أخـرى لوايـن؛ فقـد كان مـن ناحيـةٍ مُنقَطِـعَ الأنفـاس، ومـن ناحيـةٍ أُخـرى فَهِـمَ أنَّ وايـن آلَـةُ تَفـادٍ ممتـازَةٌ، لا تسـتطيع ضَربَـه إلَّا آلَـةُ ضَربٍ مُمتـازَةٍ. قـال دوايـن: "أنـتَ أشـطر منِّـي".

هكـذا تراجَـعَ دوايـن قليـلًا، وقَنِـعَ بِوَعـظِ وايـن. تحـدَث عـن العبوديَّـة البَشَريَّـة، ليـس فقـط عـن العَبيـدِ السُّـود، بـل عـن العَبيـدِ البِيـضِ أيضًـا. اعتـبر دوايـن عُـمَّالَ مَناجِـمِ الفَحـمِ وعُـمَّالَ خُطـوطِ الإنتـاج ومـا شـابههم- عبيـدًا، أيًّـا كان لونهـم. قـال: "كنـتُ أؤمـن أن ذلـك عـارٌ علينا، كنـتُ أعتقد أن كـراسي الإعـدام الكهربيـة عـارٌ، وأن الحَـربَ عـارٌ، وحـوادث السـيارات والسَّرطـان"، ومـا إلى ذلـك.

لم يَعُـد يـرى في أيٍّ مـن ذلـك عـارًا بعـد الآن. قـال: "لمـاذا أهتـمُّ بمـا يَحـدُث لـلآلات؟".

كان وَجـهُ وايـن هوبلـر حتـى الآن جامـدًا، لكنَّ ذُهـولًا لا يُمكِـنُ التَّحكُّم بـه رَسَـمَ نَفسَـه عـلى مُحيَّـاه فجـأةً. وقـع فَكُّـهُ السُّـفليُّ تـارِكًا فَمَـه مفتوحًا.

اشـتعلت أضـواءُ مَهبِـطِ طائـراتِ مطـارِ فيرتشـايلد التَّـذكاريِّ لِتَوِّهـا. تَبـدَّت هـذه الأضـواءُ لِعَينَـيْ وايـن مثـل أميـالٍ وأميـال مـن المُجَوهَـرات المُتلألِئَـة. كان يـرى عـلى الناحيَـةِ الأُخـرى مـن الطَّريـقِ السَّريـع، حُلـمًا يَتحقَّـق.

توهَّجَـت الأضـواءُ داخِـلَ رَأسِ وايـن كأنَّهـا مَصابيـحُ كَهربيَّـةٌ تكتـبُ الاسـمَ الطُّفـوليَّ لِحُلمِـه القديـم الـذي يتجسَّـد أمـام عَينِـه الآن، مصابيـح كتلـك:



24

اسـمَعْ: أصـاب دوايـن هوفـر أشـخاصًا عديديـن بإصابـاتٍ خطـيرة، لدرجـة اسـتدعاء سـيّارة إسـعافٍ خاصّـة تُعـرف باسـم مارثـا. مارثـا كانـت حافِلَـةَ جـنرال موتـورز عابِـرَةَ للقـارّات بالحجـم الكبـير، لكـن بعـد إزالـة مقاعدهـا. كان فيهـا سِـتَّةٌ وثلاثـون سريـرًا لضحايـا الكـوارث، بالإضافـة إلى مطبـخٍ وحـمّام وغُرفَـةِ عمليّـات. كان بهـا مـا يكفـي مـن الطعـام واللـوازم الطبيـة لتعمـل كمستشـفى صغـيرٍ مُسـتقلٍّ لمُـدّة أسـبوع دون مُسـاعدَةٍ مـن العالَـم الخارجـي.

اسـمها الكامِـلُ كان "وحـدة مارثـا سـيمونز التذكارية المتنقِّلـة للكوارث"، سُـمِّيَت لِتَشريـف زَوجـةِ نيوبولـت سـيمونز، مُفـوَّض المُقاطَعَـة للسَّـلامة العامَّـة. ماتـت مارثـا بالسُّـعار الـذي أصابهـا مـن خُفَّـاش مَريـضٍ وَجَدَتـه مُعلَّقًـا بسـتائِرِ غُرفَـةِ المعيشـة المُمتـدَّة مـن السـقف إلى الأرض ذات صبـاح. كانـت تقـرأ لِتوِّهـا سـيرةَ ألـبرت شـفايتزر، الـذي اعتقـد أن عـلى البـشر

مُعامَلَة الحيوانات الأبسط بحُبٍّ. عَضَّها الخُفَّاش عَضَّةً خَفيفةً بينما كانت تَلفُّه في منديلٍ وَرَقيٍّ. حمَلَته إلى فِنائها الخَلفيِّ، حيث وضَعَته برفقٍ على النَّجيلةِ الصِّناعية، التي تُعرَف باسم أستروتيرف.

كان فَخِذاها سِتًّا وثلاثين بوصةً، وخَصرُها تِسعًا وعشرين بوصة، وصَدرُها ثماني وثلاثين بوصةً ساعَةَ مَوتِها. كان لِزَوجِها عُضوٌ طوله سَبعُ بوصاتٍ ونِصفُ البوصة، وقُطرُهُ بوصتان.

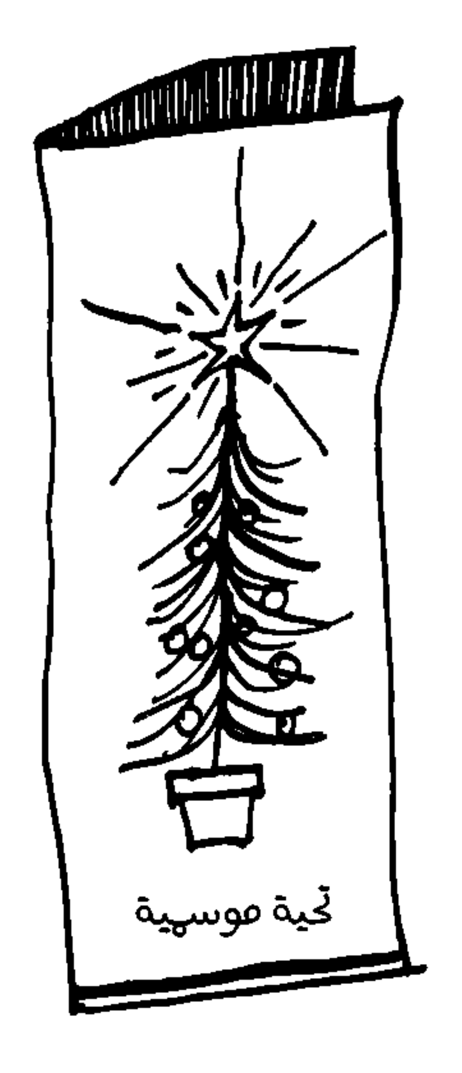
كان ودواين قد اقتربا من بعضهم لفَترَةٍ؛ لأن زوجته وزوجة دواين قد ماتتا مِيتاتٍ غَريبةً خلالَ شَهرٍ من بعضهما.

اشتَرَيَا معًا مِقلَعَ حَصًى على طريق I-23، لكنَّ شركة ماريتيمو بروزرز للمُقاوَلات عرَضَت عليهما ضعفَ ما دَفَعَا. هكذا قَبِلَا عَرضَها واقتَسَما الأرباحَ، ثم تداعت الصَّداقَةُ بشكلٍ ما. ما زالا يتبادلان بطاقات تَهنِئَةِ الكريسماس.

آخر بطاقة كريسماس من دواين إلى نيوبولت سيمونز تبدو كتلك:



آخر بطاقةِ كريسماس من نيوبولت سيمونز إلى دواين تبدو كتلك:



* * *

طبيبتي النفسية أيضًا اسمها مارثا. تجمع مارثا الأشخاصَ العصبيِّين في عائِلاتٍ صغيرةٍ وتجعلهم يتقابلون مرةً أسبوعيًا. وتُعَلِّمنا كيف يُهدِّئ بعضنا بعضًا بذكاء. هي الآن في إجازة. أُحبُّها كثيرًا.

وأُفكِّر الآن، فيما يقترب عيد ميلادي الخمسين، في الروائيِّ الأمريكي توماس وولف، الذي مات عندما كان في الثامنة والثلاثين فقط. كان قد تلقَّى مُساعدةً كبيرة في تنظيم رواياته من ماكسويل بيركنز، مُحرِّرِه في دار نشر تشارلز سكريبنر وأولاده. سَمِعتُ أن بيركنز قال له أن يجعل في رأسه بينما يكتب، كَفِكرَةٍ شامِلَةٍ، بَحْثَ البطل عن أب.

يبدو لي أن الروايات الأمريكية الحقيقية فعلًا ستكون عن بحث الأبطال أو البطلات على حَدٍّ سواء عن أُمَّهاتٍ لا آباء. لا إحراجَ في ذلك؛ فتلك ببساطَةٍ هي الحقيقةُ.

الأم أَفيَدُ بِكَثير.

لن أَشعُرَ بِحالٍ أفضلَ على نحوٍ خاصٍّ إن وَجدتُ أبًا جديدًا، وكذلك دواين هوفر، وكذلك كيلجور تراوت.

* * *

وبينما كان دواين هوفر عديمُ الأُمِّ يُوبِّخ واين هوبلر عديمَ الأُمِّ في ساحَةِ السيَّارات المُستَعمَلَة، كان هناك رَجُلٌ قَتَلَ أُمَّه بالفعل، يَستَعدُّ للهبوط بطائِرَةٍ مُستَأجَرَة في مطار ويل فيرتشايلد التَّذكاريِّ على الجانب الآخر من الطريق السريع. ذلك الرجل كان إيليوت روزوتر، راعي كيلجور تراوت. كان قد قَتَلَ أُمَّه بالخطأ في حادِثَةِ قواربَ عندما كان شابًّا. كانت بَطلة الولايات المتحدة في الشَّطرنج للسيدات، بعد تِسعةَ عشرَ مائةٍ وسِتَّةٍ وثلاثين عامًا من ميلاد ابنِ الرَّبِّ، حسبما يُفتَرَض. قتل روزوتر أُمَّه في العام التالي.

كان قائد طيّارته هو مَن تَسبَّب في تحويل مهبط المطار إلى فكرة سَجينٍ سابِقٍ عن أرض الأحلام. تذكَّر روزوتر مُجَوهراتِ أُمِّه عندما أُضيئَت الأنوارُ. نظر إلى الغرب، وابتسم لمرأى الجَمال الرقيق لمركز ميلدريد باري التَّذكاري للفنون، قمرٌ مُكتَمِلٌ مُستَقرٌ على أعمِدَةٍ في انحناءة شوجر كريك. ذكَّره ذلك بكيف كانت أُمُّه تبدو عندما رآها بعيون الطفل حديث الولادة الغائمَة.

* * *

أنا اختلَقتُه بالطَّبع، وطَيَّاره أيضًا. وَضعتُ خلف لوحة تَحكُّم الطائرة الكولونيل لوزليف هاربر، الرَّجُلَ الذي أسقطَ القُنبُلَةَ النَّوويَّةَ على ناجازاكي في اليابان.

جعَلتُ روزوتر مُدمِنَ كُحولٍ في كتابٍ آخر. جَعلتهُ الآن أفضلَ إلى حَدٍّ معقول، بمساعدة مجموعات الإقلاع عن الكحول السرية. جعلتُه يستغلُّ توقُّفَه الجديد عن الشُّرب في استكشاف الفوائد الرُّوحيَّة والجَسَديَّة لحفلات الجِنسِ الجماعيَّة مع الأغراب في نيويورك، وأشياء أخرى. إلى الآن لم يَجِد إلّا الارتباكَ.

كان بوسعي قَتلُه وطيّارَه أيضًا، لكنِّي تركتهم يعيشون. هكذا لَمَسَت الطّائِرَةُ الأرضَ بلا أحداثٍ جديرة بالذِّكر.

* * *

الطَّبيبان في حافلة الكوارث المَدعوَّة بمارثا كانا سيبريان أوكويندي من نيجيريا، وكاشدرار ميازما من البلد الوليد بنجلاديش. كلاهما كانا من أماكن في هذا العالم مشهورة بنَفادِ الطَّعام من وقتٍ لآخر. وكان كلا المكانين في الواقع مَذكورَيْن في كتاب كيلجور تراوت (الآن بوسعي أن أقول). قرأ دواين هوفر في ذلك الكتابِ أنَّ الروبوتات في جميع أنحاء العالم يَنفَدُ وَقودُها طوالَ الوقتِ، وتَقَعُ مَيْتَةً، بينما تنتظر

في الأنحـاء الفُرصَـةُ شِـبه المَعدومَـةِ في ظهـور الكائـن الوحيـد ذي الإرادة الحُـرّة في الكـون لاختبـارِه.

* * *

خلـف عجلـة قيـادة حافِلَـةِ الإسـعاف كان يجلـس شـابٌ أَسـودُ يُدعَـى إيـدي كي، هـو في الواقـع سـليلٌ مُبـاشِرٌ لفرانسـيس سـكوت كي، الوَطنـيِّ الأمريـكيِّ الأبيـض الـذي كتـب النشـيدَ القَومـيَّ. عـرف إيـدي أنـه سـليلُ كي. كان بوسـعه تسـمية أكـثر مـن سِـتّمائة مـن أسـلافه، ويعـرف عـلى الأقـل حكايـةً واحِـدَةً عـن كلٍّ منهـم. كان منهـم رجـالٌ أفارِقَـةٌ وهنـودٌ وبِيـضٌ.

عـرف -عـلى سـبيل المثـال- أن عائلتـه مـن جِهَـةِ أُمِّـه، امتلكَـت ذاتَ يـومٍ المزرعَـةَ التـي اكتُشِـف فيهـا كهـفُ المُعجِـزَة المُقدَّسـة. وأنَّ أسـلافه أطلقـوا عليهـا "مزرعـة الطائـر الأزرق".

* * *

هـذا كان سـببَ وجـودِ العَديـد مـن الأطِبّـاء الأجانـب الشُّبّان في طاقـم المستشـفى بالصُّدفَـة: لم يُنتِـج البَلَـدُ أَطِبّـاءَ بمـا يكفـي لـكلِّ مرضـاه، لكنـه امتلـك أمـوالًا كثـيرة. هكـذا اشـترى أطبّـاءَ مـن بـلادٍ أخـرى لا تمتلـك الكثـيرَ مـن المـال.

* * *

عـرف إيـدي كي الكثـيرَ عـن أسـلافه لأنَّ الجانـب الأسـود مـن أسرتـه يقـوم بمـا لا تـزال أُسَرٌ إفريقيَّـةٌ عديـدة تقـوم بـه في إفريقيـا: يجعـل أحـدَ أفـراده مـن كُلِّ جيـلٍ يلعـب دَورَ الحافـظ لتاريـخ أسرتـه حتـى الآن. بـدأ إيـدي كي في تخزيـن أسـماء ومُغامـرات أسـلافه في عقلـه مـن جِهَتَـيْ أُمِّـه وأبيـه مـن الأسرة عندمـا كان في السادسـة فقـط مـن عمـره. وبينـما جلـس في مقدِّمـة حافلـة الكـوارث، ينظـر مـن الزُّجـاجِ الأمامـي، واتـاه شُـعورٌ

أنـه نفسـه حافِلَـة، وأنَّ عينَيْـه هـما الزُّجـاج الأمامـي لهـا، الـذي يسـتطيع أجـدادُه النَّظرَ عَـبرَهُ إن أرادوا.

فرانسـيس سـكوت كي لم يَكُـن إلَّا واحِـدًا مـن آلاف الأسـلاف. في حالـة حـدوث الفرصـة شـبه المعدومـة، أن يكـون فرانسـيس هـو مَـن ينظـر عـبر عيـونِ إيـدي إلى مـا صـارت عليـه الولايـات المتحـدة الآن، ركَّـز إيـدي عينَيْـه عـلى العَلَـمِ الأمريـكي الملُصَـقِ عـلى الزُّجـاج الأمامـي. وقـال هامسًـا: "لا يـزال يُرَفـرِفُ يـا رَجُـل".

* * *

إلمـام إيـدي كي بمـاضٍ زاخِـرٍ جعـل الحيـاةَ أكـثرَ إثـارَةً للاهتـمام بالنسـبة لـه أكـثر مِـمَّا هـي بالنسـبة لدوايـن مثـلًا، أو لي، أو لكيلجـور تـراوت، أو بالنسـبة لأيِّ شَـخصٍ أبيـضَ آخَـرَ في ذلـك اليـوم بمدينـة ميدلانـد. لم يُجـرِّب أيُّنـا إحسـاسَ أن يسـتخدم شَـخصٌ آخَـرُ أعيُنَنـا أو أيادينـا. لم نَعلَـم حتـى مَـن كان أجدادنـا أو جَدَّاتِنـا القدامـى. إيـدي كان يطفـو عـلى نهـرٍ مَـليء بأُنـاسٍ يَعومـون حولـه طـوال الوقـت. أنـا ودوايـن وتـراوت كُنَّـا حَـصًى يَقبَـعُ سـاكِنًا.

ولأن إيـدي كي كان يَعلَـمُ الكثـيرَ عـن ظَهـرِ قَلـبٍ، كان في مقـدوره الشُّـعورُ بعُمـقٍ وحَـرارَةٍ بدوايـن هوفـر مثـلًا، وبدكتـور سـيبريان أوكوينـدي أيضًـا. دوايـن كان رَجُـلًا اسـتولت أُسرَتُـه عـلى مزرعـة الطائـر الأزرق. أوكوينـدي، الإنـداروي، اختطَـفَ بَعـضُ أسـلافِهِ أحـدَ أسـلافِ كي في السَّـاحِلِ الغَـربيِّ الإفريقـي، رَجُـلًا يُدعـى أوجومـوا. باعـه الإنداروِيـين مُقابِـلَ بندقيَّـة مسـكيت للنَّخَّاسـين البريطانيِّـين، الذيـن أخذوه في سـفينَةٍ اسـمُها سـكايلارك إلى مدينـة تشارلسـتون في ولايـة كارولينـا الجنوبيـة، حيـث عُـرِضَ في مـزادٍ كآلَـةٍ زراعَـةٍ ذاتِيَّـةِ الدَّفـع والإصـلاح.

ومـا إلى ذلك.

* * *

دُفِعَ بدوايـن هوفْـر ليصعـد عـلى مـتن مارثـا عـبر البـاب المُـزدَوَجِ الكبير في المؤخَّـرة أمـام مقصـورة المُحـرك. وكان إيـدي كي عـلى مقعَـدِ السَّـائق، يُتابـع مـا يحـدث بالمـرآةِ الخَلفيَّـة. كان دوايـن مُقمَّطًـا بإحـكامٍ بمُـلاءاتٍ قُماشـيَّة، حتـى بـدا لإيـدي في المـرآةِ مثـل إصبـعِ إبهـامٍ في ضـمادة.

لم يلاحـظ دوايـن القيـود. اعتقـد أنـه عـلى الكوكـب البِكـرِ المَوعـودِ بـه في روايـة كيلجـور تـراوت. حتَّـى عندمـا تَمـدَّد أفقيًّـا بجـوار سـيبريان أوكوينـدي وكاشـدرار ميازمـا، حَسِـبَ أنـه يَقِـفُ. أخـبره الكتـابُ أنـه ذهـب ليَسـبَحَ في المِيـاه البـاردة عـلى الكوكـب البِكـر، وأنـه يصيـح بأشـياءَ مُفاجِئَـةٍ عندمـا يخـرج مـن حَـوضِ المـاء المُثلَّـج طـوال الوقـت. إنهـا لُعبَـةٌ، فيهـا يحـاول خالِـقُ الكَـون تَخمـينَ مـا سـيصيح بـه دوايـن كلَّ يـوم، ويكسـبها دوايـن كُلَّ مَـرَّة.

هـذا مـا صـاح بـه دوايـن في سـيَّارة الإسـعاف: "وداعًـا أيهـا الاثنـين الأزرق!"، ثـم بـدا لـه أن يومًـا آخـرَ قَـد مَـرَّ عـلى الكوكـب البِكـر، وحـان وقـتُ الصِّيـاح مُجـدَّدًا، صـاح: "لا سُـعالَ في السَّـيَّارة[1]".

* * *

كيلجـور تـراوت كان واحِـدًا مـن المُصابـين القادِريـن عـلى المَـشي. اسـتطاع الصعـودَ إلى مارثـا دون مُسـاعَدَةٍ، واختـار الجلـوسَ بعيـدًا عـن الطـوارئ الحقيقيـة. كان قـد قفـز عـلى ظهـر دوايـن هوفْـر عندمـا جَـرَّ دوايـن فرانسـين بيفكـو مـن غُرفَـةِ العَـرضِ بوكالـة السَّـيَّارات إلى الأسـفلت. أراد دوايـن أن يُبرِحَهـا ضربًـا في العَلَـن، وهـو شيء جَعَلتـه كيميـاؤه السَّـيِّئة يَعتَقِـدُ أنهـا اسـتحقَّته تمامًـا.

(1) "لا سُـعالَ في السـيارة Not a cough in a carload": الشُّـعار الإعـلانيُّ لِنَـوعٍ مـن السـجائر الأمريكيـة كان يُدعـى (أولـد جولـد Old Gold) في ثلاثينيـات القـرن العشريـن. [المترجـم]

كان دوايــن قــد كــسر بالفعــل فَكَّهــا وثلاثًــا مــن أضلُعِهــا في المكتــب. عندمــا دحرجهــا إلى الخــارج، كان هنــاك تَجَمهُــرٌ قوامُــه القادمــون مــن البــار ومطبــخ الهوليــداي إنّ الجديــد إلى الخــارج. قــال للجمهــور: "هــذه أفضــل آلــةِ مُضاجَعَــةٍ في الولايــة. لُــفَّ زُنبُرَكَهــا، وســتنام معَــكَ وتقــول إنهــا تُحِبُّــكَ، ولــن تخــرس حتــى تُعطِيَهــا فــرع دجــاج كنتــاكي".

وما إلى ذلك.

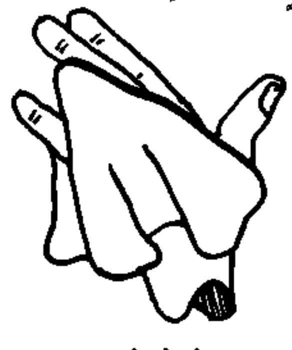
وجذبه تراوت من الخلف.

وبشــكلٍ مــا انزلقــت بنــصرُ تــراوت إلى فــم دوايــن، فقضــم دوايــن عُقلَتَهــا العلويَّــة. بعدهــا أطلــق دوايــن سراحَ فرانســين؛ فســقطت عــلى الأســفلت. كانــت فاقِــدَةً للوعــي، والأكــثر تَــضرُّرًا مــن بــين الجميــع. وانطلــق دوايــن يجــري كالحصــان فــوق الحــوض الأســمنتيّ بجــوار الطريــق الســريع، وبصــق عُقلَــةَ إصبــعِ كيلجــور تــراوت في شــوجر كريــك.

* * *

لم يُفضِّــل كيلجــور تــراوت أن يَتمــدَّد عــلى سريــرٍ في مارثــا. اســتقرَّ في المقعــد الجلــدي خلــف إيــدي كي. ســأله كي مــا خَطبُــه، فرفــع تــراوت يــده اليُمنــى، التــي يُغطِّــي أغلبَهــا مِنديــلٌ دامٍ، مثــل تلــك:

صاح دواين: "زَلَّةُ لِسانٍ قد تقتل إنسانًا".



* * *

صاح دواين: "أتذكرون بيرل هاربور؟". أغلب ما فعله خلال الدقائق الخمس وأربعين المنقضية، كان مُجحِفًا إلى حَدٍّ شنيع. لكنه على الأقل ترك واين هوبلر يذهب. عاد واين إلى التَّلكُّؤ بين السَّيَّارات المُستَعمَلَة من جديد، دون أن يَمسَّه سوءٌ. والتقط السُّوارَ الذي تركته هناك ليجده.

أمَّا فيما يَخصُّني: حافَظتُ على مسافةٍ مُحتَرَمَة بيني وبين العنف، مع أني مَن خَلَقتُ دواين وخَلَقتُ عُنفَه وخَلَقتُ المدينة، والسماء فوقهم والأرض تحتهم. برغم ذلك، خرجتُ من الشَّغب بزُجاجِ ساعَةٍ مَكسورٍ وما سيتَّضِح لاحقًا أنها إصبعُ قَدَمٍ مَكسور. قفز شخصٌ ما إلى الوراء ليهرب من طريق دواين، فكسر زُجاجَ ساعتي، مع أنِّي خَلَقتُه، وكسر إصبع قدمي.

* * *

هذا ليس من الكتب التي ينال فيها النَّاسُ ما يستحقُّون في النهاية. دواين آذى شَخصًا واحدًا فقط يستحقُّ الإيذاء فعلًا لكونه شريرًا جدًّا: دون بريدلوف. بريدلوف كان عامِلَ تَركيبِ وحداتِ غازٍ الذي اغتصب باتي كين، نادِلَة دواين في مطعم برجر تشيف بجادَّة كريستفيو، في ساحة الانتظار خارج استاد چورج هيكمان بانستر التذكاري بمقاطعة فيرجراوندز، بعدما هزمت جامعة السوداني مدرسةَ العابر البريء الثانوية في تصفيات كرة السَّلَّة للمدارس الثانوية المَحلِّيَّة.

* * *

دون بريدلوف كان في مطبخ الفندق عندما بدأت ثورة دواين. كان يصلح فُرنَ الغاز المعطوب هناك.

خرج منه بحثًا عن بعض الهواء النقي، وجاء دواين يركض نحوه. كان دواين قد بصق لِتوِّه عُقلَةَ إصبع كيلجور تراوت في شوجر كريك.

عـرف دون ودوايـن بعضهـما جيـدًا، منـذ بـاع دوايـن لـدون سـيارة بونتياك فينتـورا جديـدة، وقـال عنهـا دون إنهـا ليمونـة. الليمونـة هــي سـيَّارَةٌ لا تمـشي عـلى مـا يُـرام، ولا أحـدَ يَقـدِرُ عـلى تصليحهـا.

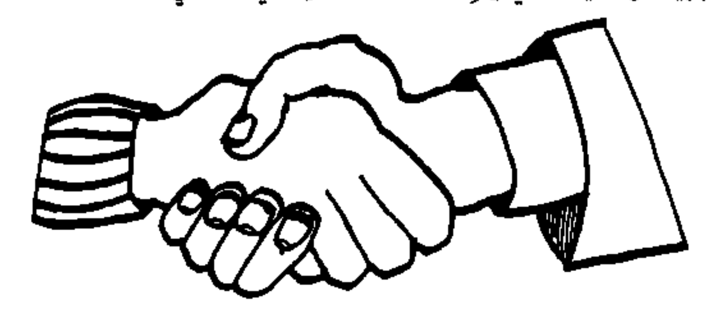
خـسر دوايـن في الواقـع أمـوالًا في ذلـك التَّعامُـل، بعدمـا قام بتحسـيناتٍ واسـتبدال أجـزاء في محاوَلَتِـه لإرضـاء بريدلـوف. لكـنَّ بريدلـوف لم يُرضِـه شيءٌ، وفي النهايـة كتـب بحـروفٍ صفـراءَ فاقِعَـةٍ عـلى بـاب شـنطة السـيارة وكلا بابَيْهـا:

هذه السيارة

ليمونة

بالصُّدفـة، هـذا كان الخَطـبَ الحَقيقـيَّ بالسـيارة: ابـن جـار بريدلـوف وضـع سُـكَّر قَيْقَـبَ في خَـزَّان وقـود الفينتـورا. سُـكَّرُ القَيْقَـبِ هـو نـوعٌ مـن الحلـوى المصنوعـة مـن دمـاء الأشـجار.

هكـذا مَـدَّ دوايـن هوڤـر يـده اليمنـى إلى بريدلـوف، وبـدون تفكـير أخـذ بريدلـوف يَـدَه في يَـدِه. اتَّصَلَـت الأيـادي كالتَّـالي:



ذلـك كان رمـزًا للصَّداقـة بـين الرجـال. بالإضافـة إلى أن الطريقـة التـي يصافـح بهـا الرَّجُـلُ غَـيرَه تقـول الكثـيرَ عـن شـخصيته. اعتـصر دوايـن ودون بريدلـوف أيـادي بعضهـم بجفـافٍ وقُـوَّة.

تَمَسَّـك دوايـن بِيَـدِ دون بريدلـوف اليُمنـى، وابتسـم كـما لـو أنـه عفـا عـمَّا سَـلَفَ. ثـم ثنـى يـده اليُـسرَى عـلى شـكل كأس، وصفـع أُذُنَ دون بالجانـب المفتـوح مـن الـكأس. أدَّى هـذا إلى ضَغـطٍ جَـوِّيٍّ هائـل في أذن دون. وقـع عـلى الأرض لأن الألم كان شـديدَ السُّـوء. لـن يسـمع دون بهـذه الأُذُنِ مُجـدَّدًا.

* * *

هكـذا كان دون أيضًـا في سيارة الإسـعاف، جالسًـا مثـل كيلجـور تراوت. فرانسـين كانـت مُمـدَّدَةً، فاقِـدَةً للوعـي، لكـن تتـأوَّه. بياتريـس كيدسـلر كانـت مُمِـدَّةً، رغـم كونهـا قـادِرَةً عـلى الجلـوس، فَكُّهـا كان مكسـورًا. بـاني هوڤـر كان مُمِـدًّا، صـار لا يمكـن التَّعـرُّف عـلى وجهـه، ولـو حتـى كوَجـهٍ فقـط. أعطـاه سـيبريان أوكوينـدي المورفـين.

وكان هنـاك خمـس ضحايـا آخـرون أيضًـا: أنثى بيضـاء، وذَكَـرَان أبيضان، وذَكَـران أسـودان. البِيـضُ الثَّلاثَـةُ لم يـزوروا مدينـة ميدلانـد مـن قبـل. كانـوا

في طريقهم معًا من مدينة إيري في بنسلفانيا، إلى الجراند كانيون، وهو أكثر الصُّدوع عُمقًا في الكوكب. أرادوا أن ينظروا إلى الهاوية، لكنَّ الفُرصَةَ لن تُتاحَ لهم أبدًا. اعتدى عليهم دواين هوڤر فيما هم مُتَّجِهون من السَّيَّارة إلى لوبي الهوليداي إنّ الجديد.

وكِلَا الذَّكَرَيْن الأسودين كانا من مُوظَّفي مطبخ الفندق.

* * *

حاول سيبريان أوكويندي نَزعَ حِذاء دواين هوڤر، لكنَّ حِذاءَ هوڤر وأربِطَتَه وجَورَبَه كانوا مُفعَمين بالمادَّة البلاستيكية، التي عَلِقَت بهم عندما خاض في شوجر كريك.

لم يكن أوكويندي في حيرةٍ من وحدة الحذاء والجوارب البلاستيكية تلك؛ فهو يرى مثلها في المستشفى كل يوم، في أقدام الأطفال الذين يلعبون بالقرب من شوجر كريك أكثرَ من اللازم. بل كان في الواقع يَحتَفِظُ بمقَصٍّ حديديٍّ مُعلَّق على حائط غرفة الطوارئ بالمستشفى، لِقَطعِ وحدات الأحذية والجوارب البلاستيكية.

استدار لمُساعِدِه البِنجاليّ، الطبيب الشاب كاشدرار ميازما.

قال: "هات لي مِقصًّا".

كان ميازما يقف بظهره مُستَنِدًا إلى باب حمَّام السيدات في أوتوبيس الطوارئ. لم يفعل أيَّ شيء حتى الآن للتَّعامُل مع الطوارئ، قام أوكويندي والشرطة وفريق الدفاع المدني بكلِّ العمل حتى الآن. رفض ميازما حتَّى البَحثَ عن مقصٍّ.

ميازما ببساطَةٍ لم يَكُن عليه أن يعمل في مجال الطِّبِّ على الإطلاق، أو على الأقل في أيِّ حَقلٍ يُحتَمَل فيه أن يَتعرَّض للنقد. لم يستطع تَحمُّلَ النقد. تلك كانت سِمَةٌ فيه تتجاوز قُدرَتَه على السيطرة. أي

إشارة إلى أي شيء فيه ليس شديدَ الرَّوعَة، تُحوِّله أوتوماتيكيًّا إلى طفلٍ مُتذَمِّرٍ بلا فائدة، لا يفعل شيئًا إلَّا ترديدَ أنه يريد الذهاب إلى المنزل.

وهذا ما قاله عندما طلب منه أوكويندي للمرة الثانية أن يَجِدَ مَقَصًّا: "أريد الذهاب إلى المنزل".

ذلك كان الشيء الذي تعرَّضَ للنَّقد بسببه، قبل ورود البلاغ أن دواين هاج كثور: بَتَرَ ميازما قَدَمَ رَجُلٍ أسود، مع أن القَدَم كانت على الأرجح قابِلَةً للإنقاذ.

وما إلى ذلك.

* * *

بوسعي أن أمضي أكثر وأكثر في ذِكْرِ التفاصيل الحميميَّة لحياة الأشخاص الموجودين في حافلة الإسعاف الخارقة، لكن ما فائدة المَزيدِ من المعلومات؟

أنا أتَّفِق مع كيلجور تراوت فيما يَخُصُّ الروايات الواقعية وتَراكُم التفاصيل شديدة الدِّقَّة فيها. في رواية تراوت (بنك الذاكرة العابر للقارات)، البطل في سفينة فَضاءٍ طولها مائتا ميلٍ، وقُطرُها اثنان وستون ميلًا. استعار روايةً واقعيَّةً من فرع المكتبة في حَيِّه، قرأ منها حوالي سِتِّين صَفحَةً، ثم أعادها إلى المكتبة.

سألَته أمينةُ المكتبة لماذا لا تُعجِبه، قال لها: "أنا أعرف الكثير عن البشر بالفعل".

وما إلى ذلك.

* * *



بـدأت مارثـا في التَّحـرُّك. رأى كيلجـور تـراوت لافِتَـةً أحبَّهـا كثـيرًا. هـذا مـا تقـول:



وما إلى ذلك.

عـاد وَعـيُ دوايـن هوفـر للَحظَـةٍ وجيـزة إلى الأرض. تحدَّث عـن فتحِ نادٍ صحِّـيٍّ في ميدلانـد، بـآلاتِ تَجديـفٍ ودَرَّاجـات ثابِتَـة وچاكـوزي ومصابيـحَ شمسـيَّةٍ وحـمَّام سـباحَةٍ، ومـا إلى ذلـك. قـال لسـيبريان أوكوينـدي إن الفكـرة في النـوادي الصِّحِّيَّـة هـي فَتحُهـا ثـم بَيعُهـا في أقـرب فرصـة مُمكِنَـةٍ مُقابِـلَ رِبـح. قـال: "يتحمَّـس النـاس بسُرعَـةٍ لفُقـدان الـوَزن واسـتعادة

اللياقـة، فَيُسـجِّلون في البرنامـج، ثـم يفقـدون اهتمامَهـم بعـد سَـنَةٍ أو نحـو ذلـك، ويتوقَّفـون عـن المجـيء. هكـذا هـم النـاس".

وما إلى ذلك.

* * *

لـن يَفتَتِـحَ دوايـن أيَّ نـادٍ صِحِّـيٍّ. لـن يفتَتِـحَ أيَّ شيء بعـد ذلـك أبـدًا. سيُقاضيه النَّـاسُ الذيـن آذاهـم دون حَـقٍّ بشَراسـة انتقاميَّـةٍ حتـى يُفلِـس. سـيُصبِحُ "بالونَّـا" عجـوزًا باهِتًـا آخـرَ مـن بالونـات حـي سـكيد-رو، الـذي هـو حـيُّ فُنـدُقِ فيرتشـايلد الـذي كان ذاتَ يـومٍ فاخـرًا. سـيصبح المُـشرَّدَ الوَحيـدَ الـذي يُمكِـنُ أن يُقـال عنـه بِحـقٍّ: "أتـراه؟ أتُصَـدِّق ذلـك؟ إنـه لا يملـك حتـى الهَـواءَ، لكنـه ذاتَ يَـومٍ كان فاحِـشَ الـثَّراء".

وما إلى ذلك.

قـشَّر كيلجـور تـراوت شرائِـحَ البلاسـتيك عـن أقدامـه المُحترِقَـة في سـيارة الإسـعاف. اضطرَّ لاسـتخدامِ يَـدِه اليُسرَى السـليمة.



خاتمة

غُرفَـةُ طـوارئ المستشـفى كانـت في قَبوِهـا. بعدمـا طُهِّـرَت جَدَعـة بُنـصُرِ كيلجـور تـراوت وخِيطَـت وضُمِّـدَت، قيـل لـه أنْ يَصعَـدَ إلى الشـؤون الماليـة في الـدور العلـوي. كان عليـه مَـلءُ بعض الاسـتمارات، بمـا أنـه مـن خـارج مقاطعـة ميدلانـد وبـلا تأمـينٍ صِحِّـيٍّ، ومُفلِـس. لم يكـن معـه دفـترُ شـيكات، لم يكـن معـه نقـود.

تـاه في القبـو قليـلًا، مثلـما يتـوه كثـيرون. وجـد بـاب المشرحـة المـزدوج، مثلـما يجـده الكثـيرون. فكَّـر تلقائيًّـا في موتـه الحَتمـيِّ، مثلـما يُفكِّـر الكثـيرون. وجـد غُرفَـةَ أشِـعَّةٍ سـينيَّةٍ غـير مُسـتَخدَمَة، جعلتـه يتسـاءل تلقائيًّـا إن كان هنـاك شيءٌ مـا خبيـث ينمـو داخلـه. مَـرَّ ذاتُ التَّسـاؤل في خاطـر الكثيريـن عنـد عبورهـم بتلـك الغرفـة.

لم يشـعر تـراوت الآن بـشيءٍ لـن يشـعر بـه الملايـين غـيره مـن البـشر تلقائيًّـا.

ووجـد تـراوت سـلالِمَ، لكنهـا ليسـت السَّـلالِمَ الصحيحـة؛ فقـد أخذتـه لا إلى البَهـوِ ومَكتَـبِ المُحاسِـب ومَتجَـرِ الهدايـا وهـذه الأشـياء، بـل إلى

مصفوفَـةٍ مـن الغُـرَفِ حيـث يتعـافى النـاس مـن إصابـاتٍ مـن جميـع الأنـواع، أو يـزدادون سَـقَمًا. كان الكثـيرون هنـا مُلتَصِقـين في الأرض بقـوَّةِ الجاذبيـة، وهـي قـوَّةٌ لا ترتخـي ولـو لثانيـة.

عـبر تـراوت مـن أمـام غُرفـةٍ خاصَّـةٍ باهِظَـةِ الثَّمَـن، وفيهـا كان شـابٌّ أسـودُ، وهاتـفٌ أبيـضُ وتليفزيـون مُلَـوَّنٌ وعُلَـبُ حلـوى وباقـاتُ زهـور في كلِّ مـكان. كان ذلـك إلجـين واشـنطن، قَـوَّاد يُديـر عملَـه مـن الهوليـداي إنْ القديـم. كان في السادسـة والعشريـن فقـط مـن عمـره، لكنـه كان فاحِـشَ الـثراء.

كانـت سـاعات الزيـارة قـد انتهـت، وجارياتُـه السِّـتُّ اللـواتي يُتاجِـرُ بِهِـنَّ قـد ذهـبن. غـير أنَّهـن تَرَكـنَ خَلفَهـنَّ سَـحابَةً مـن العطـور. تَهـوَّع تـراوت عندمـا عـبر أمـام البـاب، في رَدِّ فعـلٍ تلقـائيٍّ للسَّـحابة العَدائيَّـة في جوهرهـا. كان إلجـين واشـنطن قـد استنشـق لِتَـوِّه الكوكايـينَ في تجاويـف جيوبـه الأنفيـة؛ مـا ضَخَّـم بشـكلٍ هائـلٍ الرَّسـائِلَ التَّخاطُريَّـةَ التـي يرسـلها ويسـتقبلها. شـعرت أنـه أكـبر مـن الحيـاة بمائـة مَـرَّة؛ لأن الرسـائل صـارت عالِيَـةً ومُثـيرَةً. كانـت الضَّجَّـةُ هـي مـا يثـيره، لا مـا تقـول.

وسـط كلِّ تلـك الضَّجَّـة، قـال إلجـين واشـنطن شـيئًا مُتَملِّقًـا لـتراوت: "يـا رَجُـل، يـا رَجُـل، يـا رَجُـل". كان دكتـور كاشـدرار ميازمـا قـد بَـتَرَ قَدمَـه مُبكِّـرًا في ذلـك اليـوم، لكنـه نَـسيَ ذلـك. نـادى مُداهِنًـا: "يـا رجـل، يـا رجـل". لم يَـرُدَّ شيءٌ بعَينِـه مـن تـراوت. جـزءٌ مـا مـن عقلـه كان يمـارس بـلا وَعـيٍ مَهارَتَـه في جـذب الغُرَبـاء إليـه. كان صَيَّـادَ أرواحِ رجـالٍ. "يـا رجـل...". أظهـر سِـنًّا ذهبيًّـا، وغمَـزَ عَينًـا.

اقـترب تـراوت مـن نهايـة سريـر الرَّجُـل الأسـود. لم يكـن ذلـك بدافِـعٍ مـن التَّعاطُـف، كان يَتحـرَّك آليًّـا مُجـدَّدًا. تـراوت، مثـل كثـير مـن الأرضيِّـين، كان مُغفَّـلًا فول-أوتوماتيـك عندمـا يتعلَّـق الأمـرُ بشـخصيَّةٍ سـامَّةٍ مثـل إلجـين واشـنطن تقـول لـه مـا يريـد ومـا يفعـل. كِلا الرَّجُلَـيْن، بالصُّدفَـة،

كان يعـود أصلهـما إلى الإمبراطـور شـارلمان. أي شـخصٍ ذو دمـاء أوروبيـة في عروقـه هـو سَـليلٌ للإمبراطـور شـارلمان.

أدرك إلجـين واشـنطن أنـه اجتـذب إنسـانًا آخـرَ دون قَصـدٍ. لم يَكُـن مـن طَبعِـه أن يَدَعَـه يذهـب دون أن يُقَلِّـلَ منـه، دون أن يُشـعِرَه أنـه أحمَـقُ بِشَـكلٍ مـا. في بعـض المـرَّات قتـل رِجـالًا ليُقلِّـلَ منهـم. لكنـه كان لطيفًـا مـع تـراوت. أغلـق عينيـه وكأنّـه يُفكِّـر بعُمـقٍ، ثـم قـال بِصِـدقٍ: "أعتقـد أني أمـوت".

قال تراوت: "سأُحضِرُ مُمرِّضَةً". أي إنسان كان سيقول الشيء ذاته.

قـال إلجـين واشـنطن، مُلوِّحًـا بِيَـدِه في اعـتراضٍ حـالم: "لا، لا.... أنـا أمـوت ببـطء، بالتدريـج".

قال تراوت: "أرى ذلك".

قـال واشـنطن: "اعمَـلْ فيَّ معروفًـا". لم يملـك أدنى فِكـرَةٍ عـن المعـروف الـذي سـيطلبه. لكـن سـيَخطُرُ عـلى بالـه واحـدٌ. دائمًـا مـا تخطـر لـه أَفـكارُ خدمات.

قـال تـراوت بعـدم ارتيـاح: "أي معـروف؟". تيبَّـس عنـد ذِكـرِ مَعـروفٍ غـير مُحـدَّد. كان مـن ذلـك النـوع مـن الآلات. وواشـنطن عـرف أنـه سـيتيبَّس. كُلُّ إنسـانٍ هـو مـن ذلـك النـوع مـن الآلات.

قـال: "أريـدك أن تسـمعني بينـما أصفِّـر أغنيـةَ العندليـب". وأمـر تـراوت أن يَسـكُتَ بِتَوجيـهِ نَظـرَةٍ شِرِّيـرة إليـه.

قـال: "مـا يُضاعِـفُ الجَـمالَ الغريـب لنـداء العندليـب، الـذي يعشـقه الشُّـعراءُ، حقيقـةَ أنـه لا يغنِّـي إلَّا في ضـوء القمـر". ثـم فعـل مـا يفعلـه كُلُّ شـخصٍ أسـود في ميدلانـد تقريبًـا: حـاكَى صَـوتَ العندليـب.

* * *

تأجَّـل مهرجـان ميدلانـد للفنـون بسـبب الجنـون. فريـد تي. بـاري، مديـر المهرجـان، جـاء إلى المستشـفى في سـيارته الليموزيـن، يلبـس مثـل الصينيِّـين، ليُقـدِّم تَعاطُفَـه إلى بياتريـس كيدسـلر وكيلجـور تـراوت. لم يسـتطِعْ أَحَـدٌ إيجـادَ تـراوت في أيِّ مـكان. وبياتريـس كيدسـلر كانـت قـد نامـت بالمورفـين.

افـترض كيلجـور تـراوت أن مهرجـان الفنـون سـيحدث برغـم كُلِّ شيء هـذه الليلـةَ. لم يكـن معـه أيُّ نقـود لأيِّ وسـيلةِ مُواصَـلاتٍ؛ فانطلـق عـلى قدَمَيْـه. بـدأ طريـق الخمسـة أميـال بالسَّـيرِ في جـادَّةِ فيرتشـايلد، مُتوَلِّيًـا نُقطَـةً صغـيرةً متوهِّجَـة في آخـر المطـاف. النقطـة كانـت مركزَ فنـونِ مدينة ميدلانـد. سـيجعلها تكـبر بالمَـشيِ إليهـا. عندمـا يجعلهـا مَشـيُه كَبـيرةً بمـا يكفـي، سـتبتلعه. وسـيكون هنـاك طعـامٌ.

* * *

عـلى بُعـد سِـتِّ مُربَّعـاتٍ سَـكنيَّةٍ تقريبًـا، انتظرتُـه لأعـترض طريقـه. جلسـتُ في سـيارة بليمـوث داسـتر، اسـتَأجَرتُها مـن شركـة أفيـس لتأجـير السـيارات، ببطاقتـي الائتمانيّـة مـن دايـنرز كلـوب. كان في فمـي أنبوبـةٌ وَرقيَّـةٌ، مَحشـوَّة بـأوراق أشـجار. أشـعلتها. ذلـك كان فعـل elegant.

طـول عُضـوي كان ثـلاثَ بوصـات، وقُطـرُه خَمـسَ بوصـات. قُطـرُ قَضيبـي هـو الأكـبرُ عالَميًّـا عـلى مـا أَظُـنُّ. ارتخـى الآن في سروالي الداخليِّ. وخرجـت مـن سـيَّارتي لأفـرد رجـلي، مـا كان فعـل elegant آخـر. كنـتُ بـين المصانـع والمسـتودعات. أضـواء الشـوارع كانـت مُتباعِـدَةً وواهِنَـة. سـاحات رُكـنِ السَّـيَّارات كانـت خاويـةً عـدا مـن سـيارات خُفَـراء الليـل، التـي كانـت مُتناثِـرَةً هنـا وهنـاك. لم يكـن هنـاك أيُّ مـرور في جـادَّة فيرتشـايلد، التـي كانـت ذات يـومٍ شريـانَ المدينـة الأورطـي. امتـصّ رحيـقَ الحيـاة منهـا الطَّريـقُ السَّريـعُ وحـزام روبـرت إف. كينـدي الداخـلي، الـذي بُنِـيَ عـلى مسـار خَـطِّ مونـون للسِّـكَّة الحديديّـة القديـم. لم تَعُـد مونـون موجـودةً.

* * *

لم تَعُد موجودةً.

* * *

لا ينـام أحـدٌ في ذلـك الجانـب مـن المدينـة. ولا يوجـد مَـن يَتجـوَّل هنـاك. يتحـوَّل إلى مجموعـةِ قِـلاعٍ في الليـل، بأجهـزةِ إنـذارٍ وأسـوارٍ عالِيَـةٍ وكلابِ حِراسَـةٍ، التـي كانـت آلاتِ قتـلٍ.

عندمـا خَرَجـتُ مـن سـيارتي البليمـوث، لم أَخَـف مـن شيء، وكان في ذلـك غَبـاءٌ مِنِّـي. المُؤلِّـف الغافـل، خاصَّـةً عندمـا تكـون مـوادُّ عَمَلِـه بهـذه الخطـورة، عليـه أن يتوقَّـع هجـمات مُؤلِمَـة عـلى حـينِ غِـرَّة كصواعِـقِ الـبَرق.

كنـت عـلى وشـك التَّعـرُّض للهجـوم مـن قبـل كَلـبِ دوبرمـان بينـشر، والـذي كان شـخصيَّةً رئيسـيَّةً في نُسـخَةٍ سـابِقَةٍ مـن هـذا الكِتـاب.

* * *

اسـمَعْ: اسـم الدوبرمـان كان كازاك. كان يَحـرُسُ سـاحة توريـد شركـة ماريتيمـو بـروزرز للمقـاوَلات في الليـل. مُدرِّبـو كازاك، أيْ النـاس الذيـن شرحـوا لـه أيَّ نَـوعٍ مـن الكواكـب هـو ذلـك الـذي يمـشي عليـه، وأي نـوع مـن الحيوانـات هـو، علَّمـوه أن خالِـقَ الكـون أراد منـه قَتـلَ أيِّ شيء يسـتطيع الإمسـاك بـه، وأكلـه أيضًـا.

في نُسـخَةٍ سـابِقَةٍ مـن هـذا الكتـاب، جعلـت بنچامـين دايڤـز، الـزوج الأسـود للـوتي دايڤـز، خادمـة دوايـن هوڤـر، يعتنـي بـكازاك. كان يُلقـي بقطعـة لَحـمٍ نَيِّئَـة إلى الحفـرة التـي يعيـش فيهـا كازاك في النهـار، يَجـرُّ كازاك إلى الحفـرة مـع شروق الشـمس، يـصرخ فيـه ويرميـه بكُـراتِ التِّنِـس عنـد غـروب الشـمس، ثـم يُطلِـقُ سراحـه.

كان بنچامين دايڤز عازِفَ البوق الأول بأوركسترا سيمفونية مدينة ميدلاند، لكنه لم يَتلَقَّ أيَّ راتِبٍ مُقابِلَ ذلك؛ فاحتاج إلى وظيفة حقيقية. ارتدى ملابسَ سميكةً مَصنوعةً من مراتِبِ مُخلَّفات الحرب والأسلاك المعدنيَّة، حتى لا يستطيعَ كازاك قَتلَه. حاوَلَ كازاك وحاول. يمكن إيجاد قِطَعٍ من المراتب والأسلاك في كل أنحاء الساحة.

وفَعَلَ كازاك أفضل ما بوسعه لقتل أيِّ شَخصٍ يقترب أكثرَ من اللازم من السُّور المُحيط بكوكبه. قَفَزَ تجاهَ الناس وكأنَّ السُّورَ غيرُ موجودٍ. انبعج السُّورُ إلى الخارج في اتجاه الرصيف، بدا وكأنَّ أحدَهم يُطلِقُ عليه قَذائِفَ مدفعيَّةً من الداخل.

كان يجب أن أُلاحِظَ شَكلَ السُّور الغريب عندما خرجتُ من سيَّارتي، عندما أشعَلتُ السيجارة بطريقة elegant. كان يجب أن أعرف أن شخصيَّةً بشراسة كازاك لا تُحذَف من الروايات بسهولة.

كازاك كان رابِضًا خلف كَومَةٍ من الأنابيب البرونزية اشترتها ماريتيمو بروزرز في صباح ذلك اليوم من لِصٍّ بِسِعرٍ بَخسٍ. كازاك كان ينوي قَتلي.

* * *

أَدرتُ ظَهري للسور، وأخذت نَفَسًا عميقًا من سيجارتي. ستقتلني بول مول عاجلًا أم آجلًا. وتأمَّلتُ فَلسفيًّا أسوارَ قصر كيدسلر القديم التي يَكتَنِفُها الظلام، على الناحية الأخرى من جادَّة فيرتشايلد.

نَشَأت بياتريس كيدسلر هناك. أشهر جرائِمِ قَتلٍ في تاريخ المدينة حَدَثَت هناك. ويل فيرتشايلد، بطل الحرب، وخال بياتريس كيدسلر، ظهر ذات ليلةٍ صَيفيَّةٍ في عام 1926، حامِلًا بُندقيَّة سبرينجفيلد. قتل بها خمسة من أقاربه وثلاثة من الخَدَمِ ورَجُلَي شُرطَةٍ، وكل الحيوانات

في حديقـة حيوانـات كيدسـلر الخاصَّـة. ثـم أطلـق الرصـاص عـلى نفسـه في القلـب.

عندمـا شُرِّحَـت جُثَّتُـه، وجـدوا في مُخِّـه وَرمًـا بحَجـمِ الخرطـوش. ذلـك كان سـببَ جرائـم القتـل.

* * *

بعدمـا خـسر آل كيدسـلر القـصرَ مـع بدايـة الكسـاد الكبـير، انتقـل إليـه فريـد تي. بـاري ووالـداه. امتـلأ القَـصرُ القديـم بأصـوات الطيـور البريطانيـة. أمـسى الآن مِلكيَّـةً صامِتَـةً للمدينـة، وهنـاك حديـثٌ عـن تحويلـه إلى مُتحَـفٍ، حيـث يسـتطيع الأطفـال تَعَلُّـمَ تاريـخ مدينـة ميدلانـد، كـما تحكيـه رؤوسُ الأسـهم والحيوانـات المُحنَّطَـة، وآثـار الرجـال البِيـضِ القديمـة.

عـرض فريـد تي. بـاري أن يتـبرَّع بنصـف مليـون دولار للمُتحَـفِ المُقتَرَح، بـشرطٍ واحـد: أن تُعـرَضَ فيـه أوَّلُ روبـو ماجيـك والمُلصَقـات الدعائيـة القديمـة لهـا.

وأراد أن يُعـرَض أيضًـا فيـه كيـف تطـوَّرَت الآلات مثلـما تَطـوَّرَت الحيوانـات، لكـن بسرعـة أكـبر بكثـير.

* * *

حدَّقـتُ في قـصر كيدسـلر، ولم أتخيَّـل قَـطُّ أن هنـاك كلبًـا يغـلي عـلى وَشـك الفـوران خلفـي. اقـترب كيلجـور تـراوت. كنـتُ لا أكاد أكـتَرِثُ لِقُدومـه، رغـم أننـا كانـت لدينـا أشـياء بالِغَـة الأهمِّيَّـة يجـب أن نتبـادل قَولَهـا عـن خَلقـي لـه.

فكَّـرتُ بـدلًا مـن ذلـك في جَـدِّي لأبي، الـذي كان أوَّلَ مَـن يحصـل عـلى رُخصَـة مُهنـدِسٍ مِعـماريٍّ في ولايـة إنديانـا. صَمَّـمَ عَـددًا مـن بيـوت

الأحـلام لمليونـيرات إنديانـا. صـارت تلـك الآن ثلّاجـاتِ مـوتى ومـدارس جيتـار وسراديـب قَبـوٍ. فكَّـرتُ في أُمِّـي، التـي أخذتنـي في جولَـةٍ بالسَّيّارة حـول مدينـة إنديانابوليـس ذاتَ مَـرَّةٍ إبّانَ الكسـاد الكبـير، لِتُبهِـرَني بالمـدى الـذي كان عليـه ثَـراءُ أبيهـا وقُوَّتـه. أَرَتنـي أيـن كان مَصنَعُـه للبـيرة، وأيـن كانـت بعـض بيـوت الأحـلام التـي امتلكهـا. كلُّ تلـك المعـالم لم تعُـد أكـثرَ مـن سراديـب قبـو.

كيلجـور تـراوت صـار عـلى مَبعـدَةَ نِصـفِ مُربَّـعٍ سَـكنيٍّ مـن خالِقِـه الآن، وأبطـأ مـن خطـاه. جعلتـه يقلَـقُ.

اسـتدَرتُ ناحيتَـه، حتـى تصبـح تجاويـف الجيـوب الأنفيـة عنـدي، حيـث تُرسَـلُ وتُستَقبلُ كل الرسـائل التخاطُريَّـة، عـلى خَـطٍّ مُسـتقيمٍ مـع نظيرتهـا عنـده. قلـتُ لـه ذلـك بالتَّخاطُـر: "عنـدي لـك أخبـارٌ حُلـوَة".

قفز كازاك.

* * *

رأيـت كازاك برُكـنِ عَينـي اليُمنـى. عينـاه كانتـا مـراوحَ تَـدور، أسـنانه كانـت خناجِـرَ بَيضـاءَ، لعابـه كان سـيانيد، دمـاؤه كانـت نيتروجليسريـن.

كان يحوم في اتجاهي مثل منطادٍ يتهادى بكسل في الهواء.

أخبَرَت عيناي عقلي عنه.

أرسـل عقـلي رسـالةً إلى منطقـةِ تَحـت المِهـاد، تخبرهـا بـأن تُفـرِزَ هرمـون سي. أر. إف. في الأوعيـة القصـيرة التـي تربـط تحـت المِهـاد بالغُـدَّة النخاميـة.

جعـل هرمـون سي. أر. إف. الغُـدَّة النُّخاميـة ترمـي بهرمـون إيـه. سي. تي. إتـش. في مَجـرَى الـدم. كانـت غُـدَّتي النخاميـة تصنـع وتُخـزِّن هرمـون

إيـه. سي. تي. إتـش. تَحسُّـبًا لمثـل تلـك المناسـبة. وأخـذ المنطـاد يقـترب أكـثر فأكـثر.

ووصـل بعـض الإيــه. سي. تي. إتــش. إلى الغشــاء الخارجــي للغُــدَدِ الكَظْريَّـة، التـي كانـت تَصنَعُ وتُخـزِّن الهرمـونَ القِـشريَّ السُّـكَّريَّ للطوارئ. أضافـت غُـدَدي الكَظريَّـة الهرمونـاتِ القِشريَّـةَ السُّـكَّريَّةَ إلى مجـرى دمـائي. ودارت تلـك في أنحـاء جسـدي، مُبدِلَـةً الجليكوجـين إلى جلوكـوز. والجلوكوز هـو طعـام العَضـلات، سيُسـاعِدُني عـلى القتـال كَقِـطٍّ وَحـشيٍّ أو عـلى الهـرب كغـزال.

واقترب أكثر فأكثر.

ومنحتنــي الغُــدَدُ الكظريــةُ جَرعَــةً مــن الأدرينالــين أيضًــا. بــات لــوني بنفسـجيًّا فيـما ارتفـع ضغـطُ دمـي إلى عنـان السـماء. جعـل الأدرينالـين قلبـي يـدقُّ مثـل إنـذارِ كَشـفِ اللصـوص. وجعـل شَـعري ينتَصِـبُ. وجعـل أيضًـا مُخـثِّرات الـدَّمِ تَنهَمِـرُ في مجـرى دمـائي، هكـذا إن جُرِحـتُ، لا أفقـد رحيـقَ حيـاتي بسـهولة.

كلُّ مـا حـدث في جسـدي حتـى الآن يَقَـعُ ضِمـنَ الإطـار الطبيعـي لعمليَّـات الآلـة البشريـة. لكـنَّ جسـدي قـام بإجـراءٍ دِفاعـيٍّ آخـر قيـل لي إنـه الأوَّلُ مـن نوعـه في التاريـخ الطبـي. ربَّمـا حـدث لي بسـبب مـاسٍ كَهربيٍّ في سِـلكٍ أو انكسـار تـرس. أيًّـا كان، فـما حـدث كان أني سَـحَبتُ خِصيَتَـيَّ إلى التجويـف البَطنـيِّ، سـحبتهم إلى داخـل جسـدي مثلـما تسـتعيد الطائـرَةُ عَجلاتِهـا بعـد الإقـلاع. والآن يخبرونـني أني لـن أسـتطيع إخراجَهـم مُجـدَّدًا دون عمليَّـةٍ جِراحيَّـة.

عـلى كُلِّ حـال، رآني تـراوت مـن عـلى بُعـدِ نِصـفِ مُربَّـعٍ سَـكنيٍّ، دون أن يعلـم مَـن أنـا، دون أن يعلـم عـن كازاك ومـا فعلـه جسـدي بسـبب كازاك.

يـومُ تـراوت كان مليئًـا بالأحـداث حتـى الآن، لكنـه لم يَنتَـهِ بعـد. فـالآن، رأى خالِقَـه يَقفِـزُ مـن فوق سـيارة.

* * *

هبَطتُ على يديَّ ورُكبَتَيَّ في منتصف جادَّةٍ بوليفارد.

اصطـدم كازاك بالسـور. قبَضَـت عليـه الجاذبيَّـةُ مثلـما قَبَضَـت عـليَّ. طَرَحَتـه الجاذبيَّـةُ أرضًـا عـلى الخرسـانة. فقـد الكلـبُ العَبيـطُ وَعيَـه.

دار تـراوت عـلى عَقِبَيْـه. أسرع عائـدًا مُتوتِّـرًا إلى المستشـفى. نادَيتُـه، لكـن هـذا جعلـه يُـسرِع أكـثر.

فقفـزت إلى سيَّارتي وطاردتـه. كنـتُ لا أزال مسـطولًا بفعـل الأدرينالـين والهرمـون القِـشريِّ السُّـكَّريِّ وكل تلـك الأشـياء. لم أَكُـن أعلـم بَعـدُ أني سَـحَبتُ خِصيَتَـيَّ للدَّاخـل في خِضَـمِّ الإثـارة. لم أشـعر إلا بانزعـاج مُبهَـمٍ مـن تحـت.

صـار تـراوت يعـدو عندمـا أصبحـتُ بجـواره. ضَبَطتُـه عـلى سُرعَـةِ أحـد عـشر ميـلًا في السـاعة، وهـي سرعـة مُمتـازة بالنِّسـبة إلى رَجُـلٍ في مثـل عمـره. صـار هـو أيضًـا مَليئًـا بالأدرينالـين ومُختَّرات الـدَّمِ والهرمـون القِـشريِّ السـكري.

نوافـذي كانـت مفتوحـةً، ونادَيتُـه: "يـا مسـتر تـراوت! يـا مسـتر تـراوت!".

النداء بالاسم هدَّأ من سرعته.

قلـتُ: "تَريَّـث، أنـا صديـق". توقَّـف، واسـتند لاهثًـا مُنهَـكًا إلى سـور يحيـط بمسـتودع أجهـزة يعـود لشركـة چـنرال إلكتريـك. رمـز الشركـة وشـعارها كانـا مُعلَّقَـيْن في سـماء الليـل خلـف كيلجـور تـراوت، الـذي كانـت عينـاه مُتَّسِـعَتَيْن. الشِّـعارُ كان ذلـك:

التَّقدُّم

هو أهمُّ مُنتجاتِنا

* * *

قلتُ من داخل عَتَمَةِ السيارة: "يا مستر تراوت، لا يوجد ما تخاف منه. جِئتُ لأُبشِّرَكَ بسعادة عظيمة".

تمهَّل لاستعادة أنفاسه؛ لذا لم يكن كثيرَ الكلام في البداية. قال: "هل... أنت... هل أنت... من مهرجان الفنون؟". دارت عيناه في محجَرَيْهما.

أجبتُ: "أنا من مهرجان كُلِّ شيء".

قال: "من ماذا؟".

فكَّرتُ أنَّ من الأفضل أن أَدَعَه يُلقي نظرةً جَيِّدَةً عَليَّ، فحاوَلت أن أضيء بعض النور. غير أني شَغَّلتُ غَسَّالَةَ الزُّجاج الأمامي بدلًا من ذلك. أغلقتُها مرَّةً أخرى. صارت رؤيتي لأضواء مستشفى المقاطعة مُشوَّشَةً بقطرات المياه. سحبت مفتاحًا آخر، فخرج في يدي. اتَّضَحَ أنه قدَّاحة السجائر. لم يَعُد لديَّ خيارٌ إلَّا الاستمرار في الحديث من العَتَمَة.

قلتُ: "مستر تراوت، أنا روائيٌّ، أنا خَلَقتُكَ لأستَخدِمَكَ في كتبي".

قال: "اعذُرْني؟".

قلتُ: "أنا خالِقُكَ. أنتَ الآن في قلب كتابٍ، بالقُرب من نهايته في الواقع".

قال: "هممم".

"أهُناكَ ما ترغب في أن تسألني عنه؟".

قال: "اعذُرني؟".

قلتُ: "لَديكَ مُطلَقُ الحُرِّيَّة في السؤال عن أيِّ ما تريد، عن الماضي أو عن المستقبل. هناك جائِزَةُ نُوبل تنتظِرُكَ في المستقبل".

قال: "جا... ماذا؟".

"جائزة نوبل في الطب".

قال: "هاه...". بصوتٍ غير ملزم.

"ورتَّبتُ لَكَ أيضًا الوصولَ إلى ناشرٍ مُحتَرَمٍ من الآن فصاعدًا. لا حاجة بِكَ لِكُتُب القنادس بعد الآن".

قال: "هممم".

قلت: "لو كنتُ مَكانَكَ، لا شَكَّ أني سيكون عندي أسئلة كثيرة".

قال: "هل مَعكَ سِلاحٌ؟".

ضَحكتُ في الظلام، حاوَلتُ إشعالَ النُّور مرَّةً أخرى، فشغَّلتُ غَسَّالَة الزُّجاج مُجدَّدًا. "لستُ بحاجَةٍ إلى سلاحٍ لأتحكَّم بِكَ يا مستر تراوت. كل ما عليَّ هو كتابة شيءٍ ما عنكَ، وسيتحَقَّق فورًا".

* * *

قال: "أنتَ مجنون؟".

قلتُ: "لا". ثم دَمَّرتُ قُدرَتَه على الشَّكِّ بي. نَقَلتُه إلى تاج محل، ثُمَّ إلى ڤينيسيا ثم إلى دار السلام ثم إلى سطح الشمس، حيث لا يستطيع لَهَبُها أن يَلتَهِمَه، ثم أَعَدتُه من جديدٍ إلى ميدلاند.

انهار العجوزُ المِسكينُ ووَقَعَ على رُكبَتَيْه. ذَكَّرَني بالطريقة التي كانت تستجيب بها أُمِّي وأُمُّ باني هوفر لِمَن يُوجِّه نَحوَهما كاميرا فوتوغرافية.

وبينـما ينكمـش في مكانـه، نَقَلتُـه إلى برمـودا في طفولتـه، وجَعَلتُـه يتأمَّـل بَيضَـةَ نَسرِ برمـودا غـير مُخصَّبَـة. ثـم أخذتـه إلى إنديانابوليـس في طفولتـي، ووَضَعتُـه بـين جمهـور السـيرك هنـاك. جَعَلتُـه يـرى رَجُـلًا مُصابًـا باختـلاجٍ حَـرَكيٍّ، وامـرأةً ذاتَ غُـدَّةٍ دَرقيَّـةٍ أضخَـمَ مـن القَـرع العَسـليِّ.

* * *

خَرجـتُ مـن سـيَّارتي المُسـتأجَرَة. فعلـتُ ذلـك بِضجَّـةٍ، حتـى تُخبِـرَه أذنـاه بالكثـير عـن خالِقـه، حتـى لـو كان غـيرَ راغِـبٍ في اسـتعمال عينَيْـه. صَفَعـتُ البـابَ بِشِـدَّة. وفيـما اتَّجهـتُ ناحيتَـه مـن جهـة سـائق السـيارة، أدَرتُ قدمـيَّ قليـلًا؛ حتـى لا تبـدو خطـواتي مُتعَمَّـدة فقـط، بـل حازِمـة أيضًـا.

وقَفـتُ بأطـراف حـذائي عـلى حافـة نطـاق البَـصَرِ الضَّيِّـق لعينَيْـه المُسـبَلَتَيْن. قلـتُ بِرِقَّـةٍ: "مسـتر تـراوت، أنـا أُحِبُّـكَ. لقـد حطَّمـتُ عَقلَـكَ إلى فُتـاتٍ، وأودُّ جَعلَـه كامِـلًا. أريـدُكَ أن تشـعر بالكـمال وبالتَّناغُـم الداخـلي كـما لم أسـمح لـك أن تفعـل مـن قبـل. أريـدُكَ أن تفتـح عينَيْـك، وتنظـر لِـما أَحمِلُـه في يـدي".

لم يكـن في يَـدي شيء، لكـن بِقُـدرَتي عـلى تـراوت كنـتُ أسـتطيع جَعلَـه يـرى أيَّ شَيءٍ أَرَدتُـه أن يـراه. كنـتُ لأجعلـه يـرى هيلـين طـروادة مَثَـلًا لـو أَرَدتُ، فقـط واحـدة بطـول سِـتِّ بوصـاتٍ.

قلـتُ: "مسـتر تـراوت، كيلجـور، أحمـل في يـدي رمـزًا للكـمال والتناغُـم والغـذاء. إنـه شَرقـيٌّ في رَمزيَّتِـه، لكنَّنـا أمريكيُّـون يـا كيلجـور، لا صينيِّـين. نريـد نحـن الأمريكيـين مـن رموزنـا أن تكـونَ غَنيَّـةَ الألـوان وثُلاثِيَّـةَ الأبعـاد ومُفعَمَـةً بالعُصـارَة. والأهـم مـن ذلـك، نتـوق إلى رُمـوزٍ لم تُسَـمِّمْها الذُّنوبُ العُظمـى التـي ارتَكَبَتها أُمَّتُنـا، مثـل العبوديـة والإبـادة الجماعيـة وإهـمال الجريمـة، أو الجَشَـع والمكـرِ التِّجـاري البغيـض".

قلتُ: "انظُر يا مستر تراوت"، وانتظَرتُ بِصَبرٍ.

"كيلجور...؟".

نظر الرجل العجوز، وكان له وَجهُ أبي الضائع عندما بات أرملًا، عندما بات في أَرذَلِ العُمر.

رأى أن ما أحمله في يدي كان تُفَّاحَةً.

* * *

قلتُ: "أنا أقترب من عيد ميلادي الخمسين يا مستر تراوت، أنا أتطهَّر وأُجدِّد من نفسي لأجل السنوات القادمة المختلفة عمَّا سبق. في ظروفٍ روحيَّةٍ مُشابِهَة، حَرَّر الكونت تولستوي أقنانَه، وأطلق توماس چيفرسون سراحَ عَبيدِه. أنا سأَمنَحُ الحُرِّيَّةَ لِكُلِّ شخصيَّاتي الأدبية، التي خدَمَتني بوَلاءٍ شَديدٍ على مدار رحلتي في الكتابة.

أنتَ الوحيد الذي أُخبِرُه بذلك. أمَّا البقية، فالليلة بالنسبة لهم ستكون مثلَ أيِّ لَيلَةٍ أخرى. انهض يا مستر تراوت، أنتَ حُرٌّ، أنت حُرٌّ".

نهضَ مُتثاقلًا.

كنت لأصافحه، لكنَّ يَدَه اليمنى كانت مُصابَةً؛ لذا ظَلَّت أيادينا مُتَدلِّيَةً بجوارنا.

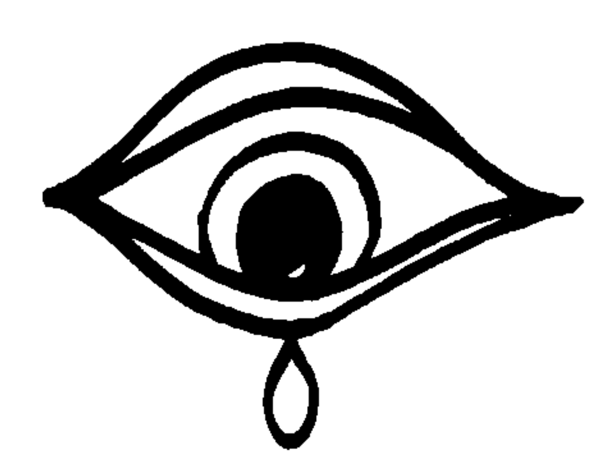
قلتُ: "رحلة سعيدة". واختفيت.

* * *

أخذت أتقلَّب بتكاسُلٍ ومُتعَةٍ في الخواء، وهو المكان الذي أختبئ فيه عندما أتجرَّد من وجودي المادي. أخَذَت صيحات تراوت عليَّ تَتلاشَى بينما تتباعَدُ المسافة بيننا.

صوتـه كان صـوتَ أبي. سَـمِعتُ أبي. ورأيـتُ أُمِّـي في الخـواء. ظَلَّـت أُمِّـي بَعيـدَةً، بعيـدة جِـدًّا؛ لأنهـا ترَكَـت لي إرثًـا مـن الانتحـار.

مـرآة يَـدٍ صغـيرة طَفَـت بالقُـربِ مِنِّـي. كانـت مَسـلَكًا، ذات مقبـضٍ وإطـار مـن اللؤلـؤ. أمسَـكتُها بسـهولَةٍ، رَفَعتُها أمـام عينـي اليمنـى، التـي تبـدو كتلـك:



هذه كانت صَيحاتِ كيلجور تراوت عليَّ بِصَوتِ أبي:

"اجعَلْني شابًّا، اجْعَلْني شابًّا، اجعلني شابًّا!".





نبذة عن المؤلف

كـورت فونيجـت جونيـور (1922 - 2007) هـو أحـد أهـم الكُتـاب الأمريكيـين في القـرن العشريـن. عُـرف باسـتخدامه المميـز للكوميديـا السـوداء وتقنيـات روايـة مـا بعـد حداثيـة، وأدوات مـن الخيـال العلمـي والفانتازيـا، لإبـراز مفارقـات القـرن العشريـن وأهوالـه. مـن أشـهر أعـمال فونيجـت (إفطـار الأبطـال) و(المذبـح رقـم 5) و(صافرات تايتنز).



نبذة عن المترجم

محمد أ. جمال

(يهدف حرف الألف والنقطة لتمييز الاسم عن آلاف الـ "محمد جمال" الآخرين، وتَجنُّبِ كتابة الاسم الكامل "محمد أحمد جمال" الذي يزيد المُؤلِّفَ رَتابَةً؛ فيُصيب قارئًا مُحتَمَلًا بالمَلَل قبل -حتَّى- فتح الغلاف).

روائيٌّ، ومترجم سَكندَريٌّ، من مواليد عام الزِّلزال، 1992، صدرت له رواية "كتاب خيبة الأمل"، الحائزة على جائزة أخبار الأدب الأولى عام 2017، ورواية (طيران)، وعدة ترجمات من الإنجليزية، من بينها ترجمة كتاب "جوزيف كامبل- البطل بألف وجه".

يُجيدُ صُنعَ القَهوَة، وركوبَ الدَّرَّاجات الهَوائيَّة، والمُماطَلَة. ولا يجيد ارتداءَ ربطاتِ العُنُق.



"هذه حكاية لقاء عجوزين وحيدين نحيفين بيض البشرة، على كوكب يحتضر بسرعة.
أحدهما كان كاتب خيال علمي يدعى كيلجور تراوت، وكان آنذاك نكرة، يحسب حياته قد انتهت. لكنه كان مخطئًا. فنتيجة لذلك اللقاء: صار من أكثر الشخصيات المحبوبة والمبجلة في تاريخ البشر.
والرجل الذي قابله كان تاجر سيارات بونتياك يدعى دواين هوفر. دواين هوفر كان على حافة الجنون".

"مذهلة... [فونيجت] يستعرض الاتهامات الموجهة لأمريكا، ويجعلها تبدو طازجة، مضحكة، مريعة، مكروهة، ومحبوبة" - **نيويورك تايمز**

"جامحة وعظيمة... فونيجتية بامتياز" - **بابلشرز ويكلي**

كورت فونيجت جونيور (1922 - 2007).
أحد أهم الكتاب الأمريكيين في القرن العشرين. عرف بالكوميديا السوداء وتقنيات السرد ما بعد الحداثية واستخدام الخيال العلمي والفانتازيا لإبراز مفارقات القرن العشرين وأهواله

الغلاف عمر مصطفى


ISBN 978-977-313-833-2

